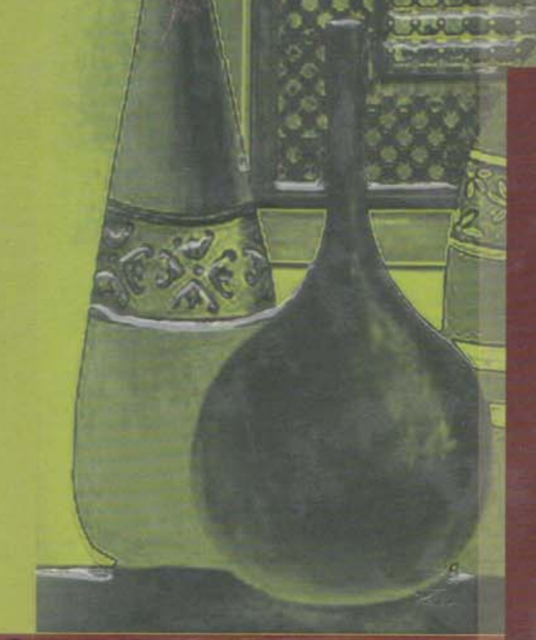




الجود و البخل في الأدب العربي

إعداد

عمار بن خميسي

دار ابن حزم



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



في الأدب العربي

إعداد
عمار بن خميسي

دار ابن حزم

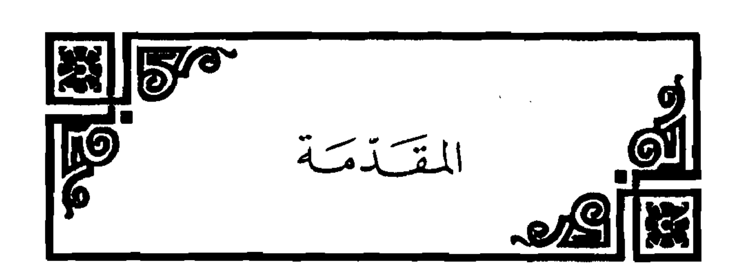
بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّبْعَة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ISBN 978-9953-81-799-6

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb





المقدمة

الحمد لله والصَّلاة والسلام على رسول الله، **أمّا بعد:**

هٰذا كتاب جديد أقدّمه للقُرّاء الكرام جمعت فِيه مَا تَعلّق بأخبار الكرماء وكرمهم، والبخلاء وبخلهم شعراً ونثراً.

راجياً أن يكون خير أنيس وأفضل جليس لقارئه ومطالعه.





➢ الجود

«رَجُلٌ جَوادٌ سَخِيٌّ، وكذلك الأُنثى بغير هَاءٍ، والجمع أجواد، كَسَّرُوا فعالاً على أفعالٍ حتّى كأنّهم إنَّما كسروا فَعَلاً. وجَاوَدْتُ فُلاناً فَجُدْتُهُ أي: غَلبته بِالجُود، كما يُقال مَا جَدْتُهُ مِنَ المَجْدِ. وجَاد الرّجُلُ بمالِهِ يَجُودُ جُوداً، بِالضَّمِّ، فَهو جَوَادٌ. وقَوم جُودٌ مثلُ قَذال وقُذُل، وإنَّما سُكِّنَتْ الواوُ لأنّها حرف عِلّة، وأَجْوادُ وأَجَاوِدُ وجُوُداء، وكذلك امرأة جَوَادٌ ونِسوة جُودٌ مثل نَوار ونُور، قال أبو شهاب الهُذلي:

صَنَاعٌ بإشْفَاها حَصَانٌ بِشَكْرِهَا ‌‌‌‌ جَوَادٌ بِقُوتِ البَطْنِ والعِرْقُ زاخِرُ

قوله: العرق زاخِرٌ، قال ابن بَرِّي: فيه عدّة أقوال: **أحدها**: أن يكون المعنى أنّها تَجود بقوّتها عند الجُوع وهيجان الدَّمِّ والطَّبَائع.

ثانيها: ما قاله أبو عبيدة يقال: عِرق فُلان زاخر إذا كان كَريماً ينمى فيكون معنى زاخر أنّه نام في الكرم.

الثالث: أن يكون المعنى في زاخر أن يكون العرق هنا الاسم من أَعرق الرّجل إذا كان له عرق في الكَرَم.

وفي الحديث: تَجَوَّدتها لَكَ أي: تخيَّرت الأجود منها.

قال أبو سعيد: سمعت أعرابيًا قال: كنت أجلس إلى قوم يتجاوبُون ويتجاودُون فقلت له: مَا يتجَاودون؟ فقال: ينظرون أيّهم أجود حجّة.

وأجواد العَرب مذكورون، فأجواد أهل الكوفة: هم عكرمة بن ربعي وأسماء بن خارجة وعتاب بن ورقاء الرباحي.

وأجواد أهل البصرة: عبيدالله بن أبي بكرة ويكنى: أبا حاتم، وعمر بن عبدالله بن معمر التَّيمي وطلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعي، وهؤلاء أجود مِن أجواد الكوفة.

وأجواد الحِجاز: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وعبيدالله بن العَبّاس بن عبد المطّلب وهما أجود من أجواد البَصرة، فهؤلاء الأجواد المشهورون، وأجواد النّاس بعذ ذلك كَثير، والكثير أجاود على غير قياس، وجُود وجُودة، ألحقوا الهاء للجمع كما ذهب إليه سيبويه في الخُؤولة، وقد جَاد جُوداً، وقول ساعدة:

إنّي لأهواها وفيها لامرئ ... جادت بنائلها إليه مَرْغَبُ

إنّما عَدَّاه بِإلى لأنَّه في مَعنى مالت إليه.

ونِساء جُودٌ، قال الأخطل:

وهُنَّ بِالبَذْلِ لا بُخْلٌ ولاَ جُودُ

واستجاده، طلب جُوده. ويُقال: جَاد بِه أبَواه إذا ولداه جَواداً، وقال الفَرزدق:

قَوم أبُوهم أبو العاصِي أجادَهُم ... قَرْمٌ نَجيبٌ لِجَدَّاتٍ مَناجِيبِ

وأَجاده درهماً: أعطاه إيّاه».

[«لسان العرب» لابن منظور، ج٣/٢٣٤ ـ ٢٣٥]

❋ ❋ ❋

➤ السماحة

«السَّمَاحُ والسَّمَاحَةُ: الجُودُ. سَمُحَ سَمَاحَةً وسُمُوحَةً وسَمَاحاً: جَادَ، ورَجل سَمْحٌ وامرأَة سَمْحَةٌ مِن رِجال ونِساء سِمَاحٌ وسُمَحَاء فيها، حكى الأَخيرة الفارسي عن أحمد بن يحيى.

ورجل سَمِيحٌ ومِسْمَحٌ ومِسْمَاحٌ: سَمْحٌ، ورِجال مَسَامِيحُ ونِسَاء مَسَامِيحُ، قال جَرِير:

غَلَبَ المَسَامِيحَ الوَلِيدُ سَمَاحَةً　　وكَفَى قُرَيش المعضِلات وسَادَها

وقال آخر:

في فِتيةٍ بُسُط الأكُف مَسَامِح　　عند الفِضال نَديمُهم لم يَدْثُرِ

. . .الإسْمَاحُ: لُغة في السَّمَاح، يُقال: سَمَحَ وأَسْمَحَ إذا جَاد وأعطى عن كَرَم وسَخَاءٍ، وقيل: إنَّما يُقال في السَّخَاء سَمَح، وأمّا أَسْمَحَ، فإنَّما يُقَال في المتابعة والانقياد، ويقال: أسمحت نفسه إذا انقادت، والصَّحيح الأَوّل، وسَمَحَ لي فُلانٌ أي: أعطاني، وسَمَحَ لي بِذلك يَسْمَحُ سَمَاحَةً. وأَسْمَحَ وسَامَحَ: وافقني على المطلوب، أنشد ثعلب:

لو كُنت تُعطي حين تُسأل سامَحَتْ　　لك النَّفْسُ واحْلَوْلاَكَ كُلُّ خَلِيلِ

[نفسه، ج٧/٢٤٩]

❋ ❋ ❋

➤ الكرم

«الكَرَمُ، مُحرّكة: ضِدَّ اللُّؤم، كَرُمَ، بضمِّ الرَّاء، كَرَامَةً وكَرَماً وكَرَمَةً، محرّكتين، فهو كَرِيم وكَرِيمة وكِرْمَةٌ، بِالكسر، ومُكْرَمٌ ومُكْرَمَةٌ وكُرَامٌ، كغُرَاب ورُمَّان ورُمَّانَة، الجمع: كُرَمَاءُ وكِرَامٌ وكَرَائِمُ. وجمعُ الكُرَّام:

الكُرَّامُون. ورَجُلٌ كَرَمٌ، محرّكة: كَرِيمٌ، للواحِدِ والجَمع. وكَرْماً، أي: أَدَامَ الله لكَ كَرَماً. ويَا مَكْرُمان: للكريم الواسع الخُلُق. وكَارَمَهُ فَكَرَمَهُ، كَنَصَرَهُ: غَلَبه فِيه. وأكرمَهُ وكَرَّمه: عَظَّمَهُ، ونَزَّهَهُ. والكريمُ: الصَّفُوحُ. ورَجُلٌ مِكْرَامٌ: مُكْرِمٌ للنَّاس. ولَهُ عليَّ كَرَامَة، أَي: عزازة.

واسْتَكْرَمَ الشَّيءَ: طلبه كَرِيماً، أو وَجده كريماً. وأَفعل كَذا وكَرامَة لَكَ، بالفتح، وكُرْماً وكُرْمَةً وكُرْمَى وكُرْمَةَ عين وكُرْمَاناً، بِضمِّهِنَّ، ولا تُظهر له فِعلاً.

وتَكَرَّمَ عنه، وتَكارَمَ: تَنَزَّهَ. والمَكْرُمُ والمَكْرُمَةُ، بِضَمّ رائهما، والأُكْرُومَةُ، بِالضَّمّ: فِعْلُ الكَرَمِ. وأَرْضٌ مَكْرُمَةٌ وكَرَمٌ، مُحرّكة: كرِيمة طيِّبَة».

[«القاموس المحيط» ص١١٥٣]





➢ النَّدَى

«النَّدى: نَدى النّهار، والسَّدَى نَدى اللَّيلِ، يُضربان مثلاً للجُود ويُسمّى بهما، ونَدِيَ الشَّيءُ إذا ابْتَلَّ فَهو نَدِ، مثال: تعِبَ فهو تَعِبٌ. وأنديته أَنا ونَدَّيْتُهُ أيضاً تَنْدِيَةً. ومَا نَدِيَنِي منه شَيء أي: نَالَني، ومَا نَدِيت منه شيئاً أَي: ما أصبت ولا علمت، وقيل: ما أتيت ولا قاربت. ولا يَنْدَاك منّي شيء تكرهه أي: مَا يُصيبك، عن ابن كَيسان. والنَّدَى: السَّخَاءُ والكَرمُ. وتَنَدَّى عليهم ونَدِيَ: تَسَخَّى، وأَنْدَى نَدًى كَثيراً كَذٰلك.

وأَندى عليه: أَفضلَ. وأَنْدَى الرَّجلُ: كَثُرَ نَداه أي: عطاؤه، وأَنْدَى إذا تَسخَّى، وأَنْدَى الرَّجُلُ إذا كَثر نَداه على إخْوَانِه، وكذٰلك انْتَدَى وتَنَدَّى. وفُلاَنٌ يَتندَّى على أصحابِه: كما تقول: هو يَتَسخَّى على أصحابِه، ولا تَقُلْ يُنَدِّي على أصحابِه، وفُلاَنٌ نَدِي الكَفِّ إذا كَان سَخِيًا. ونَدَوْتُ من الجُودِ. ويُقال: سَنَّ للنّاسِ النَّدَى فَنَدَوا. والنَّدَى: الجُودُ. ورَجُلٌ نَدِ أي: جَوَادٌ.

وفُلان أَنْدَى من فُلان إذا كَان أكثرَ خَيراً منه. ورَجُلٌ نَدِي الكَفِّ إذَا كَان سَخِيًا، وقال:

يَابِس الجنبينِ مِنْ غَير بُوسٍ ونَدِي الكفَّين شَهمٌ مُدِلُّ»

[«لسان العرب» ج /٢٢٧]

❋ ❋ ❋

➤ البُخل

«البُخْلُ والبَخَلُ: لغتان وقُرئ بهما والبَخْلُ والبُخُول: ضِدّ الكَرم، وقَد بَخِلَ يَبْخَلُ بُخْلاً وبَخَلاً، فَهو بَاخِلٌ: ذُو بُخل، والجمع: بُخَّال، وبَخِيلٌ والجمع: بُخَلاء. ورَجُل بَخَلٌ: وُصِفَ بِالمصدر، عن أبي العَمَيْثَل الأعرابي، وكذلك بَخَّالٌ ومُبَخَّلٌ.

والبَخَّالُ: الشَّدِيدُ البُخْل، قال رُؤبة:

فَذَاكَ بَخَّالٌ أَرُوزُ الأَرْزِ وكُرَّزٌ يَمْشِي بَطِينَ الكُرْزِ

ورِجال بَاخلون. والبَخْلَة: بُخل مَرَّة واحدة. وبَخَّلَهُ: رماهُ بِالبُخلِ ونَسَبَهُ إلى البُخْلِ. وأَبْخَلَهُ: وجَدهُ بَخِيلاً، ومنه قول عمرو بن مَعد يكرب: يا بني سُلَيم، لَقَد سألناكم فَما أبخلناكُم، وقال الشَّاعر:

ولا مَعدّ بُخله عن إبْخَالِ

ويُروى أَبْخَال، فإن كان كذلك فَهو جمع بُخْلٍ أو بَخَلٍ لأنَّه قَد جاءت مصادر مجموعة كالحُلُوم والعُقُول، وفَسَّر ابن الأعرابي وَجه جمعه قال: معناه بعد بخل منك كثير، وعن هٰهنا بِمعنى بعد كما قال:

وتُصبح عن غِبِّ الضَّبَاب كأنَّما تَرَوّح قَينُ الهَضب عنها بِمِصقَلَه

والمَبْخَلَة: الشَّيء الذي يَحملك على البُخل. وفي حديث النَّبيِّ ﷺ:

«**الولدُ مَجبنة مَجْهَلة مَبْخَلَة**» هو مَفعلة من البُخل، ومَظِنّة لأن يحمل أَبويه على البُخلِ، ويدعوهما إليه فيبخلان بالمال لأجله».

[نفسه ص٢/ ٣٠]

❋ ❋ ❋

➢ الشُّحُّ

«الشُّحُّ والشَّحُّ: البُخلُ، والضَّمُّ أعلى، وقيل: هو البُخلُ مع حِرْصٍ، وفي الحديث: إيّاكم والشُّحَّ!

الشُّحُّ أَشَدّ البُخل، وهو أبلغ في المنع من البُخل، وقيل: البُخل في أفراد الأمور وآحادها، والشُّحُّ عَامٌّ، وقيل: البُخْلُ بِالمال، والشُّحُّ بِالمالِ والمعروف، وقَد شَحَحْتَ تَشَحُّ وشَحِحْتَ، بِالكسر، ورَجل شَحِيحٌ وشَحَاحٌ من قوم أَشِحّة وأَشِحَّاء وشِحَاح، قال سيبويه: أَفعِلَة وأَفعِلاَء إنّما يَغْلِبَان على فَعيلٍ اسماً كأربعة وأربعاء، وأخمسة وأخمساء، ولكنّه قد جَاء من الصِّفة هٰذا ونَحوه. . .

ونَفسٌ شَحَّةٌ: شَحِيحَةٌ، عن ابن الأعرابي، وأَنشد:

لسانُك معمولٌ ونَفسُك شَحَّةٌ   وعندَ الثُّرَيَّا مِن صَدِيقك مَالُكَا
وأنت امْرُؤٌ خِلْطٌ إذا هي أَرْسَلَتْ   يَمِينُك شَيئاً أمسكته شِمَالُكَا

وتَشَاحُّوا في الأمرِ وعليه: شَحَّ به بَعضهم على بعض وتبادروا إليه حَذَرَ فَوتِهِ، ويقال: هما يَتشاحَّان على أمرٍ إذا تنازعاه، لا يريد كلّ واحد منهما أن يفوته، والنَّعت شَحِيحٌ، والعَدد أَشِحَّة. . .

شَحَّ بِالشَّيء وعليه يَشِحُّ، بِكسرِ الشّين، قال: وكذلك كلّ فَعيل مِن النُّعوت إذا كان مضاعفاً على فَعَلَ يَفْعِلُ، مثل: خَفيف ودَفِيف وعَفيف، وقال بعض العرب: تقول: شَحَّ يَشِحُّ، وقَد شَحِحْتَ تَشَحُّ، ومثله ضَنَّ يَضَنُّ، فَهو ضَنِينٌ، والقياس هو الأوّل ضَنَّ يَضِنُّ، واللُّغة العالية ضَنَّ يَضَنُّ،

والشَّحْشَحُ والشَّحْشَاحُ: المُمْسِكُ البَخِيلُ، قال سلمة بن عبدالله العدوي:

فَرَدَّدَ الهَذْرَ ومَا أَنْ شَحْشَحَا

أي: مَا بَخل بهديره، وبعده:

يَمِيلُ عَلْخَدَّيْنِ مَيْلاً مُضْفَحَا

[نفسه ج٨/٣٠ ـ ٣١]

* * *

➢ الحَصِيرُ والحَصُورُ

«الحَصِيرُ والحَصُورُ: المُمْسِكُ البخيل الضيق، ورَجل حَصِرٌ بِالعطاء، ورُوي بيت الأخطل بِاللّغتين جميعاً:

وشارب مُربح بِالكأسِ نَادَمَنِي لا بِالحَصُور ولا فيها بِسَوَّارِ

وحَصِرَ بِمعنى: بَخِلَ. والحَصُورُ: الذي لا يُنفق على النَّدَامَى...

الحَصِرُ: البَخِيلُ، والعَقِصُ: الملتوي الصَّعبُ الأخلاق.

ويُقال: شَرِب القَوم فَحَصِرَ عَليهم فُلان أي: بَخِلَ. وكلّ من امتنع من شيء لم يَقدر عَليه، فَقد حَصِرَ عنه، ولهذا قِيل: حَصِرَ في القِراءة وحَصِرَ عَن أهله».

[نفسه ج٤/١٣٩]

* * *

➢ الجُمود

«رَجُلٌ جَمَادُ الكَفّ: بَخيل، وقد جَمَدَ يَجْمُدُ: بَخِلَ، ومنه حديث

محمد بن عمران التَّيمي: إنّا والله ما نَجمُد عند الحَقِّ ولا نَتدفَّقُ عند البَاطِل، حكاه ابن الأعرابي.

وهو جَامِد إذا بَخِل بما يَلزمه من الحَقِّ.

والجَامِدُ: البخيل، وقال المتلمِّس:

جَـمَـادِ لـهـا جَـمَـادِ ولا تَـقُـولَـنْ　　لـهـا أبـداً إذا ذُكـرت: حـمـاد!

ويُروى: ولا تَقُولي. ويقال للبَخيل: جَمَادِ له أي: لا زال جَامِدَ الحال».

[نفسه ج٣/١٩١ ـ ١٩٢]

❋ ❋ ❋

أبَا جعفرٍ ضَنَّ الأميرُ بِماله

حدّثني محمد بن الحُسين، ثَنَا داود بن محبر، عن سوادة بن أبي الأسود، عن شهر بن حوشب أنّ رجلاً عَطِبت راحلتُه فأتى أمير المدينة فَسأله فَلم يَحمله، فقيل له: ائتِ أبا جَعفر، فأتاه، فَقال:

أبَا جَعفرٍ إنَّ الحجِيجَ تَرَحَّلُوا　　وليسَ لِرَحْلِي فاعْلَمَنَّ بَعِيرُ
أبا جَعفرٍ مِن أهل بيتِ نُبُوَّةٍ　　صلاتُهُمُ للمسلمينَ طَهُورُ
أبا جَعفرٍ ضَنَّ[1] الأميرُ بِمالِهِ　　وأنت على مَا في يديك أمِيرُ

فأمرَ له براحلة ونفقة وكسوة سابغة[2].

[«مكارم الأخلاق» لابن أبي الدُنيا، ص١٩]

❋ ❋ ❋

(١) ضَنَّ: بَخل.
(٢) تامة وواسعة.

➢ ليس المُبتدي كالمُقتدي

أخبرنا العبّاس بن هشام، عن أبيه، عن أبي محمد عبدالله بن سفيان مولى لمعاويّة بن أبي سفيان، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: كنّا عند هشام بن عبدالملك، فَقَدِم عليه خُطباء أهل الحجاز مِن قُريش وغيرها، قال: فحضرت كلامهم رَجُلاً رجلاً حتى قام ابن أبي جهم بن حذيفة العدويّ من قريش ـ وكان أعظم القوم قَدراً وأكبرهم سنًّا ـ فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، إنّ خُطباء قُريش قَد قالت فِيك فاحتفلت[1] وأَثْنَتْ[2] فأَطْنَبَتْ[3]، فوالله ما بلغ قائلهم قدرك ولا أحصى مُطنبهم فضلك. أفأطيل أَم أُوجز؟ قال: بَلْ أَوْجِزْ، قال: تَوَلاَّك الله بِالحُسنى وزَيَّنَك بِالتَّقوى وجمع لكَ خَير الآخرة والأولى، إنّ لي حَوائج، أفأذكرها؟ قال: اذكرها. قال: كبرت سِنّي ورَقّ عظمي ونالَ الدّهر مِنّي، فإن رأى أمير المؤمنين أَنْ يَجْبُرَ كسري وأن ينفي فقري فَعَل. قال: وما الذي يجبر كسرك وينفي فقرك؟ قال: ألف دِينار وألف دِينار وألف دِينار، قال: هيهات يا ابن أبي جَهم! رُمْتَ[4] مراماً صعباً. بيت المال لا يحتمل ما سألت، ثمّ أطرق هشاماً طوِيلاً، ثمّ قال: هِيه. قال: ما هِيه! والله لكأنّك آليت[5] لا تقضي لي حاجة في موقفي هٰذا. أما والله، إنّ الأمر لَواحِد، ولكن الله آثرك بمجلسك هذا، فإن تُعطِ فَحقًّا أدّيت، وإن تمنع فإنّي أسأل الذي بيده ما حويت، إنّ الله جَعل العطاء مَحبَّة والمنع مبغضة، والله لأن أحبّك أحبّ إليّ من أن أبغضك.

قال: ألف دينار لماذا؟ قال: أقضي بِها ديناً قد أحمّ[6] قَضاؤه وقد

(١) «مَا احتَفَلَ بِهِ: ما بَالَى». [القاموس المحيط: ٩٨٥].
(٢) «الثَّناء: وصفٌ بِمدح أو ذَمّ، أو خاصٌ بِالمدح، وقد أثنى عليه وثَنَّى» [نفسه، ص١٢٦٨].
(٣) «أَطْنَبَ الرَّجُل: أتى بالبلاغة في الوصف، مَدحاً كان أو ذَمًّا» [نفسه، ص١١٠].
(٤) طلبت.
(٥) أقسمت.
(٦) «حُمّ الأمرُ، بالضّمّ، حَمًّا: قُضِيَ، وـ لَه ذٰلك: قُدِّرَ» [القاموس المحيط: ١٠٩٧].

فَدَحني[١] حمله وأضرَّ بي أهله: قال هشام: فَلا بأس، تُنفّس[٢] كُربة مع أداء أمانة، وألف دينار لماذا؟ قال: أزوِّج بها من بلغ من ولدي. قال: نِعم المسلكُ سلكت، أغضضت بَصراً وأعففت فَرجاً ورجوت نَسلاً، وألفِ دينار لماذا؟ قال: أشتري بها أرضاً يعيش فيها ولدي وتكون أصلاً لمن بعدي. قال: فإنَّا قد أمرنا لك بِما سألت. قال: فالمحمود على ذٰلك الله، قال: ثمّ أدبر فأتبعه هشام بصره، قال: إذا كان القرشي فَليكن مثل هٰذا، ما رأيت رجلاً أبلغ وأَوجَمَ[٣] في مقاله ولا أبلغ في ثناء منه. أما والله إنّا لنعرف الحقّ إذا نزل ونكره الإسراف والبخل، فَما نُعطي تَبَذُّراً ولا نمنع تَقَتُّراً[٤]، وما نحن إلا خُزّان الله في بِلاده، وأمناؤه على عِباده، فإذا شاءَ أعطينا وإذا مَنَعَ أبينا، ولو أَنّ كُلَّ قائل يصدق، وكلّ سائِل يَستحق ما جبهنا قائِلاً ولا رددنا سائِلاً، فَسلوا الذي بِيده ما استحفظنا أن نُجريه لكم على أيدينا، فإنّه يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر، إنّه بعباده خَبِير بَصير. قالوا: والله يا أمير المؤمنين، لقد أبلغت وما بلغ في قدر عجبك بِه مَا كان منك في الرَّدِّ عليه وذكر نعمة الله عليه. قال: إنَّهُ المبتدي وليس المبتدي كالمقتدي.

[نفسه ص١٢٢ ـ ١٢٣]

❋ ❋ ❋

➤ الرِّزق يأتيك

أخبرني أبو زيد النُّميري، حدّثني عمر بن محمد بن أقيصر السلمي، حدّثني يحيى بن عروة بن أذينة، قال: أتى أبي وجماعة من الشُّعراء هشام بن عبدالملك فأنشدوه فَنسبهم، فَلمّا عرف أبي قال: ألست القائل:

(١) «فَدَحَهُ الدَّينُ، كَمنَعَ: أثقله» [نفسه، ص٢٣٣].
(٢) تُوسِّع.
(٣) لعلّها تصحيف. (المحقّق)
(٤) «قَتَّرَ عليهم، وأَقْتَرَ: ضَيَّق في النَّفقة» [القاموس المحيط: ٤٥٩].

لَقَدْ علمتُ ومَا الإشْرَافُ[١] في طَمَعِي ... أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى لَهُ فَيُعَنِّيني تَطَلُّبُهُ ... ولو قَعدتُ أتانِي لا يُعَنِّيني

فَهلاّ جلست حتى يأتيك؟ فَلمّا خرجوا من عِنده جَلس أبي على راحلته حتى أتى المدينة، وتَنَبَّه هشام عليهم، فأمر بجوائزهم، ففقد أبي فسأل عنه، فأخبر بانصرافه فَقال: لا جَرم، والله ليعلمنَّ أنّ ذٰلك سيأتيه في بَيته. ثمّ أضعف له ما أعطي واحِداً مِنْ أصحابه، وكتب له فَريضتين كنت أنا آخذهما.

[نفسه ص١٢٣]

❋ ❋ ❋

➢ الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بباب عبدالملك بن مروان:

قال: قال سُليمان، نَا محمد بن الحكم، عن عوانة، قال: أقام الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بباب عبدالملك بن مروان سنة، ثُمّ انصرفَ وهو يَقول:

تَبعتُكَ إذْ عَيْنِي عليها غَبَاوَةٌ ... فلمّا انْجلَتْ[٢] قَطَّعْتُ نفسي ألومُهَا
رددتُ عليك النَّفسَ حتَّى كأنّما ... بِكَفَّيْكَ بُؤسِي أو لديكَ نَعِيمُها
فَمَا بِي وإنْ أَقْصَيْتَنِي[٣] مِن ضَرَاعةٍ[٤] ... ولا افتقرت نفسي إلى مَنْ يَسُومها[٥]

---

(١) «أَشْرَفَ عليه: اطَّلع من فَوق» [القاموس المحيط: ٨٢٤].
(٢) انْكَشفت.
(٣) أبعدتني.
(٤) من خُضوع وتَذلُلٍ.
(٥) «السَّوْمُ في المبايَعة: كالسُّوَام، بِالضَّمِّ، سُمتُ بالسّلعة، وساومتُ واسْتَمْتُ بِها، وعَليها: غاليتُ» [القاموس المحيط: ١١٢٤].

فأرسل عبدالملك رسولاً يَرُدُّهُ، وقال: اتّبعه حتى تَرُدّه عليَّ وإنْ بلغت مَكَّة، فلمّا دخل على عبدالملك قال: أَنِفْتَ[١] مِنَ المقام ببابي؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين! ما أَنِفْتُ من المقام ببابك وما عنكَ مَرْغَبٌ، ولكنّي أطلت المقام ولي ضَيعة وعليَّ دَيْنٌ، قال: كم دَيْنُك؟

قال: ثلاثون ألف دِينار، قال: إنْ شئت قَضيت دينك وإن شئت استعملتك على مكَّة سنة، قال: استعملني على مكّة سنة.

فاستعمله ثُمّ عزَلَهُ.

[نفسه ص١٢٨]

❋ ❋ ❋

➢ كرم ابن جدعان:

حدّثني محمد بن الحسين، ثَنا أبو عبدالرحمٰن الطّائي، ثَنا المجالد بن سعيد، عن الشَّعبي، قال: دخل أُميّة بن أبي الصَّلت على عبدالله بن جُدعان التيمي وقد أخذت الخمر من عبدالله فأنشأ يقول:

أأذكرُ حاجَتي أَمْ قَدْ كَفاني ... حَياؤُك إنّ شِيمتَكَ الحَياءُ
وعلمُك بالأمورِ وأَنتَ فَرْعٌ ... لك الحَسَبُ المهذَّبُ والسَّنَاءُ
كريمٌ لا يُغَيِّرهُ صَبَاحٌ ... عن الخُلُقِ الكريمِ ولا مَسَاءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يوماً ... كفاهُ من تعرُّضِهِ الثَّناء

قال: وعند ابن جدعان قَيْنَتَانِ[٢] له، فقال: انظر أعجبها إليك فَخُذ بِيَدها. قال: وكانت أحبَّ مالِهِ إليه فأخذ منه إحداهما، وخرج فَلَقِيَه فِتية منْ قُريش، فقالوا له: ما صنعت؟ دخلت إلى شيخنا وسَيِّدنا وقَد عمل فيه

(١) استَنْكَفَ.
(٢) جَاريتان.

الشَّراب فأخذت إحدى حَظِيَّتَيهِ[١] وأَحبّ ماله إليه. ارجع فاردُدها عليه فإنّه سَيُعَوِّضك أضعافها، قال: فرجع إليه فقال: ما الذي ردَّك إلينا، يا أُميّة؟ قال: أَحَبَّتْ أَنْ تُؤْنِسَ أختَها، قال: لا، ولكن قيل لك: فَرَّقت بين الشّيخ وأَحبَّ ماله إليه، والله لتأخذنَّ بِيدِ الأُخرى. فأخذهما جميعاً وخرج وهو يَقول:

عطاؤكَ زَيْنٌ لامرئ إنْ حَبَوْتَهُ[٢] ... بِفَضْلٍ ومَا كُلُّ العَطاءِ يَزِينُ
ولَيس بِشَيْنٍ[٣] لامرئ بَذْلُ وَجهِهِ ... إليك كما بعض السُّؤال يَشِينُ

[نفسه ص١٣١]

❋ ❋ ❋

➢ كرم ابن عَامر:

حدّثني أبو زيد النُّميري، حدَّثني بدر بن سعيد، قال: سمعت عيسى بن يَزيد بن بكر، قال: سأل الوليد الوليدُ بن عقبة مروان، وهو على الكوفة، فأمر له بعشرين ألفاً فأبى أن يَقبلها، فأتى ابن عامر فشكا إليه دينه، فقال: كم هو؟ قال: مائة ألف، فقضاه عنه وأعطاه مائة ألف أُخرى، فقال الوليد:

ألا جَعَلَ اللَّهُ المغيرة وابْنَهُ ... ومروانَ نَعْلَي بَذْلةٍ لابنِ عَامِرِ
لِكَيْ تَقِيَاهُ الحَرَّ والقُرَّ والأذى ... ولَسْعَ الأفاعِي واحْتِدَامَ[٤] الهَوَاجِرِ
يَفيضُ الفُرَاتُ لِلَّذين يَلُونَهُ ... وسَيْبُكَ[٥] يَأتي كُلَّ بَادٍ وحَاضِرِ
إذا عَبْدُ شَمْسٍ قَدَّمُوا رِفْدَ[٦] خَيْرِهِمْ ... سَمَا فَعَلاً بِالمجدِ فَخْرُ المفَاخِرِ

---

(١) الحَظِيّة: السِّريَّةُ المكرّمة عِند مَالِكها.
(٢) «حَبَا فُلاَناً: أعطاهُ بِلا جَزَاءٍ ولا مَنٍّ، أو عَامٌّ» [القاموس المحيط: ١٢٧٢].
(٣) قَبيح.
(٤) «احْتَدَمَتِ النَّارُ: الْتَهَبَتْ» [القاموس المحيط: ١٠٩١].
(٥) «السَّيْبُ: العَطاءُ، والعُرْفُ» [القاموس المحيط: ٩٨].
(٦) «الرِّفْدُ، بِالكسر: العطاءُ، والصِّلَةُ» [نفسه، ص٢٨٢].

وإنْ دَنِسَتْ أَحْسَابُ قَومٍ وَجدته   إذا مَا بَلَوْهُ طاهِراً وَابنَ طَاهِرِ

قال أبو زيد: البيتان الأَخِيران ليس ممّا سمعتُ مِن بَدر، وقد قِيل صاحب هٰذا الشّعر عبدالرَّحمٰن بن الحكم.

[نفسه ص١٣٢]

❋ ❋ ❋

➢ مَا خَلق الإلٰه يَديك للبُخْل:

حدّثني أبو زيد النُّميري، حدّثني شهاب بن عبّاد، قال: مدح ابن قيس الرُقيّات بشر بن مروان فَقال:

يا بِشْرُ يا بْنَ الجَعْفَرِيَّةِ مَا   خَلَقَ الإلٰهُ يَدَيْكَ للبُخلِ
جَاءَتْ بِهِ عُجُزٌ مُقابَلَة   ما هُنَّ مِن جَرْمٍ ولا عُكْلِ

فقال له بشر: اِحْتَكِم، قال: عشرين ألفاً، قال: قَبّحك الله! لكَ عِشرون وعشرون حتى بلغ مائة ألف.

[نفسه ص١٣٢]

❋ ❋ ❋

➢ وفاء لكرم بشر بن مَروان:

حدَّثني عمر بن أبي مُعَاذ، حَدَّثني أبو الحسن الأرطباني شيخ مِن مُزينة، قال: حدّثني أبو البيداء عن من رأى الفرزدق يسير في جنازة بشر بن مروان يقود فَرساً ـ كان بِشْرٌ حمله عليه ـ حتى إذا فُرِغَ من دفنه عقر الفَرس، وأنشأ يَقول:

أَقُولُ لِمَحْبُوكٍ[١] السَّرَاةِ[٢] مُعَاوِدٍ — سِبَاقَ الجيادِ قد أُمِرَّ على شَزْرِ[٣]
ألستُ شَحِيحاً إنْ ركبتك بَغْدَهُ — ليومِ رِهَانٍ أو غَدَوتَ معي تَجري
حَلَفْتُ بِأَنْ لا تُرْكَبَ الدَّهرَ بَغْدَهُ — صحيحَ الشَّوَى[٤] حتى تَكُوسَ على القَبْرِ

[نفسه ص١٣٣]

❊ ❊ ❊

➢ أَنْفِق على مُقْحِمِي المَدِينة:

حدّثني عبدالرَّحمٰن بن عبدالله بن قُريب الأصمعي، قال: حدّثني عمّي، ثَا رَجُلٌ من بني زُهرة، قال: دخَل أعرابيّ على هشام بن عبدالملك في غُمار النَّاس، فشقَّ على هِشام حِين دَخل مِن غَير إذن، فقام الأعرابيّ، فَقال: أصابتنا ثلاثة أعوام، فَعامٌ أكل الشَّحم، وعام أكلَ اللَّحم، وعام انتقى العَظم، وعندكم فُضولٌ مِنْ أموال، فإن كانت لله فاقسِمُوها بين عِباد الله، وإنْ كانت لعبادِ الله فَبِمَ تَحبِسُها عنهم، وإن كانت لكم فَتَصَدَّقُوا، إنَّ الله يَجزي المتصَدِّقين. فقال له هشام: ما حاجتك؟ قال: ليس لي حاجة. فكتب هشام إلى عامله بِالمدينة: أَنفِقْ على مُقْحِمِي المدِينة فَرفع مائة ألف دِينار.

[نفسه ص١٣٨]

❊ ❊ ❊

(١) «المَحْبُوكُ: الفَرَسُ القَوِيُّ» [القاموس المحيط: ٩٣٥].
(٢) «السَّرَاةُ: الظَّهْرُ الجمع: سَرَوَاتٌ» [نفسه، ص١٢٩٥].
(٣) «الشَّزْرُ: الشِّدَّةُ والصُّعُوبَة» [نفسه، ص٤١٥].
(٤) «الشَّوَى: اليَدَانِ، والرِّجلان، والأطرافُ، وقِحْفُ الرَّأس» [القاموس المحيط: ١٣٠١].

➤ نصيحة كريم:

حدّثنا أبو محمد الباهلي، نَا عمِّي عبدالملك بن قُريب، قال: سَمِعتُ أصحابنا يتحَدَّثون، قالوا: سَمِعنا عليَّ بن أصمع يقول: قال لي ابن عامر: إذا طلبت إلِيّ حاجَةً فاجعل بَيني وبينك سِتراً، فإن يكن منع لم يَبلغك، وإنْ نُجْحٌ أتاكَ.

وقال لي زياد: لا تُشرِك في معروفي غيري، فإنّي إن أعطيتك هنّأتُك، وإن منعتك أحسنت المنعَ وأرصدتُ لكَ حاجة أُخرى.

[نفسه ص١٣٨ ـ ١٣٩]

❊ ❊ ❊

➤ معن بن زائدة والأسود:

روى مروان بن أبي حفصة عن معن بن زائدة أَنّه قال: لـمّا جَدَّ المنصور في طلبي، وجعل لمن يحملني إليه مالاً، اضطررت لشدّة الطَّلب أَن تعرّضت للشَّمس حتى لوّحت[1] وَجهي، وخفّفت عَارِضَي[2]، ولبست جُبّة صُوف، وركبت جَملاً متوجِّهاً إلى البادية لأقيم بِها، فَلمّا خرجت من باب حَرب، وهو أَحد أبواب بَغداد، تبعني أسود متقلّد سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خِطَام[3] الجمل فأَنَاخَهُ وقبض على يَدي، فقلت له: مَا بِكَ؟ فقالَ: أَنتَ طِلْبَةُ[4] أمير المؤمنين، فقلت: ومَن أنا حتى أطلب؟ فقال: أنت معن بن زائدة، فقلت له: يا هٰذا اتَّقِ الله عزَّ وجلَّ، وأين أنا مِن

---

(١) غَيَّرت لونه.

(٢) العَارِضان: جَانبا الوجه، ومَا يكون عليهما من اللِّحية.

(٣) زِمَامُ الجَمل.

(٤) الطِّلْبَةُ: مَا يُطْلَبُ.

مَعْنٍ؟ فَقال: دَعْ هٰذا، فإنّي والله لأعرف بك منك، فلمّا رأيت منه الجِدّ قلت له: هٰذا عقد جوهر، قد حملته معي بأضعاف ما جعله المنصور لمن يَجيئه بِه فَخُذْه، ولا تَكُن سَبباً لِسَفْكِ دَمِي، قال: هاته فأخرجته إليه، فنظر إليه ساعة وقال: صدقت في قيمته، ولست قابله منك حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك، فقلت: قُل، قال: إنّ النَّاس قَد وصفُوك بِالجُود، فأخبرني هل وهبت مالكَ كُلّه قط؟ قُلت: لا، قال: فنصفه؟ فقلت: لا، قال: فَثُلثه؟ قُلت: لا، حتى بلغ العشر، فاستحييت وقُلت: أظنّ أنّي قد فَعلت هٰذا، قال: ما ذاكَ بِعظيم، أنا والله رَاجِلٌ ورِزقي من أبي جَعفر المنصور كلّ شهر عشرون درهماً، وهٰذا الجَوهر قيمته ألوفُ دَنانِير، وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجُودك المأثور بين النّاس، ولِتعلم أَنّ في هٰذه الدُّنيا من هو أجود منك فَلا تعجبك نفسُك، ولتحقر كلّ جود فعلته، ولا تتوقّف عن مَكرُمة، فقلت: يا هٰذا قد والله فضحتني. ولَسَفْكُ دَمِي عليّ أهونُ ممّا فَعلت، فَخُذ مَا دفعته لك فإنّي غنيّ عنه، فضحك وقال: أردت أَنْ تُكَذِّبني في مقالِي هٰذا، والله لا أخذته ولا آخذ لمعروف ثمناً أبداً، ومضى لِسَبِيله.

فوالله لقد طلبته بعد أَنْ أمنت، وبذلتُ لمن يَجيء بِهِ مَا يَشاء، فَما عرفت له خَبراً، وكأنّ الأرض ابتلعته.

[«جواهر الأدب» السَّيِّد أحمد الهاشمي، ج١/٣٨٢ ـ ٣٨٣]

❋ ❋ ❋

➤ إنّ أخاكَ مَنْ آسَاكَ:

يُقال: آسيتُ فُلاناً بِمالي أو غَيره، إذا جَعلته أسوة لك، وواسيت لغة فيه ضَعيفة، بنوها على يواسي.

ومعنى المثل: أَنّ أَخاك حقيقة مَن قدّمَك وآثرك على نفسه.

يضرب في الحَثّ على مراعاة الإخوان.

وأوّل مَن قال ذٰلك خزيم بن نوفل الهمذاني، وذٰلك أنّ النُّعمان بن ثواب العبدي ثمّ الشّني، كان لَه بَنون ثلاثة سَعد وسعيد وساعدة، وكان أبوهم ذَا شَرف وحكمة وكان يُوصي بنيه ويحملهم على أدبه.

أمّا ابنه سعد فكان شُجاعاً بطلاً مِن شَياطين العرب لا يقام لسبيله، ولم تفته طلبته قَطّ، ولم يفرّ عن قِرن[١].

وأمّا سعيد فكان يشبه أباه في شرفه وسُؤدده.

وأمّا ساعدة فكان صاحب شَراب، ونَدَامَى[٢]، وإخوان. فلمّا رأى الشّيخ حال بنيه دَعَا سعداً وكان صاحب حرب فقال: يا بنيَّ إنَّ الصَّارِمَ[٣] يَنْبُو[٤]، والجَواد يَكْبُو[٥]، والأثر يَعفُو[٦]، فإذا شهدت حرباً فرأيت نارها تسعر[٧]، وبطلها يخطر[٨]، وبحرها يزخر[٩]، وضعيفها يَنصر، وجبانها يجسر[١٠]، فأقلل المكث والانتظار، فإنّ الفرار غير عار إذا لم تكن طالب ثار، فإنّما ينصرونهم، وإيَّاك أن تكون صيد رماحها، ونطيح نطاحها.

وقالَ لابنه سعيد ـ وكان جَواداً ـ: يا بنيّ لا يبخل الجَواد فابذل الطَّارِق[١١] والتِّلاد[١٢]، وأَقلل التَّلاح[١٣] تذكر عند السماح، وابْلُ[١٤]

---

(١) «القِرْنُ، بِالكسرِ: كُفوك في الشَّجاعة» [القاموس المحيط: ١٢٢٣].
(٢) نَادَمَهُ مُنَادَمَةً ونِداماً: جَالسه على الشَّرَاب. هذا هو الأصل ثُمّ استعمل في كلّ مُسامرة.
(٣) السَّيف القاطع.
(٤) نَبَا السَّيف إذا لم يَعمل في الضَّرِيبَة.
(٥) «كَبَا كَبْواً وكُبُوًّا: انكَبَّ على وجهه» [القاموس المحيط: ١٣٢٧].
(٦) «العَفْوُ: المَحْوُ، والإمْحَاءُ» [القاموس المحيط: ١٣١٣].
(٧) «سَعَرَ النَّارَ والحَرْبَ، كمنعَ: أوقدها، كَسَعَّرَ وأَسْعَرَ» [نفسه، ص٤٠٧].
(٨) يَتَبَخْتَرَ.
(٩) «زَخَرَ البَحْرُ، كمنَعَ، زَخراً وزُخُوراً وتَزَخَّرَ: طَمَا وتَمَلأَ» [نفسه، ص٣٩٩].
(١٠) «جَسَرَ الرَّجُلُ جُسُوراً وجَسَارَةً: مَضَى ونَفَذَ» [القاموس المحيط: ٣٦٥].
(١١) المال الجَدِيد.
(١٢) المال القديم الأصليّ.
(١٣) النِّزاع.
(١٤) اختبر.

إخوانك فإنَّ وَفِيَّهُم قَليل، واضع المعروف عند محتمله. وقال لابنه ساعدة ـ وكان صاحب شَراب ـ يا بُنيَّ إنَّ كَثرة الشَّراب تفسد القلب، وتقلل الكسب، وتَجُدُّ[1] اللَّعب، فابصر نديمك، واحلم حَريمك، وأعن غَريمك، واعلم أَنّ الظّمأ القامِحُ[2] خير من الرَّأي الفاضح، وعليك بِالقصد فإنّ فيه بَلاغاً.

ثمّ إنّ أباهم النُّعمان بن ثواب تُوفّي، فقال ابنه سعيد: وكَانَ جَواداً سَيِّداً، لآخذنّ بِوصية أبِي، ولأبْلُوَنَّ إخواني وثقاتي في نفسي، فعمدَ إلى كَبش فذبحه ثمّ وضعه في ناحية خِبائه، وغَشّاه ثَوباً ثمّ دَعَا بعض ثقاته فَقال: يا فُلان إنَّ أخاك من وفى لك بِعهده، وحاطك بِوفده، ونصرك بِودّه، قال: صدقت. فهل حدثَ أمر؟ قال: نعم. إنِّي قتلت فُلاَناً وهو الذي تراه في ناحية من قال: يا لها من سوأة وقعت فيها، قال: أريد أن تعينني عليه حتى أغيّبه، قال: لست لك في هٰذا بِصاحب، فتركه وخَرج.

فبعث إلى آخر من ثقاته فأخبره بِذٰلك، وسأل معونته فَردّ عليه مثل ذٰلك، حتّى بَعث إلى عدد منهم كلّهم يردّ عليه مثل جواب الأَوّل.

ثمّ بعث إلى رجل من إخوانه يقال له: خزيم بن نوفل فلمّا أتاه قال له: يا خزيم ما لي عندك؟ قال: مَا يَسُرُك ومَا ذاك؟ قال: إنِّي قتلت فُلاناً وهو الذي تَراه مُسَجَّى[3]، قال: أيسر خَطب، فتريد ماذا؟ قال: أريد أن تعينني حتى أغيِّبه، قال: هان ما فزعت فيه إلى أخيك، وغلام لسعيد قائم معهما، فقال له خزيم: هل اطّلع على هذا الأمر أحد غير غلامك هذا؟ قال: لا، قال: انظر ما تقول. قال: ما قلت إلا حَقًّا، فأهوى خزيم إلى غلامه فضربه بِالسَّيف فَقتله. وقال: ليس عبد بأخ لك، فأرسلها مثلاً، وارتاع سعيد وفزع لقتل غُلامه، فقال: ويحك ما صنعت؟ وجعل يلومه،

---

(١) تقطع.

(٢) «القامِحُ: الكارهُ للماء لأَيَّة علّة كانت، والقامِحُ من الإبل: ما اشتدَّ عطشه حتى فتر شَديداً» [القاموس المحيط: ٢٣٧].

(٣) مُغَطّى.

فقال خزيم: إنَّ أخاك من آساك، فأرسلها مَثلاً. قال سَعيد: فإنّي أردت تجربتك، ثمّ كشف له عن الكبش وخبره بِما لقي من إخوانه وثقاته وما رَدّوا عليه.

فقال خزيم: سبق السيف العَذل[١] فذهبت مثَلاً.

[«مجمع الأمثال للميداني» مختارات، ص٢٩ ـ ٣١]

❋ ❋ ❋

➢ الأعرابي مُضيف أمير المؤمنين المهدي:

قدم أعرابي ومعه كتاب مختوم فجعل يَقول: هٰذا كتاب أمير المؤمنين إليّ، أين الرّجل الذي يقال له: الرَّبيع الحاجب؟ فأخذ الكتاب وجَاء به إلى أمير المؤمنين، وأوقف الأعرابي، وفتح الكتاب فإذا هو قطعة أديم فيها كتابة ضَعيفة، والأعرابي يزعم أنّ هٰذا خَطّ الخَليفة، فَتَبَسَّم المهدي وقال: صدق الأعرابي، هٰذا خَطّي، إنّي خرجت يوماً إلى الصَّيد فضعت عن الجيش، وأقبل اللّيل فَتعوّذتُ بتعويذ رسول الله ﷺ فرفعت لي نار من بعيد فقصدتها فإذا هذا الشَّيخ وامرأته في خِبَاءٍ يوقدان ناراً، فسلّمت عليهما، وفرش لي كِساءً وسقاني مَذْقَة[٢] من لبن مشوب بماء، فما شربت شيئاً إلا وهي أطيب منه، ونمت نومة على تلك العباءة ما أذكر أنّي نمت أحلى منها، فقام إلى شُويهة[٣] له فذبحها فسمعت امرأته تقول: عمدت إلى مكسبك ومعيشة أولادك فذبحتها، أهلكت نفسك وعيالك. فما التفت إليها، واستيقظت فاشتويت من لحم تلك الشُّويهة وقُلت له: أعندك شيء أكتب لك فِيه كِتاباً؟ فأتاني بهذه القطعة الأديم[٤] فَكتبت له بِعُود من ذٰلك الرَّماد خمسمائة ألف،

---

(١) العَذْلُ: اللَّوْم.

(٢) لَبَنٌ مَذِيق: ممزوج بِالماءِ.

(٣) تصغير شاة.

(٤) جلد.

وإنّما أَردت خمسين ألفاً، والله لأنفذنّها له كلّها، ولو لم يكن في بيت المال سِوَاهَا. فأمر له بخمسمائة فقبضها الأعرابي واستمرَّ مُقيماً في ذٰلك الموضع في طريق الحَاجّ من ناحية الأنبار، فجعل يَقري الضَّيف ومَن مَرَّ به من النّاس، فعرف منزله بمنزل مضيف أمير المؤمنين المهدي.

[«البداية والنهاية» لابن كَثير ج١٠/١٦٠ ـ ١٦١]

❋ ❋ ❋

➢ مكارم الأخلاق:

قال أبو علي رحمه الله: أنشدني الرياشي، قال: أنشدنِيها تمام للحارث بن عبّاس بن مرداس السُّلمي يوصي ابنه ـ رضي الله تعالى عنهما ـ:

احفَظْ بُنَيَّ وَصِيَّةً أُوصيكها ... إن كنت تُؤمِنُ بالكتاب المُنْزَلِ
أَكْرِمْ خَلِيلَ أبيك حَيث لَقيته ... ولقد عَققتَ أباك إن لم تَفْعَل
والجَارَ أَكرمْ جَارَ بيتك مَا دَنَا ... حتّى يبينَ ثواءكم[1] في المنزلِ
والضَّيفَ إنّ له عليك وَسِيلةً ... لا يتركَنَّكَ ضُحكةً للنُّزَل
ورفيق رَحْلِك لا تُجَهِّلْ إنَّما ... جَهل الرَّفيقِ على الرَّفيق النَّيْطَلِ[2]
واشْغَبْ[3] بِخَصْمِك إنّ خَصْمَك مِشْغَبٌ ... وإذا علوتَ على الخُصوم فأَجْمِلِ
واسْتَوْصِ خَيراً بِالعَشِيرة كُلِّها ... ما حَمَّلُوك مِنَ المثاقل فاحْمِل
يصلوا جَناحَك يا بُنَيَّ وإنَّمَا ... يعلو الشَّوَاهِقَ[4] ذو الجناحِ الأجدلِ[5]

---

(١) إقامتكم.
(٢) «النَّيْطَلُ: الرَّجل الدَّاهية» [القاموس المحيط: ١٠٦٣].
(٣) «الشَّغْبُ، ويُحَرَّك، وقيل لا يُحرّك: تَهييج الشَّرِّ، كالتّشغيب» [القاموس المحيط: ١٠٢].
(٤) الأعالي.
(٥) القَويّ المُحكم.

إنّ امـرأً لا يَـسْـتَـعِـدُّ رِجَـالُـه ... لـرحـال آخَـرَ غَـيْـرِهِ كـالأَغْـزَلِ
وإذا أتـتـكَ عِـصَـابَـةٌ فـي شُـبْـهَـةٍ ... يـتـحـاكـمـون إلـيـك يـومـاً فـاعْـدِلِ
واصـدُق إذا حَـدَّثـت يـومـاً مَـعْـشَـراً ... وإذا عَـيِـيـتَ بـأصـل عـلـم فَـاسْـأَلِ
وذَرِ الـمـجـاهـلِ إنَّـمـا مَـشْـؤُومـة ... وإنْ امـرؤٌ أهـدى الـنَّـصِـيـحـة فـاقْـبَـلِ

[«الأمالي» ص٤٤٧ ـ ٧٤٨]

❊ ❊ ❊

◄ خَبَرُ المجشّر وشعره في مدح زياد:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو عبدالله إبراهيم رحمه الله قال: حدّثنا أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي، قال: كان المُجَشَّرُ في الشَّرَفِ من العطاء، وكان دَميماً[1]، فقال له عبيدالله ذات يوم: كم عِيالُكَ؟ فقال: ثَمَانُ بَنَاتٍ، فَقال: وأين هُنَّ منك؟ فقال: أنا أحسن منهنّ، وهنّ أكمل منّي، فضحك عبيدالله وقال: جَادَ ما سألت لهنّ! وأمر له بأربعة آلاف، فَقال:

إذا كُـنـت مُـرْتَـادَ الـرِّجـالِ لِـنـفـعـهـم ... فَـنَـادِ زِيَـاداً أو أخـاً لِـزِيَـادِ
يُجِبك امرُؤٌ يُعطي على الحمد مَالَهُ ... إذا ضَنَّ[2] بِالمعروفِ كلّ جَوادِ[3]
ومَـا لِـيَ لا أُثـنـي عـلـيـه وإنَّـمـا ... طـريـفِـيَ مـن أمـوالـه وتِـلاَدِي[4]
هُـمُ أدركُـوا أمـر الـبَـرِيَّـةِ بـعـدَمَـا ... تـفـانَـوا وكـادُوا يُـضْـبِـحـونَ كَـعَـادِ

[نفسه ص٤٠٦ ـ ٤٠٧]

❊ ❊ ❊

---

(١) «الدَّمِيمُ، كأمِيرِ: الحَقِيرُ» [القاموس المحيط: ١١٠٨].
(٢) بَخِل.
(٣) مالي الحديث.
(٤) مالي القديم.

➢ شِعر في الشُّكر لأهل الخَيرِ وذَمِّ اللَّئيم:

قال أبو علي رحمه الله: أنشدنا أبو بكر، قال: أنشدنا الرياشي، قال: أنشدنا أبو العالية الرِّياحي:

إذا أنَا لم أَشْكُر على الخَيرِ أَهلَهُ ... ولم أذْمُم الجِبْسَ[1] اللَّئيمَ المُذَمَّمَا
فَفِيمَ عَرَفْتُ الخَيرَ والشَّرَّ باسْمِه ... وشَقَّ لِيَ الله المسَامِعَ والفَمَا

[نفسه ص٤١١]

❋ ❋ ❋

➢ ترى أهله في نعمة وهو شاحِب:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثني أبو عمر، عن أبي العبّاس، أنّ ابن الأعرابي أنشدهم:

فتى مثلُ ضَوْءِ الماءِ ليس بِبَاخِلٍ ... بِخيرٍ ولا مُهْدٍ مَلاَماً لِبَاخِلِ
ولا قائِلٍ عَوْرَاء[2] تؤذِي جَليسه ... ولا رَافعٍ رأساً بِعوراء قائِلِ

قال أبو علي: هذا عندي من المقلوب، أراد بقائل عوراء.

ولا مُظْهِرٍ أُحْدُوثة السُّوء مُعجباً ... بإعلانها في المجلس المتقابل
وليس إذا الحَرْبُ المُهمّة شَمَّرت ... عن السَّاقِ بِالوَانِي[3] ولا المتَضائِل

---

(١) «الجِبْسُ، بِالكسر: الجامدُ الثقيلُ الرُّوح، والجبانُ، واللَّئِيمُ» [القاموس المحيط: ٥٣٥].

(٢) «العَوْرَاءُ: الكلمةُ أو الفِعْلَةُ القَبيحة» [القاموس المحيط: ٤٤٦].

(٣) «الوَنَى، كفَتًى: التَّعَبُ» [نفسه، ص١٣٤٤].

تَرَى أهله في نِعْمَةٍ وهو شَاحِبٌ[(١)] طاوِيَ البطنِ مِخْمَاصُ[(٢)] الضُّحى والأَصائِلِ[(٣)]

[نفسه ص٤١٥]

❋ ❋ ❋

➢ وليس له عن طالبِ العُرف حاجِب:

قال أبو علي: أنشدنا أبو بكر بن دُريد ـ أيضاً ـ قال: أنشدني أبي:

يَصُمُّ عن الفَحْشَاءِ حتى كأنَّهُ إذا ذُكِرَتْ في مجلس القوم غَائِب
له حاجِبٌ عن كلِّ ما يَصِمُ الفَتى وليس له عن طالب العُرق حَاجِب

[نفسه ص٢٢٩]

❋ ❋ ❋

➢ جُودٌ بِالحياة!!

قال أبو علي: قرأت على أبي بكر بن دُريد لبكر بن النّطاح:

ولو خَذَلَتْ أموالُهُ جُودَ كَفِّهِ لقاسم من يَرجُوه شَطْرَ حَيَاتِهِ
ولو لَمْ يَجِدْ في العُمْرِ قِسْماً لزائِرٍ لَجَادَ لَهُ بِالشَّطر من حَسَنَاتِه

[نفسه ص٢٣٧]

❋ ❋ ❋

(١) «شَحَبَ لَوْنُهُ، كجَمَعَ ونَصَرَ وكَرُمَ وعُنِيَ، شُحُوباً وشُحُوبَةً: تَغيّرَ من هُزَالٍ أو جُوع أو سَفر» [القاموس المحيط: ٩٩].

(٢) «المَخْمَصَةُ: المجَاعة، وقد خَمَصَهُ الجُوع خَمْصاً ومَخْمَصَةً. وخَمِصَ البطنُ، مُثلّثة الميم: خَلاَ» [نفسه، ص٦١٨].

(٣) «الأَصِيلُ: العَشِيُّ. الجمع: أُصُلٌ، بِضمّتين، وأُصْلاَنٌ وآصَالٌ وأَصَائِل» [نفسه، ص٩٦١].

➢ أهلاً وسهلاً ومَرحباً:

قال الشّاعر بهاء الدِّين زُهير (٥٨١هـ ـ ٦٥٦هـ):

أَيُّـــهَـــا الـــزَّائِـــرُونَ أَهْـــ ـلاً وسَـــهْـــلاً ومَـــرْحَـــبَـــا
لَـسْـتُ أنـسـى جَـمِـيـلَـكـم كـلّـمـا هَـبَّـتِ الـصَّـبَـا[1]
وقَـلِـيـلٌ لِـمِـثْـلِـكـم بَـسْـطُ خَـدِّي تَـأَدُّبَـا
إنَّ يَـــومـــاً أراكُـــم ذاكَ يـــوم لَـــهُ نَـــبَـــا

[«ديوان بهاء الدِّين زهير» ص٣٧]

❋ ❋ ❋

➢ يَا ذا النَّدى والمعالي:

وقال:

يـــا ذا الـــنَّـــدَى والـــمَـــعَـــالِـــي والـعِـشْـرَةِ الـمُـسْـتَـطَـابَـهْ
ورُبَّ رايـــةِ مَـــجْـــدٍ قَـدْ كُـنْـتَ فـيـهـا عَـرَابَـهْ[2]
إنَّـــا لِـــبُـــعْـــدِكَ عَـــنَّـــا فـــي وَحْـــشَـــةٍ وكـــآبَـــهْ[3]
وقَـــدْ شَـــوَيـــنـــا خَـــرُوفـــاً وتَـــحـــتـــه جُـــوذَابَـــهْ[4]
والـــجُـــوعُ قَـــد نـــالَ مِـــنَّـــا فَـــكُـــنْ سَـــرِيـــعَ الإجَـــابَـــهْ

---

(١) «الصَّبَا: رِيحٌ مَهَبُّهَا مِن مَطْلَعِ الثُّرَيَّا إلى بَنَاتِ نَعْشٍ، وتُثَنَّى صَبَوَانِ وصَبَيَان الجمع: صَبَوَاتٌ وأَصْبَاءٌ» [القاموس المحيط: ١٣٠٢].

(٢) عرابة: هو عرابة بن أوس بن حَارثة الأنصاري، كان سَيِّد قَومه، ويشير هُنا الشاعر في قَوله: «ربّ راية مَجْدٍ» إلى قول الشمّاخ بن ضرار في عرابة:
إذا مـــا رَايَـــةٌ رُفِـــعـــت لِـــمـــجْـــدٍ تَـــلَـــقّـــاهَـــا عـــرابَـــةُ بِـــالـــيـــمـــيـــن

(٣) الكآبَةُ: الغَمُّ.

(٤) الجُوذَابَة: طعام يُتّخذ من سكر ورُزّ ولحم.

وإنْ تـأخَّـرتَ صَـارَتْ ... لـنـا عـلـيـك طُـلاَبَـهْ

[نفسه ص٣٨]

***

➢ حالة إفلاس:

وقال:

وصَـاحِـبٍ أصـبـحَ لـي لائِـمـاً ... لـمّـا رأى حـالـةَ إفـلاسِـي
قُـلـتُ لـه إنِّـي امـرؤٌ لـم أزَلْ ... أُفني على الأكياسِ[1] أكياسِي[2]
مـا هٰـذه أوّل مـا مَـرَّ بِـي ... كـم مِـثـلـهـا مَـرّ عـلـى رَأسِـي
دعـنـي ومـا أرضـى لـنـفـسـي وَمَـا ... عَـلـيـك فـي ذٰلـك مِـنْ بَـاسِ
لـو نـظـر الـنَّـاسُ لأحـوالـهـم ... لاشـتـغـلَ الـنّـاس عـن الـنَّـاسِ

[نفسه ص١٧٨]

***

➢ لا بُدَّ للنَّاسِ من النَّاس:

وقال:

مـا أصـعـبَ الـحـاجَـةَ لـلـنَّـاسِ ... فـالـغُـنـمُ مِـنـهُـم رَاحَـةُ الـيَـأسِ
لـم يَـبْـقَ فـي الـنَّـاسِ مُـوَاسٍ لِـمَـنْ ... يُـظـهـر شَـكـواه ولاَ آسِ
وبـعـد ذا مـا لَـكَ عـنـهـم غِـنًـى ... لا بُـدَّ لـلـنّـاسِ مـن الـنَّـاسِ

[نفسه ص١٧٩]

---

(١) الأكياسُ الأولى: واحدها كَيِّس، الظريفُ الفَطِن.

(٢) واحدها كيس: أي: كيس المال.

➢ باب الجُود:

وقال:

يــا سَــيِّــداً مــا زال بَــا ... بُ جُــودِهِ مَــطْــرُوقــا
جِـئـتُ طـرِيـقـيـن فَـمـا ... وَجَـدتُ لـي طـرِيـقـا

[نفسه ص٢٣٥]

❊ ❊ ❊

➢ أَمير لَهُ في الجُود كُلّ غَريبة:

وقال يُهَنِّئ الأمير الأجل نصر الدِّين أبا الفتح بن اللّمطي بقدومه:

أبى الله إلاّ أَنْ تَسُودَ وتَفْضُلاَ ... ويبطُل كَيد الحَاسِدين ويُخْذَلا
وقاكَ الذي تَخشاه من كُلِّ حَادِثٍ ... جَمِيل رعاك الله فِيه تَطَوُّلا
فَلا أدركَ الحُسَّادُ ما فِيك أمَّلُوا ... وأدركت ما فيهم غَدوتَ مُؤَمِّلا
سَعَيتَ لأمرٍ كَامليٍّ أطعته ... أطعت بِه أمرَ الإلٰه المنزَّلاَ
وكانَ مَسِيراً فِيه أوفى مَسَرَّةٍ ... وصارَ فُضُولُ الحاسِدين تَفَضُّلاَ
وما أُغْمِدَ[1] الهنديُّ[2] إلاّ لِيُنْتَضَى[3] ... وما ثُقِّفَ[4] الخَطِيُّ[5] إلاّ لِيُحْمَلاَ
فَلِلَّه يَومٌ أَنتَ فيهِ مُسَلَّمٌ ... وَهَبتَ له جُرْمَ الزَّمانِ الذِي خَلا
فإن ذكروا يوماً أَغَرَّ[6] مُحَجَّلا[7] ... فإيَّاه يَعْنُونَ الأغَرَّ المُحَجَّلاَ

---

(١) «الغِمْدُ، بالكسر: جَفْنُ السَّيف، كالغُمْدَان» [القاموس المحيط: ٣٠٤].
(٢) السَّيفُ المنسوبُ للهند.
(٣) «نَضَا السَّيفَ: سَلَّهُ، كانْتَضَاهُ» [نفسه، ص١٣٣٩].
(٤) «الثِّقَافُ، ككتاب: ما تُسَوَّى بِه الرِّماحُ» [نفسه، ص٧٩٥].
(٥) «الخَطُّ: مَرفأ السُّنن بِالبحرين، ويُكسر، وإليه نُسبت الرِّماح» [نفسه، ص٦٦٥].
(٦) «الأَغَرُّ: الأبيض من كُلِّ شيء» [القاموس المحيط: ٤٤٩].
(٧) «التَّحجيلُ: بيَاضٌ في قوائم الفَرَسِ كُلِّها» [نفسه، ص٩٨٢].

لَقَد ضَلَّ مَنْ يَبْغِي لِنَصْرٍ إسَاءَةً ... وخَابَتْ مَسَاعِيهِ وخَانَ التَّفَضُّلاَ
أميرٌ لهُ في الجُودِ كُلُّ غَريبَةٍ ... بِها يَطْرَبُ الرَّاوِي إذَا مَا تَمَثَّلا
أعزُّ الوَرَى قَدراً وأمنعُهم حِمَى ... وأكرمهم نَفساً وأرفعهم عُلَى
وما قِسْتُهُ في النَّاسِ قَطُّ بِماجِدٍ ... وإنْ جَلَّ إلا كَان أزكى وأفضلا
سواءٌ عليه أن يُجَرِّد عَزْمَهُ ... إذا نَابَ[١] خَطْبٌ[٢] أو يُجَرِّد مُنْصُلا
أَخُو يَقظةٍ لو أَنَّ بعض ذَكَائِهِ ... أَلَمَّ[٣] بِأَطْرَافِ الذُّبَال[٤] لأَشْعَلاَ
بِه افتخرتْ تيمٌ وعَزَّ قَبيلُهَا[٥] ... وأصبح منها مَجْدُها قَد تَأَثَّلا[٦]
أمولايَ لُقِّيتَ الذي أَنتَ آمِلٌ ... وبُقِّيتَ للرَّاجِي نَدَاكَ مُؤَمَّلاَ
وهُنِّئْتَ أبناءَ كِرَاماً أعِزَّة ... رأيت لَهُم مثلَ الضَّرَاغم[٧] أَشْبُلاَ
صِلاتُهُم في الجُود أضحت عوائِداً ... وسَائِلُهم في النّاسِ لَنْ يَتَوَسَّلا
إذا رَكِبوا في الرَّوع[٨] زَانُوكَ مَوْكِباً ... وإنْ نَزَلُوا في السِّلم زانُوكَ مَحْفِلاَ
بُحُورٌ بُدُورٌ في النَّوَالِ[٩] وفي الدُّجَى[١٠] ... غُيُوثٌ لُيوثٌ في المُحُولِ[١١] وفي الفَلا[١٢]
فَلا عَدِمُوا مِن فَضلك الجَمّ أَنْعُماً ... أحلّتهُمْ روضَ السَّعَادةِ مُقْبِلاَ
عَسَى نَظرة من حُسْنِ رَأيك صُدْفَةً ... تَسُوقُ إلى جَدبي بها الماءَ والكَلاَ
فَها أَنَا ذَا أشكو الزَّمانَ وصَرْفَهُ ... وتأنَفُ لي علياكَ أنْ أتبذَّلاَ

---

(١) نَزل.
(٢) أمرٌ عظيم.
(٣) «أَلَمَّ به: نَزَل، كَلمَّ والْتمَّ» [القاموس المحيط: ١١٥٩].
(٤) «الذُّبَالَ: الفَتيلَة» [نفسه، ص١٠٠١].
(٥) «القَبيلُ: الجَماعة من الثَّلاثة فَصاعِداً مِن أَقَوام شتى» [نفسه، ص١٠٤٥].
(٦) «تَأَثَّلَ: عَظُمَ» [نفسه، ص٩٦٠].
(٧) الضِّرْغَامُ: الأَسَدُ.
(٨) الرَّوْعُ: الفَزعُ.
(٩) العطاء.
(١٠) الظَّلام.
(١١) المَحْلُ: الجَدْبُ.
(١٢) الصَّحراء.

مُقِيمٌ بأرضٍ لا مُقَامَ بِمِثْلِها ... ولولاكَ ما أَخَّرْتُ أَنْ أَتَحَوَّلاَ
فَجُدْ لِي بِحُسْنِ الرَّأيِ منك لَعَلَّنِي ... أرى الدَّهر مِمَّا قَدْ جَرَى مُتَنَصِّلاَ
وحَسْبُ امرئ كانت أياديك ذُخْرَهُ ... إذَا طَرقَتْ أحداثُهُ مُتَمَوّلاَ(١)
وَمَا زلتُ مُذْ أصبحتُ في النَّاسِ قاصِداً ... جَنَابَكَ مَقْصُودَ الجَنَابِ مُبَجَّلاَ
وهل كُنتُ إلا السَّيْفَ خَالَطَهُ الصَّدَا ... فَكنتَ له يا ذَا المواهِبِ صَيْقَلاَ(٢)
ومَا لِيَ لا أَسْمُو إلى كُلِّ غَايَةٍ ... إذا كُنتَ عَوْنِي في الزَّمَانِ وكَيفَ لاَ

[نفسه ص٢٥٩]

❊ ❊ ❊

➢ المنزل المضياف:

وقال:

لِي مَنْزِلٌ إنْ زُرْتَهُ ... لم تَلْقَ إلاّ كَرَمَكْ
وإنْ تَسَلْ عَمَّنْ بِهِ ... لم تَلْقَ إلاَّ خَدَمَكْ

[نفسه ص٢٩٦]

❊ ❊ ❊

➢ كريم رأى ضَيْفاً فَدَرَّتْ مَكَارِمُه:

وقال:

وقَفْتُ على مَا جَاءني مِنْ كِتابِكم ... وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ في التُّرْبِ خَاتِمُهْ
كتابٌ رأيتَ الحُسْنَ فِيهِ مُفَصَّلاً ... كما فَصَّلَ اليَاقُوتَ بِالدُّرِّ نَاظِمُهْ

(١) «مُلْتَ تَمَالُ ومِلْتَ وتَمَوَّلْتَ واستَمَلْتَ: كَثُرَ مَالُكَ» [القاموس المحيط: ١٠٥٩].
(٢) الصَيْقَلُ: شَحَّاذُ السُّيُوف.

وكَانَ لَهُ نَشْرٌ[١] يَفُوحُ وبَهْجَةٌ ... كما افْتَرَّ[٢] عن زَهْرِ الرِّياضِ عَمائِمُهْ
تَضَاعَفَ عندي منهُ حينَ قَرَأتُه ... من الشَّوقِ والتَّبريح[٣] ما اللَّهُ عَالِمُهْ
وبَادرَهُ بِالدَّمعِ جَفْنِي كَأَنَّه ... كرِيمٌ رأى ضَيفاً فَدَرَّتْ مَكَارِمُهْ

[نفسه ص٣١٢]

❋ ❋ ❋

➢ اكتبوا له بِها كِتَاباً:

أخبرني العبَّاس بن هشام بن محمد، عن أبيه، عن خالد بن سعيد بن عمرو الأموي، قال: دخَل كُثَيِّر على عبدالملك بن مروان، فَقَال: يا أمير المؤمنين! أرضٌ لك يقال لها: «غُرَّبٌ» رُبّما أتيتها وخرجت إليها بولدي وعِيالي، فأصبنا مِن رُطبها ومن ثَمرها شرَاءً مَرَّةً وطُعمة مَرَّة، فإن رأى أمير المؤمنين أَنْ يُعيرنيها فَعَل. فقال له عبدالملك: ذٰلك لك، فَندّمَه النّاسُ وقالوا: أنت شاعِرُ الخَليفة ولك منه منزلة عظيمة، هلاَّ كنت سألته الأرض قَطيعة؟ فأتى الوليد فقال: إنّ لِي إلى أمير المؤمنين حَاجة، قال: إنَّك لا تستمكن منه، إنَّما يُؤتى بِرذوته فيركبه إذا انصرف عن مَكّة - وكان بِمكّة - قال: أجلسني قريباً من البرذون، فأجلسه قَريباً منه. فلمّا استوى عبدالملك على البِرذون قام فقال له عبد عبدالملك: إيهِ، وعرف أَنَّه له حاجة. فقال:

جَزَتكَ الجَوازي عن صَدِيقِكَ نَضْرَةً[٤] ... وأدناكَ رَبّي في الرَّفيق المقرَّبِ
فإنّك لا تُعطي عليك ظُلامَةً[٥] ... عَدُوًّا ولا تأبى من المُتَقَرِّبِ

---

(١) «النَّشْرُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ، أو أَعَمُّ» [القاموس المحيط: ٤٧٢].
(٢) «افتَرَّ البرقُ: تَلألأ» [نفسه، ص٤٥٥].
(٣) «تَبَارِيحُ الشَّوْق: تَوَهُّجُه» [القاموس المحيط: ٢١٣].
(٤) «النَّضْرَةُ: النَّعمة، والعَيْشُ، والغِنى، والحُسْنُ» [القاموس المحيط: ٤٨٣].
(٥) «الظُّلاَمة: مَا تَظَلَّمَهُ الرَّجُل» [نفسه، ص١١٣٤].

وإنَّـكَ مَـا تَـمْـنَـعْ فـإنَّـكَ مَـانِـعٌ بِـحَـقٍّ ومـا أَعـطـيـتَ لـم يُـتَـعَـقَّـبِ[١]

قال: لعلّك أردت غرّباً، قال: نَعم، يا أمير المؤمنين! قال: اكتبوا له بِها كتاباً، ففعلوا.

[«مكارم الأخلاق» لابن أبي الدُنيا ص١٤٣]

❋ ❋ ❋

➢ إذا ابتذَرَ النّاسُ المكارمَ بَذَّهَا:

أخبرني العَبَّاس بن هشام، عن أبِيه، عن خالد بن سعيد، قال: دخل كُثيِّر على عبدالعزيز بن مروان فأنشد:

إذا ابْـتَـدَرَ[٢] الـنّـاسُ الـمـكـارِمَ بـذَّهَـا[٣] عَـرَاضـة أخـلاق ابـن لـيـلـى وطُـولـهـا

حتى فَرغ منها فأُعجب بذٰلك عبدُالعزيز، قال: حُكمك، يا أبا صَخر! قال: أحتكم أن أكون مكان ابن رُمَّانة ـ وكان ابن رُمَّانة كاتبه وصاحب أمره ـ فقال عبدالعَزيز: تَرْحاً[٤] لَكَ، ومَا أَردت إلى هٰذا ولا أعلم لكَ بِخراجِه ولا بِكتابه، اخرُج عَنّي. فَندِمَ كُثَيِّر ثمّ لم يَزل حتى دخَل عليه فَقال:

عـجِـبـتُ لأخْـذِي خُـطَّـةَ الـغَـيِّ[٥] بـعـدَمَـا بَـدَا لِـيَ مِـن عـبـدالـعَـزِيـز قَـبُـولـهـا

وأَمِّـيَ[٦] صَـعْـبَـاتِ الأُمـورِ أرُوضـهـا وقـد أمـكـنـتـنـي قـبـل ذَاكَ ذَلُـولـهـا

---

(١) «اسْتَعْقَبَهُ وتَعَقَّبَهُ: طَلبَ عورتَهُ أَو عَثْرَتَهُ» [القاموس المحيط: ١١٧].
(٢) «بَادَرَهُ مُبَادَرَةً وبِدَاراً، وابْتَدَرَهُ، وبَدَرَ غَيره إليهِ: عَاجَله» [القاموس المحيط: ٣٤٧].
(٣) غلبها.
(٤) «التَّرَحُ؛ محرّكة: الهَمُّ، تَرِحَ، كفَرِحَ، وتَتَرَّحَ وتَرَّحَهُ تَتريحاً» [القاموس المحيط: ٢١٤].
(٥) ضدّ الرُّشد.
(٦) قَصدي.

وأنت امرؤٌ من أَهلِ بيتِ عَمَارةٍ ... أمورٌ بِخيراتِ الأُمُور فَعولُها
فَلم أَرَ رَكْباً جاءَنَا لَكَ حَاذِياً ... ولا خُلَّةَ[1] يَزْرِي[2] عَليك دَخِيلُها
ذرا الله في أرضِ ابنِ ليلى بَنَاتِها ... فَأَمْرَعَ[3] جَوْفَاها وبُورِك نَيلُها

فَقال: أما الحُكمُ فَلا، وقد أَمرنا لك بعشرين ألفاً.

[نفسه ص١٤٤]

❋ ❋ ❋

➤ عَبدُالله أكرَمُهُم نِصَاباً:

أخبرني العبّاس بن هشام، عن أبيه، عن يحيى بن عُلَيم، عن أبيه، قال: قدم الأخطل الشّام على بعض بني أميّة فامتدحه، فأخبر بعبدالله بن سعيد بن العاص مُتَبَدِّياً فيما بين المدينة والشام، وكانت جَدَّتُه ـ أُمّ أُمّه ـ تَغلبِيّة وعبدالله يَومئِذٍ غُلام، فأتاه الأخطل فأنشده قَصيدته التي يقول فيها:

فَمَنْ يَكُ سَائِلاً بِبَنِي سَعِيدٍ ... فَعبدُاللَّهِ أَكْرَمُهُم نِصَابَا

وأَمر له بخمسة آلاف دِرهم وناقة بِرحلها، فقيل له: أعطيت أعرابياً نَصرانيًّا ما أعطيته ولم تستمدحه، وإنَّما كان يُرضيه اليَسير، فقال عبدالله: عليّ بِالأخطل. فَجاءه فَقال: إنِّي أعطيتك ولم آمرك بشيء فهي لك في كُلِّ سَنَة، فإذا بَدَا لك فَتعال.

[نفسه ص١٤٤]

❋ ❋ ❋

---

(١) خصلة.
(٢) يعيب.
(٣) «مَرَعَ الوَادِي، مثلّثة الرّاء، مَرَاعَةً: أكلأَ، كأَمْرَعَ» [القاموس المحيط: ٧٦٣].

➢ إنَّهم لا يعينون أَحداً على رحلتهم عَنّا:

حدَّثني المفضّل بن غَسَّان، حدّثني أبي، حدّثني أبو عمر القُرشي المَكِّي، قال: خرج قوم من قريش يُريدون بعض الخُلفاء بِالشام، فَمرّوا قريباً من أبي بكر بن عبدالرَّحمٰن بن الحارث بن هشام، فقالوا: لَو مِلْنَا إلى أبِي بَكر، فَمالوا إليه فَحبسهم، ثمّ أرسل إليهم بِثوب فيه مَالٌ تحمله عِدَّة، وقال: لو كان عندنا أكثر من هٰذا أرسلنا بِه إليكم، فلمّا رأوا ذٰلك، قالوا: ما نحتاج إلى الذَّهاب في وجهنا، في هذا ما نكتفي بِه، فارتحلوا، فَلم يَدْنُ منهم أحد منْ غِلمانه وحَشَمِهِ يُعينهم على رحلتهم، فَلمّا ودَّعُوه قالوا: لقد رأينا من بِرِّك وإكرامك وصنيعك ما أعجبنا، ولكنَّا رأينا شيئاً أنكرناه عند رحلتنا، لم يَدْنُ منَّا أحد من غلمانك وحشمك فَيعيننا على رحلتنا حتى تُكلّفنا نحن ذٰلك، فضحك وقال: إنَّهم لا يعينون أحداً على رحلتهم عنّا.

[نفسه ص١٤٤]

❋ ❋ ❋

➢ من ذا الذي يَثني السَّحاب عن القَطرِ:

قرأت على أبي جعفر أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قُتيبة، عن أبيه للأسدي:

ولائِمَةٍ لامَتْكَ يا فَيْضُ في النَّدَى ... فقلت لها هل يَقدح اللَّوْمُ في البَحْرِ
أرادَتْ لِتثني الفيضَ عن عادة النَّدَى ... ومَن ذا الذي يثني السَّحَاب عن القَطرِ
مواقع جود الفَيض في كلِّ بَلدة ... مواقع ماء المُزن في البلدِ القفرِ

وحدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبيه، عن يونس، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: لمّا تُوِّج النُّعمان واطمأنّ به سريره، دخل عليه النّاس وفيهم أعرابي فأنشأ يقول:

إذا سُسْتَ قَوماً فاجْعَلِ الجُودَ بَينهم ... وبينك تأمَن كُلَّ ما تَتخَوّف
فإن كُشفت عندَ المُلِمّاتِ عورةٌ ... كفاك لِباس الجُود ما يُتَكَشَّفُ

فقال: مقبول منك نُصحك؟ ممّن أنت؟ قال: أنا رَجل من جَرم، فأمر له بمائة ناقة، وهي أوّل جائزة أجازها.

وقرأت على أبي بكر ـ وأنشدناه أبو عبدالله نفطويه، عن أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي لقيس بن عاصم المنقري:

إنّي امرؤ لا يعتري حَسبي ... دَنَسٌ يُفَنِّدُه ولا أَفْنُ
مِنْ مِنقَرٍ في بيتِ مكرُمةٍ ... والفرع يَنْبُت حولَه الغُصْنُ
خُطباء حين يقول قائِلهم ... بِيضُ الوُجوهِ مَصَاقِعٌ لُسْنُ
لا يفطنون لعيب جَارِهمُ ... وهم لحفظ جِوَاره فُطْن

وأنشدنا أبو بكر، قال: أنشدنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة للعَرَنْدَسِ أحد بني بكر بن كلاب يَمدح بني عمرو الغَنَوِيِّين، قال: وكان الأصمعي يقول: هٰذا المُحَالُ، كِلابِيٌّ يمدح غَنَوِيًّا!:

هَيِّنُون لَيِّنُون أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ ... سُوَّاسُ مكرُمةٍ أبناء أيسارِ
إنْ يُسألوا الخَير يُعطوه وإنْ خُبِرُوا ... في الجَهْدِ أُدرِكَ مِنهم طِيبُ أَخْبَارِ

[«الأمالي» للقالي ص٢٢٩ ـ ٢٣٠]

❋ ❋ ❋

➢ الجودُ منهم خَلِيقة:

قال الحُطيئة جَرول بن أوس:

١ ـ أدار سُليمى بِالدَّوانك فالعُرْفِ ... أقامَ على الأَرواحِ والدِّيم الوُطْفِ

الدَّوَانِكُ والعُرْفُ: موضعان.

والدِّيَمُ: جمع دِيمةٍ: وهي المَطرة تَدُوم اليومين والثَّلاثة بِسكون، يُقال: دامت السَّماء تَدِيمُ دِيَماً، وتَدومُ لُغة، وهي أرض مُدَيَّمَة.

والوُطْفُ: جمع أوطَف ووطفاء، وهي سحابة وَطْفَاءُ: إذا كَانَ لها حَمل من رَيّها. والوَطَفُ في الأسفارِ: أَن تَطول ويكون فيها استرخاء. ويُروى: ديار سليمى.

والعُرْفُ في غير هذا الموضع: المعروف.

وواحد الأرواح: رِيح، وأرواح إِلى العَشرة. قال: والدِّيمة الَّتِي تأتي على هيئتها.

والوطفاءُ: الدّانية القريبةُ منَ الأرض، وكَذٰلك الهطلاءُ، وأنشد لامرئ القيس:

دِيـــمَـــةٌ هَـــطـــلاءُ فِـــيـــهـــا وَطَـــفٌ

٢ ـ وقفتُ بها فاسْتَنْزَفَتْ مَاءَ عَبْرَتي[١] بِها العَيْنُ إلاَّ مَا كَفَفْتُ بِه طَرْفِي[٢]

وقوله: استنزَفَتْ: أي: استنزفَت عَيناي ماءَ عَبْرَتِي. أي: إلاَّ أَن أُغْمضَ.

يقول: جعلتُ أَردُّ بكاي وقد اغرورقت عيناي بِماء.

٣ ـ يَقُولونَ يَسْتَغْنِي ووالله مَا الغِنَى مِنَ المالِ إلاَّ مَا يُعِفُّ[٣] ومَا يَكْفِي

٤ ـ لَعَمْرِي لَشَدَّتْ حَاجَةٌ قَد علمتها أَمامي وأخرى لو رَبَعْتُ لهَا خَلْفِي

لَشَدَّت: أَي: مَا أَشَدَّها. ورَبَعْتُ: أَقَمْتُ، أي: حاجَة خَلفي وأُخرى أَمامي.

---

(١) «العَبْرَةُ، بِالفتح: الدَّمعةُ قبل أن تَفيضَ، أو تَرَدّد البُكاء في الصَّدر، أو الحُزنُ بِلا بُكَاء، الجمع: عَبَرَاتٌ وعِبَرٌ» [القاموس المحيط: ٤٣٥].
(٢) «الطَّرْفُ: العَيْنُ، لا يُجمع» [نفسه، ص٨٣١].
(٣) يُعِفُّ: يبعث على التَّعَفُّفِ والقَناعة.

غَيره: رَبَعْتُ: انْتَظَرتُ، يقالُ: ارْبَعْ عَلَيَّ: أي: قِفْ عَلَيَّ.

٥ ـ فَهَلاَّ أَمَرْتِ ابنَيْ هِشام فَيَمْكُثَا   على ما أصابَا مِنْ مِئينَ ومِنْ أَلْفِ

٦ ـ منَ الرُّومِ والأُخبُوشِ حتَّى تَناوَلاَ   بِبَيعِهما مالَ المرازِبَة الغُلْفِ

أَي: أمرتني بِالاقتصاد، فَهلاَّ أمرت هٰذين، يعني: ابني هشام بن المغيرة. وروى: فَيربعا: أي: يَكُفَّا، يقال: ارْبَعْ عن هٰذا الأمرِ أَيْ: كُفَّ.

يقول: أصابا من الرُّوم مَالاً كَثيراً.

والأُخبُوشُ: جمع الحَبَشِ، وفي غير هذا: الجَماعة تجتمع، قال العَجَّاجُ:

بِالرَّمْلِ أُخبُوشٌ منَ الأَنْبَاطِ

أي: تَجَمَّعُوا. ويُقال: قَد هَبَش لَهُ وحَبَشَ له أشياء: إذا جمع له.

والمرَازبة: مُلُوك فارس.

والغُلْفُ: القُلْفُ.

٧ ـ ومَا كانَ ممَّا أَصْبَحَا يَجْمَعَانِهِ   من المالِ إلاَّ بِالتَّحرُّفِ والصَّرْفِ

التَّحَرُّفُ: الاكتساب، يقال: فُلان يَحترف لِعياله، أي: يكتسب.

والصَّرْفُ: أَن يَتصرَّفَ في الأمورِ والطَّلب والتِّجارة، يُقال: مَا حِرْفَتك؟ أي: تجارتك.

٨ ـ وهَلْ يُخلِدَنَّ ابنَيْ جُلاَلَةَ مَالُهُمْ   وحِرْصُهُم عندَ البِياعِ عَلى الشِّفِّ

الشِّفُّ: الفَضْلُ والربح، يُقال: لا تُشِفَّ بعض الوَرِق على بعض فيكون رَبْواً، ويُقال: هٰذا الغلام أشقُّ من هٰذا: أي: أكبر منه، ويقال: هٰذا الدِّرهم يشفّ قليلاً، أي: ينقُص.

والشِّفُّ: منَ الأضدادِ يكون فَضلاً ويكون نُقْصَاناً. واشترى عُثمان بن عفّان إبلاً فَقال: من يُشِفُّنِي عُقلها: أي: يُربحني. والشِّفُّ: السِّتْرُ الرَّقيق.

٩ ـ نُبِّئْتُ أَنَّ الجُودَ منهم خَلِيقَةٌ　　يَجُودُونَ في يَبْسِ الزَّبِيبِ وفي القَطْفِ

يَبْسٌ: يَابِسٌ، وزعم الأصمعي أَنَّ اليَبْسَ جمعُ يَابِسٍ، كما يقول: رَاكِب ورَكْب، وتاجر وتَجْر.

والقَطف: القِطَافُ، أي: يَجُودون كُلّ وقت من الزَّمانِ.

غيره: أَراد بِالقطف المصدرَ، قَطف يَقْطِفُ قَطْفاً، وأرادَ قِطاف العِنب.

١٠ ـ فَبالظَّرْفِ نالاَ خَيْرَ ما أَصْبَحَا بِهِ　　ومَا المالُ إلاَّ بالتَّقَلُّبِ والظَّرْفِ

الظَّرف: أن يكون ظرِيفاً عاقِلاً، قال أبو عمرو: لو قالَ بِالتَّقَلُّبِ والطَّوْفِ كَانَ جَيِّداً، يُريد الطَّوَفان في البِلاد، فكذلك رواه النَّاس: وبِالطَّوفِ.

١١ ـ فِرَاقَ حَبِيب وانْتِهَاءَ عَنِ الهَوَى　　فَلا تَعْذُلِيني قَدْ بَدَا لَك ما أُخْفِي

ويُرْوى: فِرَاق جِنَاب، وجِنابٌ: مُجانَبة.

[«دِيوان الحُطيئة» برواية وشرح ابن السكيت قَدّم له ووضع هوامشه وفهارسه د.حنا نصر الحِتّي ص١٠٦ ـ ١٠٩]

❋ ❋ ❋

➢ هجاء بني بِجَاد مِنْ بني عبس:

وقال الحُطيئة يهجو بني بِجادٍ مِن بني عَبْسٍ:

١ ـ قَبَحَ الإلـهُ بَنِي بِجَادٍ إنَّهُم　　لا يُصلحون وما استطاعوا أَفْسَدُوا

٢ ـ بُلُدُ الحَفِيظَةِ واحِدٌ مَوْلاَهُمُ　　جُمُدٌ على مَنْ لَيسَ عنه مُجْمَدُ

أي: بُلُدٌ عند الحفِيظة وهي مَا يَحِقُّ على الرّجل أن يُحافظ عليه ويمنعه، والحَفِيظة والحِفْظَةُ: الغَضَبُ.

وبُلْدٌ: جمعُ بَلِيدٍ. وقَوله: «وَاحِدٌ مَوْلاَهُمْ» أي: لا ناصِرَ لَهُ. والمولى ابن العَمِّ والحَليف.

جُمُدٌ: أي: بُخلاء على مَنْ لا ينبغي لهم أَن يَبخلوا عليه، يُقال: إنَّه لجامد الكَفِّ: أي: بَخيل، وناقَةٌ جَمَادٌ: لا لَبنَ فِيها، وسَنَةٌ جَمَادٌ: لا مَطَرَ فيها.

٣ ـ أَغْمَارُ شُمْطٍ لا تَثُوبُ حُلُومُهُمْ   عِنْدَ الصَّبَاحِ إذا يَعُودُ العُوَّدُ

أي: هم مِن الشُّمط أَغْمَارٍ. لا تَثُوبُ: لا ترجع. وقوله: «عند الصّباح» وذٰلك أنّ الغارة إنّما تكون في وجه الصُّبح.

[نفسه ص١٥١ ـ ١٥٢]

* * *



كرم بَخيل:

قال الحُطيئة يهجو رجلاً مِن بني أسد اسمه صخر بن أعيا وكان يَنزل بِه فَقَرَاه وبَات عِنده، وكان الأسدي من بني أعيا بن طريف وهم إخوة بني فَقْعَس، ولم يكن ينزل بِالحُطيئة أحد إلاَّ هَجَاه، وكذٰلك كَان اللَّعين المنقري.

١ ـ لَمَّا رأيتُ أَنَّ مَا يبتغي القِرَى[1]   وأَنَّ ابنَ أَعْيَى لا مَحَالَةَ فاضِحِي

أي: فاضِحِي بِهجائه.

٢ ـ سَدَدْتُ حَيَازِيمَ ابنِ أَعْيَى بِشَرْبَةٍ   على نَاقَةٍ شَدَّت أُصُولَ الجَوَانِحِ

الحَيَازِيمُ: الصُّدُورُ، وإنّما قال: «حَيازيم» وله حَيْزُومٌ وَاحِدٌ فَجمعه بِما حوله.

(١) الضِّيافة.

شَدَّت: يُريد الشَّرْبَة شَدَّت أصولَ الجَوانح، يريد: جَوانح الصَّدر.

٣ ـ ومَا كُنتُ مِثْلَ الهالِكِيِّ وعِرْسِهِ بَغَى الوُدَّ مِنْ مَطْرُوفَةِ العَينِ طامِحِ
٤ ـ غَدَا بَاغِياً يَنْوِي رِضَاهَا وَوُدَّهَا وغابَتْ لَهُ غَيْبَ امرئ غَيْرِ نَاصِحِ

الهَالِكِيُّ: رجل من بَني أسد.

وعِرْسُهُ: امرأَتُهُ.

بَغَى: طلب مَوَدَّتها.

مَطْرُوفة: يُريد امرأة طرفت غَير زَوجها، فهي لا تنظر إلى زَوجها.

والمطرُوفَة: الّتي قد أبغضت زَوجها، فهي تنظر إلى الرِّجال، وهو يبغي ودّها وهي تُبغضه. والمطروفة في غيرِ هٰذا: التي قد أصاب طرفها طُرفة مِن ثَوب أو غيره.

بَاغياً أي: طالِباً.

وغابت: أي: أضمرت له الغِشَّ في صدرها.

٥ ـ دَعَتْ رَبَّها ألاَّ يَزَال بِحَاجَةٍ ولا يَغْتَدِي إلاَّ علَى حَدٍّ بَارِحِ

البَارِحُ: شُؤم وهُوَ ما ولاَّك مَيامِنه، وهو قول أبي عبيدة.

أبو عمرو وغيره: هو مَا ولاَّك مَيَاسِره.

٦ ـ فَلَمَّا رَأَتْ أَلاَّ يُجِيبَ دُعَاءَها سَقَتْهُ على لَوْحٍ[1] دِمَاءَ الذَّرَارِح

ألاَّ يَزال بِحَاجة: أي: لا يَزال مُحتاجاً. يُريد: لا يجيب رَبُّها دُعَاءَهَا.

واحِدُ الذَّرَارِح: ذُرَّاحٌ. وهو دُودٌ يكون في البَقْلِ.

٧ ـ فقالَتْ شَرَابٌ بَارِدٌ فاشْرِبَنَّهُ ولَمْ يَدْرِ مَا فاضَتْ لَهُ بِالمَجَادِحِ

---

(١) اللَّوْحُ: العَطَش.

المجادح: واحدها مِجْدَحٌ وهو الذِي يَحول بِه السَّويق.

٨ ـ فَشَدَّ بِذَا حُزْناً على ذِي حَفِيظة   وهَانَ بِذَا غُرْماً على كَفُّ جَارِحِ

أَي: ما أَشدَّ حُزْنَ الحطيئة بهذا المقتول. على ذِي حَفِيظة أي: عَلى ذِي غَضب.

وما أهون الغُرم: أي: ديَته.

على كَفُّ جَارح: يعني: قاتله.

٩ ـ أَخو المَرْءِ يُؤتَى دُونَهُ ثُمَّ يُتَّقَى   بِزُبِّ اللِّحَى جُرْدِ الخُصَى كَالجَمَامِحِ

قَوله: «يُؤتى دُونه» أي: على نفسه.

قوله: «ثُمّ يُتَّقى بِزُبِّ» أي: يُؤخذ بِالحدِّ.

وزُبُّ اللِّحى: كَثير شعور اللِّحى، يَعني: المَعِزَ.

والجَمَامح: واحدها جُمَّاح: وهو سَهْمٌ يَتَّخذه الصِّبيان.

رَدِيءٌ: يأخذون من الثُّمام قَضيباً يُجعل على رأسه تَمرة أو طينة ثم يرمي الصِّبيان لئِلاً يَضُرَّ أَحداً.

[نفسه ص١٥٩ ـ ١٦١]

* * *

➢ سُئِلْتَ فلم تَبخل ولم تُعطِ نائِلا:

قال الحطيئة لبني عَوفِ بن عامرِ بن ذُهل بن ثعلبة بن عكابة. وزعم أَنه قَدم الكُوفَة، فنزل في بني جُؤَيَّةَ رَهْطِه، وكان يزعُم أَنَه وأهل بيته مِن بني عوفٍ، فجاء يسألهم بِذلك:

١ ـ سِيرِي أُمَامَ فإنّ المالَ يَجمعه سَيْبُ[1] الإلٰهِ وإقبالي وإدباري
٢ ـ إلى مَعَاشِر منهم يا أُمَامَ أبي من آلِ عَوْفٍ بُدُوءٌ غَيْرُ أَشْرَارِ

البَدْءُ: السَّيِّدُ، والثُّنيانُ يُقال بِضمَّةِ الثَّاءِ وكسرتها: وهو الذي يَثني البَدْءَ في السُّؤدد.

والبَدْءُ جمعُ البُدُوءِ، قال الشاعر:

يَسُودُ ثِنَانَا مِنْ سِوَانَا وبَدْؤُنَا يَسُودُ مَعَدًّا كُلَّهَا لا تُدافِعُ

يُقَالُ: رَجُلٌ بَدْءٌ من القَوم: إذا كَان سَيِّداً رَأْساً والجَمْعُ بُدُوءٌ.

٣ ـ نمشي إلى ضَوْءِ أحسابٍ أَضَأْنَ لَنَا ما ضَوْأَتِ اللَّيْلَةُ القَمْرَاءُ للسَّارِي

وروى أبو عمرٍو الشّيباني:

كَمَا أضاءَ دُجَا الظَّلماء للسَّاري

وقال وهو يَصرف نسبه إلى بكر بن وائل:

١ ـ قومي بنو عمرو بنِ عَوْ فٍ إنْ أَرَادَ العِلْمَ عَالِمْ
٢ ـ قومٌ إذا ذَهَبَتْ خَضَا رِمُ مِنْهُمُ خَلَفَتْ خَضَارِمْ

الخِضْرِمُ: الكثيرُ المعروف، ويقال للبحرِ خِضْرِمٌ، وبِئْرٌ خِضْرِمٌ: كثيرةُ الماء.

أبو عمرو: هو كقوله:

وإنْ مُقْرَمٌ[2] مِنَّا ذَرَا حَدُّ نابِهِ تَخَمّط فِينا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ
٣ ـ لا يَفْشَلُون ولا تَبِيـ ـتُ على أُنُوفِهُمُ الخَوَاطِمْ

---

(١) السَّيْبُ: العطاء. يقول: إنَّ تَرَدُّدِي في الأقطار وعطاء الإلٰه هُما مصدرا رزقي. (المحقّق)
(٢) «القَرْمُ: السَّيِّدُ. وأقرمه: جَعله قَرماً» [القاموس المحيط: ١١٤٨].

لا يفشلون: لا يجبنون ولا يضعفون.

ولا تَبيت على أنوفهم الخَواطم: ولاَ يُعَيَّرون بِلُؤم ولا عار.

واحدة الخَوَاطم: خَاطِمَةٌ: كأنَّما خُطِمَتْ أَنفُه.

وقال أيضاً يَمدحهم، وكان يُقال لهم أهل القُرَيَّةِ وهي قرية فيها بَنُو ذُهل:

١ ـ لأَمْدَحَنَّ بِمِدْحَةٍ[1] مَذكُورَةٍ ... أهلَ القُرَيَّةِ من بَني ذُهْلِ

٢ ـ الضَّامِنينَ لمالِ جَارِهُمُ ... حتَّى تَتِمَّ نَوَاهِضُ البَقْلِ

نَواهِض البَقل، أي: مَا نَهَضَ؛ مَا نَبت، أي: حتى يُخصب النّاس.

٣ ـ قَومٌ إذا نُسِبُوا ففرعُهُمُ ... فَرْعِي وأَثْبَتَ أصلُهُمْ أصلِي

فلم يعطوه شيئاً، فهجاهم فقال:

إنَّ اليَمَامَةَ شَرُّ سَاكِنها ... أهلُ القُرَيَّةِ مِنْ بني ذُهْلِ

زعموا أَنّ الحُطيئة لمّا قال في بكر بن وائل:

لأمدحنَّ بِمِدحةٍ مَذكُورةٍ ... أهلَ القُرَيّةِ مِن بني ذُهْلِ

وجعل يصرف بنسبه إليهم، أتاهم، فلم يُعطوه طائِلاً، فَمَرَّ وهو يُريد السُّوق، فَرأى جَماعة على دَارِ عُتيبة بن النَّهَّاس العِجليّ، وكان من أشرف وُجوهِ بكر بن وائل، وكانت له دارٌ عَظيمة قَوراءُ[2] ذاتُ بَابٍ في السَّمَاءِ.

فسأل: لمن هذه الدَّار؟

قيل: لِعُتيبة بن النَّهّاس العِجليّ.

قال: ومن أيِّ عِجْلٍ؟

(١) «مَدَحَهُ، كمَنعَهُ، مَدْحاً ومِدْحَةً: أحسنَ الثَّناء» [القاموس المحيط: ٢٤٠].

(٢) «القَوْرَاءُ: الوَاسِعة» [القاموس المحيط: ٤٦٧].

قِيل: من بني ثعلبة بن سَيَّار القباب وكان ضرب قباباً من أَدَم على بابه في الجَاهلية للأضيافِ ـ وكَان عُتيبة يُبَخَّلُ[١] ـ فدخل عليه الحُطيئة في عَباءة، فلم يعرفه، فقال: أعطني! فقال: ما أنا على عمل فأعطيَك مِنْ غُدَدِه ـ أي: من فُضُوله ـ وما في مالي فُضول عن قومي!

فقال الحُطيئة: فلا عليك!

ثمّ انصرف.

فقال رجل من قومِهِ قد عرّضتنا للشَّرّ!

قال: ومن هٰذا؟

قال: الحُطيئة!

قال: رُدّوه.

فقال له عُتيبة: بِئس ما صنعت! ما استأنست استِئْنَاسَ الجَارِ، ولاَ سَلَّمت تَسليمَ أهل الإسلام، ولا رَحَّبت ترحيب ابن العَمّ! ولقد كَتمتنا نفسك كأنّك مُعْتَلٌّ! اجلس فإنّ لك عندنا مَا يَسُرُّك، وقد عرفنا النَّسَبَ الذي تَمُتُّ[٢] بِهِ، وأنت جَارٌ وأشعرُ العرب!

فقال: ما أنا بأشعرِ العرب!

فقال عُتيبة: فمن أشعرُ العرب؟

قال: الذي يقول[٣]:

ومَن يجعلِ المعروفَ مِن دُون عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ[٤] ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتمَ يُشْتَمِ

---

(١) «بَخَّلَهُ تَبخيلاً: رماهُ بِه» [القاموس المحيط: ٩٦٥].
(٢) تتوسَّلُ بِه.
(٣) يعني: زُهير بن أبي سلمى.
(٤) «فَرَاهُ يَفرِيهِ: شقَّهُ فاسِداً أو صالِحاً، كَفَرَّاه وأَفْرَاهُ» [القاموس المحيط: ١٣٢١].

فقال له عُتيبة: أمَا إنَّ هذه الكلمة من مُقدِّمات أفاعيك[١]!

ثمّ قال لغُلامه: اذهب به إلى السُّوق فَلا يطلُبَنَّ شيئاً، ولا يُشيرنَّ إلى شَيء، ولا يَسومَنَّ به إلا اشتريته له.

فقال الغلام: إنّه أمرني أَن أبسط يدي لك في النّفقة!

قال: لا حاجة لي أن يكون لبخيلٍ على قَومي منه أكثر من هذا! فَرجع إلى قومه، فلمّا رأوا مَا جَاء به، وأخبروا بما صنع، لاموه، وقالوا: بَعَثَ معك غُلاَمَه، وهو أكثرُ العرب مالاً، فأخذت القليل الخَسِيس، وتركت الكثيرَ الجَزِيل، فقال:

١ ـ سُئِلْتَ فلم تَبْخَلْ ولم تُعطِ طَائِلاً ... فسِيَّانِ لا ذَمٌّ عليك ولا حَمْدُ

٢ ـ وأنت امرؤٌ لا الجُودُ منك سَجِيَّةٌ ... فتعطي وقد يُعطي على النَّائِلِ الوُجْدُ

الوُجْدُ، أي: اليَسَارُ.

[نفسه ص٢٠١ ـ ٢٠٥]

❋ ❋ ❋

➢ قد يَقصرُ الماجد عن فِعله:

وقال يمدح طريف بن دقَّاع الحَنَفِي:

١ ـ قُلت لها[٢] أَصْبِرُهَا صَادِقا ... وَيْحَكِ أمثالُ طريف قليلْ

---

(١) وزاد ابن قُتيبة (الشّعر والشعراء، ج١/٣٣١): «أنّ عتيبة سأله بعد ذٰلك ثمّ مَنْ؟ قال: الذي يقول:
مَن يَسْألِ النّاسَ يَحْرِمُوهُ ... وسائِلُ الله لا يَخِيبُ
يعني: عُبيداً. (المحقّق)

(٢) يعني: امرأته.

أَصْبِرُهَا، أي: احلف لها يَمينَ صَبْرٍ: أَي: يَمِينَ حَبْسٍ: يُحْبَس على اليَمِينِ حتى يَحْلِفَ.

٢ ـ قَد يَقْصُرُ الماجِدُ عن فِعلِهِ ... ويَنْفَسُ الجُودَ عليهِ البَخِيلْ
٣ ـ ذاك فَتًى يَبْذُلُ ذَا قَدْرِهِ ... لا يُفسدُ اللَّحْمَ لَدَيْهِ الصُّلُولْ

صَلَّ اللَّحْمُ وأَصَلَّ: إذا أَرْوَحَ.

٤ ـ بَلَّغَهُ صَالِحَ مَجْدِ العُلاَ ... عِزٌّ تَلِيدٌ وعِتَانٌ طَوِيلْ

تليدٌ: قديم.

عِتانٌ طوِيل: يقول: رَخِيّ البال واسع.

[نفسه ص٢٢٤ ـ ٢٢٥]

❋ ❋ ❋

➤ يَعِيش النَّدى مَا عاش عَمرو بن عامرٍ:

وقال لأبي عقيل، وهو عمرو بن مسعود بن عامر بن معتب الثقفي:

١ ـ يَعِيش النَّدَى[1] مَا عَاشَ عمرو بنُ عَامِرٍ ... وولّى النَّدَى إنْ نَفْسُ عَمْرِو تَولَّتِ
٢ ـ حَلِيفُ النَّدى لمَّا تَوَلَّى خَلاَ النَّدَى ... فَماتت عَطَايا المُكْثِرِينَ وقَلَّتِ

حَلِيفُ النَّدى، أي: لا يُفارقه.

٣ ـ توارى النَّدى لمّا تَوارتْ عِظامُهُ ... فأَعْظِمْ بها في المُعْتَفِينَ وجَلَّتِ

المُعْتَفُون: السُّؤَّال، يُقال: اعْتَفَاهُ وعَفَاهُ: إذا أتاه فَسأله.

٤ ـ فَلَوْلا بقايا من بَنيهِ وَرَهْطِهِ ... لهانَتْ وُجوهٌ مِن ثَقيفٍ وذَلَّتِ

---

(١) الجُودُ.

وقال يمدح وقّاص بن قُرْطٍ التّميميّ ثمّ المازنيّ بن مالك بن عمرو بن تميم:

١ ـ أعطى ابن قُرْطٍ غَدَاةَ السُّلَيم يوم التقينا عطاءً جَزيلا
٢ ـ كَفَيْتَ بِها مَازِناً كُلَّها أصاغرها وكَفَيْتَ الكُهولا

بِها: الهاء رَاجعة على الغداة، أي: كَفيت بِالغداة.

٣ ـ كِرَامٌ أبَى الذَّمَّ آبَاؤُهُم فَلا يجعلون لِلَّوْم سَبِيلاً
٤ ـ عِرَاضُ الخُدودِ كِرَامُ الجُدُودِ يَمُدّون للمجدِ بَاعاً[١] طَويلا

[نفسه ص٢٢٥ ـ ٢٢٦]

❋ ❋ ❋

➢ فَقُلتُ له: لا بأس لست بِعَائد:

وقال الحُطيئة يغرق في ذكر البخيل:

١ ـ كَدَحْتُ[٢] بأظفاري وأعملتُ مِعْوَلِي فصادفت جُلْمُوداً[٣] من الصَّخرِ أَمْلَسَا
٢ ـ تَشاغل لمّا جئت في وجه حَاجتي وأطرق حتى قُلت قد مات أو عَسَى
٣ ـ وأجمعتُ[٤] أنْ أَنْعَاهُ[٥] حين رَأَيْتُهُ يَفُوقُ فُوَاقَ الموتِ حتى تَنَفَّسَا
٤ ـ فقلت له لا بأسَ لست بِعائدِ فَأَفْرَخَ تَعلُوه السَّمَادِيرُ[٦] مُبْلِسَا

[نفسه ص٢٥٠]

---

(١) «البَاعُ: قَدرُ مَدّ اليدين، كالبَوْعِ، ويُضَمّ، الجمع: أَبْوَاع» [القاموس المحيط: ٧٠٥].
(٢) «كَدَحَ في العمل، كمنعَ: سَعَى وعَمِل لنفسه خيراً أو شرًا، وكَدَّ» [القاموس المحيط: ٢٣٧].
(٣) الصَّخْرُ الصَّلْبُ.
(٤) عزمت.
(٥) «نَعَاهُ لَهُ نَعْياً ونَعِيًا ونُعْيَاناً، بِالضَّمّ: أخبره بِموته» [القاموس المحيط: ١٣٣٩].
(٦) «السَّمَادِيرُ: ضَعْفُ البصرِ، أو شَيء يُتَرَاءى للإنسانِ مِن ضعفِ بصره عن السُّكْرِ، وغَشْيُ الدُّوَارِ والنُّعَاسِ» [نفسه، ص٤١٠].

الحُطيئة يصف أعرابيًّا جَواداً:

وقال الحطيئة يصف أعرابيًّا جَواداً صاحب صيد أَلُوفاً للفَلَوات:

١ ـ وطاوي[١] ثلاثٍ عاصِبِ البطنِ[٢] مُرْمِلٍ[٣] ... بِتَيْهَاءَ لم يعرف بها ساكِنٌ رَسْماً[٤]

٢ ـ أخي جَفْوةٍ فيه من الإنسِ وَحْشَةٌ ... يرى البُؤس فيها مِنْ شَرَاسَتِهِ[٥] نُعْمَى

٣ ـ وأَفْرَدَ في شِعبٍ عَجوزاً إزاءَها ... ثلاثةُ أشباحٍ تخالُهمُ[٦] بَهْمَا[٧]

٤ ـ رأى شَبحاً وَسْطَ الظَلام فَراعَهُ[٨] ... فلمّا بَدا ضَيْفاً تَسَوَّرَ واهْتَمَّا

٥ ـ فقال ابنه لمّا رآهُ بِحَيْرةٍ ... أيا أبت اذبحني أو يَسِّرْ له طُعما

٦ ـ ولا تَعتذر بالعُدْمِ[٩] عَلَّ الذي طَرا[١٠] ... يَظُنُّ لَنَا مَالاً فيوسعنا ذَمَّا

٧ ـ فَرَوَّى[١١] قليلاً ثمّ أَحْجَمَ[١٢] بُرْهَةً ... وإنْ هو لم يذبحْ فتاه فقد هَمَّا

٨ ـ فَبَيْنَا هُمَا عَنَّتْ[١٣] على البُعْدِ عانَةٌ[١٤] ... قد انْتَظَمَتْ مِنْ خَلْفِ مِسْحَلِهَا[١٥] نَظْمَا

---

(١) الطّاوي: الجَائع.

(٢) عاصب البطن: يشدّ العصائب على بطنه تسكيناً للجُوع.

(٣) مُرْمِلٌ: نفذ زاده.

(٤) الرّسْمُ: ما بقي بالأرض من آثار الدّار. أي: هو في مفازة لم ينزل بها أَحد.

(٥) «الشَّرَسُ، محرّكة: سوءُ الخُلُق، وشِدّة الخِلاف، كالشّراسةِ» [القاموس المحيط: ٥٥١].

(٦) تحسبهم.

(٧) البهمُ، جمع بَهْمَة: ولد الضّأن والماعز شبّههم بها لهزالهم.

(٨) أفزعه.

(٩) الفقر.

(١٠) طَرَا، أصلها طَرَأَ: أي الذي نزل بِنا.

(١١) «رَوَّيتُ في الأمرِ: نظرتُ، وفَكّرْتُ» [القاموس المحيط: ١٢٩٠].

(١٢) كَفَّ.

(١٣) عنَّتْ: عَرَضَت.

(١٤) العانَة: قطيع الأتن.

(١٥) المِسْحَلُ: حمار الوحش. وانتظامها من خَلفه: انضمامها إليه، وقربها منه.

٩ ـ عِطَاشاً تُرِيدُ الماءَ فانْسَابَ نَحْوَهَا على أَنَّه منها على دمها أظما
١٠ ـ فأمهلها حتّى تَرَوَّتْ عِطَاشُهَا فَأرسلَ فيها مِن كِنَانَتِه[1] سَهما
١١ ـ فَخَرَّتْ نَحُوصٌ[2] ذَاتُ جَحْشٍ سَمِينَةٌ قد اكتنزتْ لحماً وقد طَبَّقَتْ[3] شَحْمَا
١٢ ـ فَيَا بِشْرَهُ إذْ جَرَّهَا نَحْوَ قومه ويَا بِشْرَهُم لَمَّا رَأَوْا كَلْمَهَا[4] يَدْمَى
١٣ ـ فباتُوا كِرَاماً قَدْ قَضَوْا حَقَّ ضَيْفِهم فَلَم يَغْرَمُوا غُرْماً وقَد غَنِمُوا غُنْمَا
١٤ ـ وباتَ أبوهُم من بَشَاشَتِهِ أَباً لِضَيفهِمُ والأمُّ من بِشْرِهَا أُمَّا

[نفسه ص٢٥٦ ـ ٢٥٧]

❋ ❋ ❋

➤ لا حَصِرٌ بِهنَّ ولا بَخِيل:

قال الحطيئة يمدح بَغيضاً:

١ ـ تَعَذَّرَ بعد رامةَ مِنْ سُلَيْمَى أَجَارِعُ بعدَ رَامَةَ فَالهُجُولُ

الهُجُولُ جمع هَجلٍ: وهو مطمئنٌّ من الأرض إلى جانب ارتفاع يحبس الماء فيه، وهي تُعشب كثيراً.

تَعذَّر: دَرَسَ وتَغيَّر وكذلك اعْتَذَر، قال ابن أحمر:

أم كنت تَعْرِفُ آيَاتٍ فَقد جَعَلَتْ أَطْلالُ إلْفِكَ بالوَدْكَاءِ تَعْتَذِرُ

وقال المخبّل:

لم تعتذر منها مدافِعُ ذِي ضالٍ ولا عَقِبٌ ولا الرَّخَمُ

---

(١) الكِنَانَةُ: جُعبة السِّهام التي توضع فيها.
(٢) نَحُوصٌ: أتانٌ سَمِينة فَتِيَّةٌ.
(٣) طَبَّقت: امتلأت.
(٤) جَرْحُها.

الرَّخْمُ: موضع. والأجارعُ: جمع أَجرع، والجَرْعَةُ: رابية سَهلة. والهُجُولُ: جمعُ هَجلٍ.

٢ ـ أَرَبَّ المُذجِنَاتُ بِهِ وجَرَّتْ بِهِ الأَذْيَالَ مُعْصِفَةٌ جَفُولُ

رِيح جَفُولٌ ومِجْفَالٌ ومُجْفِلٌ.

أَرَبَّ إذا ثبت ودَام مطرها، فقد أَرَبَّت، وأَلَثَّتْ، وأَغَضَّتْ، وأغبطت، وأغمطت. والمُذْجِنَاتُ: السَّحاب المواطِرُ.

والأذيال: مآخير الرِّياح. والعَثَانين: أوائلها. وعصفت وأعصفت: إذا اشتدّ هبوبها. وجفلت وأجفلت أيضاً.

٣ ـ وهَاجَ إِلى الصَّبَابَةِ مِنْ هَوَاهَا بِحِنْوِ قُراقِرٍ طَلَلٌ مُحِيلُ

مُحيل أتى عليه الحَوْلُ، أو مُتَغَيِّرٌ.

٤ ـ كَمَا هاج الصَّبَابة يوم مَرَّتْ عوامِدَ نَحو واقِصَةَ[1] الحُمُولُ

الحِنْوُ ما انحنى من الوادي، ابن الكلبي: قُرَاقر مكانان ببلاد... وبلاد بني شيبان. غيره ثلاثة أمكنة: ماء بِالسرّ ببلاد بني أسد عن يمين الأجفر وأنت مُصعِد إلى مكّة بأعلى قارات يُسمّين أعياراً.

الحُمُول: الإِبل عليها الهوادج.

٥ ـ وأخفافُ المُخَيَّسَة المَهَارَى يُشَدُّ لها السَّرَائِحُ والنَّقِيلُ

المُخَيَّسَة: المذلَّلَة، ومنه قيل للجَبين مُخَيَّسٌ ومُخَيِّسٌ. والمهارى: إبل مَهَرة. والسَّرَائِح: سُيُورٌ تُقَدُّ منها نِعَالُ الإِبِل إذا أنعلت من الحَفَا.

والنَّقيل: جمع نَقيلة وهي الرُّقعة، يقال: نَعْلٌ مُنَقَّلَةٌ: مُرَقَّعَةٌ...

---

(١) اسم موضع.

٦ ـ ألا لا لوم لي حتّى تأَتَّى	براكبها شَمَرْدَلَةٌ ذَمُولُ[1]
٧ ـ مُشَمِّرَةٌ إذا اشْتَبَهَ الفيافي	عَثَمْثَمَةٌ إذا مُنِعَ المُقيلُ

تَأَتَّى: تَرفَّق في سيرها من الكلالِ بعد عَجْرَفِيَّتها في سَيرها وهي نَشيطة. والشَّمَرْدَلَة: الطَّويلة الجَسِيمة. ومُشَمِّرَة: مُنْكَمِشة في سَيرها. والفيافي: الفَلوات.

عَثَمْثَمَة: قَوية شَديدة، إذا مُنع المَقيل: إذا لم يقدر القوم أن يقيلوا في شدّة الحَرّ وليس في هٰذه الفَلاة موضع مقيل.

٨ ـ يَشُدُّ مِنَ السِّنَافِ الغَرْضَ منها	خشاشُ الأرض والزَّوْرُ النَّبيلُ

السِّنَافُ: أَنْ يقلق الغَرْضُ مِن الضُّمْرِ، فَيُشَدُّ فِيه خَيْطُهُ، ثمّ يُدَارُ مِن وَراءِ الكِرْكِرة، ثمّ يُشَدُّ طَرْفُه إلى الغَرضِ...

٩ ـ إذا بَلَغَتْكَ أَلْقَتْ مَا عَليها	وإنَّكَ خَيْرُ مَنْ دَنَّى الرَّحِيلُ
١٠ ـ وإنَّكَ خَيرُ خِندِفَ حين آوَى	إليك بِيَ التَّرَحُّلُ وَالنُّزُولُ
١١ ـ إذا ذُكِرَتْ لك الحَاجَاتُ مِنِّي	فَلا حَصِرٌ بِهِنَّ ولا بَخِيلُ

[نفسه ص١٦٧ ـ ١٦٩]

❊ ❊ ❊

➢ كرم عمرو بن عُتبة:

حدّثنا أبو محمد الباهلي، عن عمّه، قال: دخل الفَرزدق على عمرو بن عُتبة ـ وهو في داره بالزَّاوية ـ فجعل يَسْلُتُ العَرقَ عن وجهه وقال:

لولا ابنُ عُتْبَةَ عَمْرٌو والرَّجَاءُ لَهُ	ما كانت البصرةُ الحمقاءُ لي وَطَنَا
أعطانِيَ المالَ حتى قُلت: يُودِعُنِي	أو قُلتُ: أودع لي مالاً رآهُ لَنَا

(١) مُسرعة.

فَـجُـوده مُـكْـسِـبٌ شُـكـرا ومِـنَّـتُـهُ　　وكُـلّـمَـا ازددتُ شُـكـراً زادنـي مِـنَـنَـا
يَـرْمِـي بِـهِـمَّـتِـه أَقْـصَـى مَـسَـافَـتِـهَـا　　ولا يُـريـدُ عـلـىٰ مـعـروفـهِ ثَـمَـنَـا

[مكارم الأخلاق ص١٣٩]

❋ ❋ ❋

➢ لا والله ولٰكن هَرِم الجُود:

حدّثني أبو القاسم السُّلمي، عن محمد بن عبدالله القُرشي، قال: قِيل لِنُصَيب: هَرِمَ شِعرُكَ، قال: لا والله، ولكن هَرِم الجُودُ، لقد مدحت الحكم بن المطّلب بِقصيدة فأعطاني أربعمائة ناقة وأربعمائة شاة وأربعمائة دِينار، قال:

وسأل أعرابيّ الحكم بن المطّلب فأعطاه مالاً، فبكى الأعرابي فَقال الحكم: ما يُبكيك؟ قال: والله إنّي أَنْفَسُ على الأرض أن تأكل مِثلك إذا متّ.

[نفسه ص١٣٩]

❋ ❋ ❋

➢ خَلِيليّ إنَّ الجُود في السِّجن فَابْكِيَا:

أخبرني أبو زيد النّميري، حدَّثني أبو غَسّان محمد بن يحيى الكناني، حدّثني الحارث بن إسحاق، قال: استعمل بعض وُلاة المدينة الحكم بن المطّلب بن حنطب على بعض المساعي، فَلم يرفع شَيئاً، فقال له الوالي: أين الإبل والغنم؟ قال: أكلنا لحومها بِالخبز، قال: فأين الدّنانير والدَّراهم؟ قال: اعتقدنا بها الصّنائع في رقاب الرِّجال. فحبسه فأتاه وهو في السِّجن بعض ولد نهيك بن يساف الأنصاري فَمدحه فَقال:

خَلِيلَيّ إنَّ الجُودَ في السِّجْنِ فابْكِيَا ... على الجُودِ إذا سُدَّتْ عَلينا مَرَافِقُهْ
ترى عارضَ المعروفِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... وكُلَّ ضُحًى يَسْتَنُّ في السِّجْنِ بَارِقُهْ
إذا صَاحَ كَبْلاهُ(١) طَمَا(٢) فَيْضُ بَحره ... لِزُوَّارِه حتى تَحُومَ عَرَانِقُهْ

فأمر له بثلاثة آلاف درهم وهو محبوس.

[نفسه ص١٣٩]

❋ ❋ ❋

➢ الحكم بن المطّلب والرّجل القُرَشِي:

قال مصعب بن عبدالله الزُّبيري، حدّثني مصعب بن عثمان، عن نوفل بن عمارة، أنّ رجلاً من قُريش من بني أُميّة بن عبد شمس له قَدْرٌ وخَطَرٌ(٣) لَحِقَهُ دَينٌ، وكان له مَال من نَخلٍ وزرع، فَخاف أن يُباع عليه، فَشَخَصَ(٤) من المدينة يريد الكُوفة، ويَعمد خالدَ بن عبدالله القَسري، وكان يلي لهشام بن عبدالملك العراق، وكان يبرُّ من قدِم عليه مِن قُريش. فخرج الرّجل يريده وأَعدّ له هدايا من طُرَفِ(٥) المدينة حتى قدم «فيد» فأصبح بها، ونظر إلى فُسْطَاطٍ(٦) عنده جماعة فَسأَلَ عنه، فقيل: الحكم بن المطّلب. فَلبس نعليه، ثمّ خرج حتى دخل عليه، فلمّا رآه قام إليه فَتلَقَّاه فسلّم عليه، ثمّ أجلسه في صدر فراشه، ثُمّ سأله عن مَخرجه، فأخبره بِدينه ومَا أَراد من إِتْيَانِ خالد بن عبدالله، فقال له الحكم: انطلق بِنا إلى منزلك فلو علمت

---

(١) «الكَبْلُ: القَيْدُ، ويُكسر، أو أعظمه، الجمع: كُبُولٌ» [القاموس المحيط: ١٠٥٢].
(٢) «طَمَى الماءُ يَطمِي طُمِيًا: عَلاَ» [نفسه، ص١٣٠٧].
(٣) «الخَطَرُ، بِالتّحريك: قَدْرُ الرَّجُل» [القاموس المحيط: ٣٨٦].
(٤) «شَخَصَ مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَدٍ: ذَهَبَ» [القاموس المحيط: ٦٢١].
(٥) «الطُّرْفَةُ، بِالضَّمّ: الاسمُ من الطَّرِيفِ والمُطْرِف والطَّارف: للمال المستحدث» [نفسه، ص٨٣١].
(٦) «الفُسْطَاطُ، بِالضَّمّ: مُجتمع أهل الكُورة» [نفسه، ص٦٨١].

بِمقدمك لسبقتك إلى إتيانك، فمضى معه حتى أَتى منزله، فَرأى الهدايا التي أعدَّ لخالد، فتحدّث معه ساعة، ثمّ قال له: إنَّ منزلنا أَخْضَرُ عُدَّة وأنت مسافر ونحن مُقيمون، فأقسمت عليك إلا قمت معي إلى المنزل، وجعلت لنا من هٰذه الهدايا نَصيباً. فقام الرّجل معه، فَقال: خُذ منها ما أحببت، فأمر بها فحملت كلّها إلى منزله، وجعل يستحيي أن يمنعه منها شَيئاً حتى صارَ معه إلى المنزل، فَدعا بِالغداء وأمر بالهدايا فَفُتحت، وأكِل منها وأكل منها من حضره، ثمّ أَمر ببقيّتها تُرفع إِلى خزانته، فقام وقام النّاس، ثمّ أقبل على الرّجل، فَقال: أنا أَولى بك من خالد، وأقرب منك رَحِماً ومَنْزلا، وهاهنا مالٌ للغارِمينَ أنت أولى الناس بِه، ليس لأحد عليك فِيه مِنَّةٌ إلا لله تقضي به دينك.

ثمّ دَعَا له بِكيس فيه ثلاثة آلاف دينار فدفعه إليه وقال: لقد قَرَّب الله عليك الخُطوة، فانصرف إلى أهلك مصاحباً محفُوظاً. فقام الرَّجل من عنده يدعو له ويتشكَّر، فلم يكن له هِمَّة إلا الرّجوع إلى أهله، وانطلق الحكم يُشيّعه فَسار معه شيئاً، ثمّ قال له: لكأنّي بِزوجتك قد قالت لك: أينَ طَرائِف العراق بَزُّهَا[1] وخَزُّها[2] وعُرَاضاتُها؟ أما كان لنا معك نصيب؟ ثمّ أخرج صُرّة قد حملها معه فيها خمسمائة دِينار، فقال: أقسمت عليك إلا جَعلت هذه لها عوضاً من هدايا العراق. وودّعه وانصرف، قال مصعب بن عثمان: جهدت بنوفل بن عمارة أن يخبرني بِالرَّجل فأبى.

[نفسه ص١٤٠]

❋ ❋ ❋

(١) «البَزُّ: الثِّيَابُ، أو مَتاعُ البَيت من الثِّياب ونحوها، وبَائِعه: البَزَّازُ» [القاموس المحيط: ٥٠٣].

(٢) الخَزُّ: الحَرِيرُ.

➤ ارجع بِالنَّعلين فهما لكَ:

قال زبير بن أبي بكر فيما أجاز لنا: حدّثني عبدالرحمٰن بن عبدالله بن عبدالعَزيز الزّهري، عن عَمَّيه مُوسى وإسماعيل ابني عبدالعَزيز، قالا: كان القُرشي إذا انقطع شِسْعُهُ(١) خَلعَ النَّعل الأخرى، فانقطع شسع الحكم بن المطّلب فخلع النَّعل الأخرى ومضى، فأخذ نَعليه إنسانٌ نُوبِيٌّ(٢)، فَسَوَّى الشّسع، وجاءه بِالنَّعلين في منزله، فقال له: سَوَّيت الشِّسع؟ قال: نعم. فَدعا جاريته بثلاثين دينار فدفعها إلى النُّوبيّ وقال: ارجع بِالنَّعلين فَهما لك.

[نفسه ص١٤١]

❋ ❋ ❋

➤ كَرم الحكم بن المطلب:

قال زُبير فيما أجاز لنا: أخبرني نوفل بن ميمون، قال: أنشدني أبو مالك محمد بن مالك بن علي بن هرمة لعمِّه إبراهيم بن علي بن هرمة، يمدح الحكم بن المطلّب:

تَصَبَّحَ أقوامٌ عنِ المجدِ والعُلَى ... فأَضْحَوْا نِيَاماً وهو لم يَتَصَبَّحِ
إذَا كُدِّحَتْ(٣) أعراضُ قَومٍ بِلُؤْمِهِمْ ... نَجَا سَالِماً مِنْ لُؤْمِهِمْ لم يُكَدَّحِ
لِيَهْنِئْكَ إنَّ المَجْدَ أَطْلَقَ رَحْلَهُ ... لديك على خِصْبٍ خَصِيبٍ ومَسْرَحِ

وزعم محمد بن إسحاق المسيّبي، حدّثني إبراهيم بن أبي ضَمرة، قال: مرَّ الحكم بن المطَّلِب بسوق الغنم أيّامِ العِيد، فعرض له حرسٌ

(١) «الشِّسْعُ، بِالكسر: قبال النَّعْلِ» [القاموس المحيط: ٧٣٣].
(٢) «النُّوبَةُ: بِلادٌ واسعة للسُّودَان بِجَنُوب الصَّعيد» [نفسه، ص١٤٠].
(٣) «تَكَدَّحَ الجِلْدُ: تَخَدَّشَ» [القاموس المحيط: ٢٣٨].

السُّوقِ، فَسلَّموا عليه فوقف عليهم، فَردَّ عليهم السَّلام، وسألهم عن أثمان الضَّحايا، فذكروا أنّها غالية وأنَّها بِثلاثين ثلاثين.

فالتفت إلى مولى أبيه عمرو بن أبي عمرو ـ مولى المطّلب ـ فقال: اشْتَرِ لكلِّ رجل منهم شاتَين ممَّا يُشيرون لك إليه. ثمّ حرَّك دابَّته فمضَى.

. . . قال القاسم لمّا بلغ موتُ الحكم بن المطّلب ابنَ هرمة قال شعراً:

سَالاَ عن الجُودِ والمعروف أَينَ هما؟ فقلت إنّهما مَاتَا مع الحَكَمِ
مَاتَا معَ الرَّجُلِ المُوفِي بِذِمَّتِهِ[1] يومَ الحِفَاظِ[2] إذا لم يُوفَ بِالذِّمَمِ
ماذا بِمَنْبِجَ لم تُنْبَشْ مقابِرُها من التَّهَدُّمِ بالمعروفِ والكَرمِ

[نفسه ص١٤١ ـ ١٤٢]

❋ ❋ ❋

➢ لاقَيْتُ حَرْباً لَقِيتُ النَّجَاح:

أخبرني عمر بن أبي معاذ البصري، حدّثني محمد بن يحيى بن علي الكنانيّ، قال: قدم ابن سَلْم الشّاعر على حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية، فقال يمدحه:

فَلَمَّا دُفِعْتُ لأَبْوَابِهِمْ ولاقَيْتُ حَرْباً لقيت النَّجَاحَا
وَجَدْنَاهُ يَخْبِطُهُ[3] السَّائِلُونَ ويأبى على العُسْرِ إلا سَمَاحَا[4]

---

(١) «الذِّمَّةُ، بِالكسر: العهد» [القاموس المحيط: ١١١٠].

(٢) «المُحَافَظَة: الذَّبُّ عن الحِفَاظِ، والاسمُ: الحَفِيظَة» [نفسه، ص٦٩٥].

(٣) «خَبَطَ زَيْداً: سألهُ المعروفَ من غَيرِ آصِرَةٍ، كاختبطَهُ فَخَبطَهُ زَيْدٌ بِخيرٍ: أعطاه» [القاموس المحيط: ٦٦٤].

(٤) جود.

مـزارونَ حـتـى تـرى كَـلْـبَـهُـمْ يـهـابُ الـهَـرِيـرَ[١] ويَـنْـسَى الـنُّـبَـاحَـا

قال ابن سلم: فأرسل إليَّ بِرزمة ثياب وبكيس، فوضع رسوله الرَّزمة وعذره بِقِلّة ما أرسل، وقال: إنِّي لأستحيي منك أنْ أعلمك ما بعثَ بِه، فإذا نهضت فَخُذْه مِن تحت فراشك. ثمَّ وضع تحت فراشي ألف دينار.

[نفسه ص١٤٢]

❋ ❋ ❋

➢ ليتَ إسراعي إليك يقوم بإبْطائِي عنك:

حدَّثني أبو جعفر المديني، عن محمد بن حرب الهلالي، قال: حجّ عتبة بن أبي سفيان سنة إحدى وأربعين فصعد المنبر فحمد الله، ثُمّ قال: أيّها النّاس، إنَّا قد وُلِّينا هٰذا المقام الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر، وعلى المُسيء الوِزرُ، ونحن على طريق ما قصدنا، فلا تَمُدّوا الأعناق إلى غيرنا، فإنّها تُقطع دُوننا، ورُبَّ مُتَمَنٍّ حَتفه في أُمنيته، فاقبلوا العافية منَّا مَا قبلناها مِنكم، وإيّاكم وقول «لو» فإنّها قد أتعبت من قبلكم ولن تريح من بعدكم، نسأل الله أن يعين كلاً على كلٍّ. فاعترضه أعرابيّ فقال: يا أيّها الخليفة، فَقال: لستُ بِه ولم تَبعد، قال: فيا أخاه. قال: قد أسمعتَ فَقُلْ، قال: لَعمري أنْ تُحسنوا وقد أسأنا خَير مِنْ أنْ يُسيئُوا وقد أحسنَّا، فإن كان الإحسان مِنكم فما أحقَّكم باستتمامه، وإن كان منّا فما أحقّنا بمكافأتكم، رجل من بني عامر يلقاكم بِالعمومة ويختصّ إليكم بِالخُؤولة، كَثره عِيَالٌ ووطِئَهُ زَمان، وبه فَقر وعنده شُكر. قال: أستغفر الله منك وأستعين بالله عليك، وقد أَمرت لك بغناك، فليت إسراعي إليك يقوم بإبطائي عنك.

[نفسه ص١٤٣]

---

(١) «هَرَّ الكلبُ إليه يَهِرُّ هَرِيراً، وَهُو صوته دُون نُبَاحه مِن قِلَّة صَبْرِه على البَرْدِ» [نفسه، ص٤٩٧].

➤ فتًى يجعل المعروف قبل سُؤاله:

قال أعرابي يمدح رَجلاً:

حَليمٌ مع التَّقْوَى شُجَاعٌ مَعَ الجَدَا[(١)] ... نَدٍ حِينَ لا يَنْدَى السَّحَابُ سَكُوبُ[(٢)]
ويـجـلـو أُمـوراً لـو تَـصَـيَّـفْـنَ غـيـره ... لَـمَـاتَ خُـفـاتـاً[(٣)] أو لـكـادَ يَـذُوبُ
شَدِيدُ مَنَاطِ[(٤)] القَلْبِ في الموقفِ الذِي ... بـهِ لـقـلـوب الـعـالـمـيـنَ وَجِـيـبُ[(٥)]
فـتًـى هـو مِـن غـيـر الـتَّـخـلّـق مَـاجِـدٌ ... ومِـن غـيـر تـأدِيـب الـرِّجـال أَدِيـبُ

وقال بعض المحدثين يمدح:

فتًـى يَجـعـل الـمـعـروف قَبـل سُؤَالِهِ ... ويـجـعـل دُون الـعُـذر فـضـل الـتَّـكَـرُّم
أَغَـرُّ مـتـى تَـقْـصِـد بِـه فَـضْـلَ حَـظِّـه ... تُصِبْ ومتى تطلبْ بِهِ الغُنْم[(٦)] تَغْنَم
على رَأيِهِ يَنضمّ مُنْصَدِعُ[(٧)] الصَّفا ... ويَنْحَلُّ من عَقْدِ العُرَى كلّ مُبْرَم[(٨)]
له عَزْمَةٌ[(٩)] أغنى منَ الجَيش في الوَغَى[(١٠)] ... وخَطَرَةٌ[(١١)] رَامٍ كالحُسَامِ[(١٢)] المُصَمِّمِ

[«زهر الآداب وثمرُ الآداب» للقيرواني حققه الدكتور زكي مُبارك ج١/٣٠٤]

---

(١) «الجَدَا: العَطِيَّة» [القاموس المحيط: ١٢٦٩].
(٢) «سَكَبَ الماءَ سَكْباً وتَسْكَاباً فَسَكَبَ هو سُكُوباً، وانْسَكَب: صَبَّهُ فانْصَبَّ. ومَاءٌ سَكْبٌ وسَاكِبٌ وسَكُوبٌ وسَيْكَبٌ» [نفسه، ص٩٧].
(٣) «خَفَتَ خُفَاتاً: مَاتَ فَجأة» [نفسه، ص١٥١].
(٤) «نَاطَهُ نَوْطاً: عَلَّقه» [القاموس المحيط: ٦٩١].
(٥) «وَجَبَ القَلْبُ وَجْباً ووَجِيباً ووجَبَاناً: خَفَق» [نفسه، ص١٤١].
(٦) «الغُنْمُ، بِالضَّمِّ: الفوزُ بِالشَّيء بِلا مَشَقَّة» [القاموس المحيط: ١١٤٣].
(٧) المُتَفرِّق.
(٨) مَفتول.
(٩) «عَزَمَ على الأمرِ يَعْزِمُ عَزْماً، ويُضَمُّ، ومَعْزَماً: أَراد فِعلَه، وقطعَ عليه» [القاموس المحيط: ١١٣٧].
(١٠) «الوَغَى، كالفتى وكالرَّمي: الصَّوتُ، والجَلَبَة» [القاموس المحيط: ١٣٤٣].
(١١) «خَطَرَ الرّجلُ بِسيفِهِ ورُمْحه: رَفعه مرّة ووضعه أُخرى» [نفسه، ص٣٨٦].
(١٢) السَّيفُ القاطع.

➢ بين المنصور والرّبيع:

قال سعيد بن مسلم بن قتيبة: دعا المنصور بِالرّبيع، فقال: سَلْنِي ما تُرِيدُ، فقد سكتَّ حتى نطقت، وخَفّفتَ حتى ثقّلت، وأَقْلَلتَ حتى أكثرت.

فقال: والله يا أمير المؤمنين مَا أرهبُ بُخْلَكَ، ولا أستقصرُ عُمرك، ولا أستصغر فَضلك، ولا أغتنم مالَك، وإنّ يَومي بفضلك عليّ أحسن من أمسى، وغدك في تأمِيلي أحسنُ من يَومي، ولو جَاز أن يشكرك مثلي بغير الخدمة والمُناصحة لما سَبقني لذلك أحد.

قال: صدقت، علمي بهذا منك أحلّك هذا المحلّ، فسلني ما شئت.
قال: أسألك أن تُقرّب عبدك الفضل، وتُؤثره وتُحبّه.

قال: يا ربيع إنّ الحبّ ليس بِمال يُوهب، ولا رُتبة تُبْذَل، وإنَّما تُؤَكّده الأسباب.

قال: فاجعل لي طريقاً إليه، بِالتّفضّل عَليه.

قال: صدقت، وقد وصلته بألف ألف دِرهم، ولم أصل بها أحداً غير عمومتي، لتعلم ما له عندي، فيكون منه ما يَستدعي به مَحبّتي، ثمّ قال: فكيف سألت له المحبّة يا ربيع؟

قال: لأنّها مفتاح كلّ خَير، ومِغلاق كلّ شَرّ، تُستر بها عندك عيوبه، وتصير حسنات ذنوبه.

قال: صدقت وأتيت بما أردت في بابه.

[نفسه ص٥٨٥]

❋ ❋ ❋

➢ حكيم يَصِفُ خِلال الفَضل:

قيل لبعض الحكماء: ما الحَزم؟ قال: سوء الظَّنّ. قيل: فما الصَّواب؟ قال: المشورة. قيل: فما الرَّأي الذي يجمع القُلوب على المودَّة؟ قال: كَفٌّ بَذُولٌ، وبشر جَميل. قِيل: فَما الاحتياط؟ قال: الاقتصاد في الحُبّ والبُغض.

[نفسه ص٦٤١]

❋ ❋ ❋

➢ ولا منكم عند العطاء بَخيل:

كان إسحاق بن إبراهيم قد جمع إلى حذقه بضاعته حُسن التَّصرّف في العلوم، وجَودة الصَّنعة للشّعر، وحَدَّث عن نفسه فَقال: كنت أيّام الرّشيد أُبَكِّر إلى هُشيم ووكيع فأسمع منهما، ثمّ أنصرف إلى عاتكة بنت شهيد، فتطارحني صوتين، ثمّ أصير إلى زلزل الضّارب فآخذ منه طريقين، ثمّ أسير إلى منزلي فأبعث إلى أبي عبيدة والأصمعي، فَلا يَزَالان عندي إلى الظُّهر، ثُمّ أذهب إلى الخَليفة.

ونزل أبوه بالموصل وليس من أهلها فنسب إليها، وهو مولى خزيمة بن خازم التّميمي، وفي ذلك يقول إسحاق:

إذا مُضَرُ الحمراء كانت أَرُومَتي[1] ... وقام بنصري خازمٌ وابن خازِم
عطستُ بِأنفي شامِخاً وتَناوَلَتْ ... بَنَاني الثُّرَيَّا قاعِداً غيرَ قائم

وفيه يقول محمد بن عامر الجرجاني يَرثيه:

(١) «الأرُومَة، وتُضَمّ: الأصلُ، الجمع: أروم» [القاموس المحيط: ١٠٧٥].

على الجَدَثِ[١] الشَّرْقِيِّ عُوجَا[٢] فَسَلِّمَا ... بِبَغْدادَ لما صَدَّ عنه عوائده
أإسحاق لا تبعد وإن كان قَدْ رَمَى ... بِكَ الموت مرمى ليس يصدر وَارِده
متى تأته يوماً تحاول مُنفِسا ... من الدِّين والدُّنيا فإنَّك وَاجِدُهْ
إذا هَزل اخضرَّت فُروع حَدِيثه ... ورقَّت حَواشيه وطابت مَشاهِدُهْ
وإنْ جَدَّ كان القَولُ جِدًّا وأقسمت ... مخارجه ألاَّ تَلينَ شَدَائِدُهْ

ومن جَيِّد شعر إسحاق قَصيدته في إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ بعد إيقاعه بالخرّمية:

تَقضَّتْ لُبَانَاتٌ[٣] وَجَدَّ رَحيلُ ... ولم يُشْفَ مِن أهلِ الصَّفاءِ غَلِيلُ
ومُدَّت أكُفٌّ للوداعِ فَصافَحت ... وفَاضت عُيون للفِراقِ تَسِيلُ
ولا بُدَّ للألاَّفِ من فَيْضِ عَبْرةٍ ... إذا مَا خَليلٌ بَانَ عنه خَلِيلُ
فَكم مِن دَمٍ قد طُلَّ[٤] يوم تَحَمَّلت ... أوانِسُ لا يُودَى[٥] لهنَّ قَتيلُ
غَداة جَعلْتُ الصَّبر شيئاً نَسيته ... وأعولتُ لو أجدى عليَّ عَويلُ[٦]
ولم أنس منها نظرةً هاج لي بِها ... هوًى منه بادٍ ظاهِرٌ ودَخِيلُ[٧]
كما نَظرت حوراءُ في ظلِّ سِدْرَةٍ[٨] ... دعاها إلى ظِلِّ الكِناسِ مَقِيلُ

---

(١) «الجَدَثُ، محرّكة: القَبْرُ، الجمع: أَجْدُثٌ وأجداثٌ» [القاموس المحيط: ١٦٦].

(٢) «عَاجَ عَوْجاً ومَعَاجاً: أقامَ، لازِمٌ مُتعدّ، ووقَفَ، ورَجع» [نفسه، ص٢٠٠].

(٣) الحَاجَاتُ.

(٤) «الطَّلُّ: هَدَرُ الدَّمِ، أو أَنْ لا يُثْأَرَ به، وقَد طَلَّ هو، وبِالضَّمِّ أكثر» [القاموس المحيط: ١٠٢٦].

(٥) «الدِّيَةُ، بِالكسر: حَقُّ القَتيلِ. الجمع: دِيَاتٌ. ووَدَاهُ، كَدَعَاهُ: أعطى دِيَتَهُ» [نفسه، ص١٣٤٢].

(٦) «أَعْوَلَ: رَفَعَ صوتَهُ بِالبُكاء والصِّيَاحِ، كعَوَّلَ. والاسمُ: العَوْلُ والعَوْلَةُ والعَوِيلُ» [القاموس المحيط: ١٠٣٧].

(٧) «حُبٌّ دَخِيلٌ: دَاخِل» [نفسه، ص٩٩٨].

(٨) «السِّدْرُ: شَجرُ النَّبِقِ، الواحدةُ: بِهاءٍ الجمع: سِدْرَاتٌ وسِدِرَاتٌ» [نفسه، ص٤٠٥].

فَلا وَصْلَ إلاّ أَنْ تَلافَاهُ[١] أَيْنُقٌ[٢] عِتَاقٌ[٣] نَماها شَدْقَمٌ وجَدِيلُ[٤]
إذا أقبلت أجفانها بِتنوفَةٍ[٥] طوى البُعد منها هزّةٌ وذَمِيلُ[٦]
تَفَرّد إسحاق بِنُصحِ أميره فليس له عند الإمام عَدِيلُ
يفرج عنه الشَّكَّ صدق عَزِيمةٍ ولبٌّ[٧] به يَعلو الرِّجال أصِيلُ
أغرُّ نَجيبُ الوالدين كأنّه حُسَامٌ[٨] جَلَتْ عنه العيون صَقيلُ
بني مُصعب للمجد فيكم إذا بَدَتْ وجوهكم للنّاظرين دَلِيلُ
كَرُمتم فَما فيكم جَبَان لدى الوَغَى[٩] ولا منكم عند العطاءِ بَخِيلُ
غلبتم على حسن الثَّناء فراقكم ثناء بِأفواه الرِّجال جَميلُ
إذا استكثَرَ[١٠] الأعداءُ ما قُلتُ فِيكم فإنَّ الذي يَستكثرون قَلِيلُ

[نفسه ص٦٤٧ ـ ٦٤٩]

❋ ❋ ❋

➤ القطامي يهجو امرأة من مُحَارِب:

نزل القطامي بامرأة مِن مُحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن

---

(١) «تَلافَاه: تَدارَكه» [القاموس المحيط: ١٣٣١].
(٢) جمعُ نَاقة.
(٣) «العَتِيقُ: الخِيَارُ مِن كلِّ شيءٍ» [نفسه، ص٩٠٦].
(٤) شدقم وجَديل: فَحلان من فُحولة الإبل المعروفة، كانا للنُعمان بن المنذر.
(٥) «التَّنُوفَةُ والتَّنُوفِيَّةُ: المفازَةُ، أو الأرض الواسِعةُ البعِيدةُ الأطراف» [القاموس المحيط: ٧٩٤].
(٦) «الذَّمِيلُ، كأمِيرٍ: السَّيرُ اللَّيِّن مَا كَانَ، أو فَوق العَنقِ، ذَمَلَ يَذمِلُ ويَذْمُلُ» [نفسه، ص١٠٠٢].
(٧) عَقلٌ.
(٨) سيف قاطِع.
(٩) الحربُ.
(١٠) عَدّوه كثيراً.

مُضر، فَذمَّ مثواه[١] عندها، فقَال:

وإنِّي وإنْ كَان المُسافِرُ نَازِلاً ... وإنْ كَانَ ذَا حَقٍّ على النّاسِ وَاجبِ

فَلا بُدَّ أَنَّ الضَّيْفَ يُخبِر ما رأى ... مُخَبِّر أهل أو مُخبّر صَاحِب

لمخبرك الأنباء عن أُمِّ منزل ... تضَيَّفتها[٢] بينَ العُذَيْبِ فَرَاسبِ[٣]

تَلَفَّعْتُ[٤] في طَلٍّ[٥] وَرِيح تَلُفُّنِي[٦] ... إلى طِرْمِسَاءَ[٧] غيرِ ذاتِ كَواكبِ

إلى حَيْزَبُونٍ[٨] تُوقِد النَّار بَعدما ... تَلفَّعتِ الظَّلماء من كُلِّ جَانبِ

تَصَلَّى[٩] بِها بَرْدَ العِشاءِ ولم تَكن ... تَخَالُ[١٠] وَمِيضَ[١١] النَّارِ يَبدو لِرَاكبِ

فما رَاعَها[١٢] إلاَّ بُغَام[١٣] مَطِيَّتي[١٤] ... تريح بِمحسود من الصوتِ لاغِبِ

فَجُنَّت فُنُوناً مِنْ دِلاثٍ[١٥] مُنَاخَةٍ ... ومن رَجل عاري الأثاجع شَاحِبِ[١٦]

---

(١) مكان إقامته.

(٢) «ضِفْتُهُ أضِيفُهُ ضَيْفاً وضِيافَةً، بالكسر: نزلتُ عَليه ضَيْفاً، كَتَضَيَّفْتُهُ» [القاموس المحيط: ٨٣٠].

(٣) موضعان.

(٤) «التَّلَفُّعُ: التَّلَحُّفُ» [القاموس المحيط: ٧٦١].

(٥) «الطَّلُّ: المَطَرُ الضَّعيفُ، أو أَخَفُّ المَطَرِ وأضعفه، أو النَّدَى» [نفسه، ص١٠٢٦].

(٦) «لَفَّهُ: ضِدُّ نَشَرَهُ، كَلَفَّفَه» [نفسه، ص٨٥٣].

(٧) «الطِّرْمِسَاءُ، بِالكسر: الظُّلمة، أو تَراكمها» [نفسه، ص٥٥٤].

(٨) الحَيْزَبُون: العَجُوزُ.

(٩) «صَلِيَ النَّار، كرَضِيَ: قاسَى حَرَّهَا، كتَصَلاَّها» [القاموس المحيط: ١٣٠٣].

(١٠) تَحسب.

(١١) «وَمَضَ البَرْقُ يَمِضُ وَمْضاً ووَمِيضاً ووَمَضَاناً: لمَعَ خَفيفاً» [نفسه، ص٦٥٧].

(١٢) أفزعها.

(١٣) «بَغَمَتِ الظَّبْيَةُ، كَمَنَعَ ونَصَرَ وضَرَبَ، بُغَاماً وبُغُوماً بِضَمِّهما، فهي بَغُومٌ: صاحت إلى ولدها بِأرخم مَا يَكون مِن صوتها» [القاموس المحيط: ١٠٨٠].

(١٤) ناقتي.

(١٥) «الدِّلاَثُ، ككتاب: السَّرِيعَةُ والسَّرِيعُ مِنَ النُّوق وغَيرها» [القاموس المحيط: ١٦٩].

(١٦) «شَحَبَ لَوْنُهُ، كجَمَعَ ونَصَرَ وكَرُمَ وعُنِيَ، شُحُوباً وشُحُوبَةً: تَغَيَّرَ مِن هُزَال أو جُوع أو سَفرٍ» [نفسه، ص٩٩].

سَرَى في حَلِيكِ[١] اللّيل كأنّما تخزّم[٢] بالأطراف شَوك العقارِب
تقول وقد قَرّبت كُوري[٣] وناقتي إليك فَلا تَذْعَر[٤] عليّ رَكائبي[٥]
فَسَلَّمتُ والتّسليمُ ليسَ يَسُرُّها ولكنّه حَقّ على كُلّ جَانب
فَردّت سلاماً كَارِهاً ثُمّ أعرضت كما انحاشَتِ[٦] الأفعى مخافَة ضارِب
فَلمّا تنازعنا[٧] الحَدِيث سألتها مَنِ الحَيُّ[٨]؟ قالت: معشر من مُحَارب
من المُشْتَوِينَ القِدَّ ممّا تَراهم جِيَاعاً وريفُ النّاس ليس بناضِبِ[٩]
فَلمّا بدَا جِرمانها الضَّيف لم يَكن عليّ مبيتُ السّوء ضَربة لازِبِ[١٠]
وقُمت إلى مهريّة[١١] قَد تَعَوَّدَتْ يداها ورِجلاها حَثِيثَ[١٢] المَرَاكِبِ
ألا إنّما نيران قيس إذا شَتَوْا[١٣] لطارق[١٤] ليل مثل نارِ الحُبَاحِبِ[١٥]

---

(١) شِدّة سواده.
(٢) «تَخزّمَ الشَّوْكُ في رِجلِه: شَكَّها» [نفسه، ص١١٠١].
(٣) «الكُورُ، بِالضَّمّ: الرَّحْلُ، أو بأداته الجمع: أَكْوَارٌ وأَكْوُرٌ وكِيرَانٌ» [القاموس المحيط: ٤٧٢].
(٤) تفزع.
(٥) «الرِّكَابُ، ككتاب: الإبِلُ، وَاحدتها: راحِلَةٌ، الجمع: ككُتُب ورِكَابَاتٌ ورَكَائِبُ» [نفسه، ص٩١].
(٦) «انْحَاشَ عنهُ: نَفَرَ وتَقَبَّضَ» [القاموس المحيط: ٥٩١].
(٧) تعاطينا.
(٨) «الحَيُّ: البطنُ مِن بُطُونهم. الجمع: أَحْيَاءٌ» [نفسه، ص١٢٧٨].
(٩) «نَضَبَ الخِصْبُ: قَلَّ» [نفسه، ص١٣٨].
(١٠) «اللُّزُوبُ: اللُّصوقُ والثُّبوت، والقَحْطُ. وصَارَ ضَربَةَ لازِبٍ، أي: لازِماً ثابِتاً» [نفسه، ص١٣٤].
(١١) «مَهْرَةُ بن حَيْدَان، بالفتح: حَيٌّ. والإبِلُ المَهْرِيَّةُ منه. الجمع: مَهَارَى ومَهَارٍ ومَهَارِيُّ» [القاموس المحيط: ٤٧٨].
(١٢) سَرِيع.
(١٣) «شَتَا بِالبلدِ: أَقام بِه شتاءً، كَشَتَّى وتَشَتَّى، وشَتَا القَومُ: أجدبوا في الشِّتاء» [نفسه، ص١٢٩٨].
(١٤) آتٍ بِليل.
(١٥) «الحُبَاحِبُ: ذُبَابٌ يطيرُ بِاللَّيلِ له شُعاع كَالسِّرَاجِ، ومنها نارُ الحُباحب» [نفسه، ص٧١].

ومُحارِبُ: قَبيلة منسوبة إلى الضَّعف، وقد ضربت العرب بها المثل. قال الفرزدق لجرير:

وما استعهد الأقوام مِن زَوج حُرّة ... من النّاسِ إلا منك أو مِن مُحَارِبِ

أي: يأخذون العهدَ عليه أنّه ليس من كُليب ولا مِن مُحارب.

وقال أبو نُواس في قَصيدته التي فخر فيها باليمانية وهجا قبائل معدّ:

وقيس عيلان لا أُريد لها ... من المخازي سوى مُحَارِبها

[نفسه ص٧٠٨ ـ ٧٠٩]

❋ ❋ ❋

➢ يوم نزال ويوم نَوال:

قال الشريف الرّضي رحمه الله:

كريم له يَومانِ قَد كَفِلاَ لَهُ ... بِنيلِ العُلاَ من بَأْسِهِ وسَخَائِهِ
فيومُ نِزالٍ مُشْمِش من سُيُوفهِ ... ويومُ نوالٍ ماطِرٌ من عَطائِهِ

[«ديوان الشّريف الرَّضي» ج١/٤٩]

❋ ❋ ❋

➢ رثاء رجل كان يعول اثني عشر أَلفاً:

مات رجل من العرب كان يعول اثني عشر ألفاً، فلمّا حُمل على سريره صَرَّ[1]، فقال بعض من حَضر:

(١) «صَرَّ، كَفَرَّ، يَصِرُّ صَرًّا وصَرِيراً: صَوَّتَ وصَاحَ شَديداً» [القاموس المحيط: ٤٢٣].

وليسَ صَرِيرُ النَّعشِ مَا تَسمعونَهُ ... ولكنّه أصلاب قوم تَقَصَّفُ[1]
وليس فَتيق المسك مَا تَجِدُونه ... ولكنَّه ذاك الثّناء المُخلّف

[نفسه ص٧٢٠]

❋ ❋ ❋

◄ يَداهُ تُرَوِّي قَبره مِن نَدَاهُما:

قال عبدالله بن المعتز في عُبيدالله بن سليمان بن وهب يَرثيه:

يا بن وَهْبٍ بِالكُره مِنّي بَقيت ... عجبي يوم متَّ كيف حَيِيتُ
إنَّما طيّب الثّناء الذي خلّـ ... ـفْتَ لامسك نعتك المفتوتُ
واختصرت الطَّريق بَعدكَ للمو ... ت فلاقيته ولستُ أَفوتُ
كيف يبقى على الحوادث حَيٌّ ... بيدِ الدَّهرِ عُودُه مَنْحُوتُ

وقال أيضاً:

ذكرت ابن وهب فَلِلَّه مَا ... ذكرت ومَا غَيّبوا في الكفَن
تقطّر أقلامه من دَمٍ ... ويعلم بالظَّنّ ما لم يَكُن
وظاهر أطرافه سَاكِن ... وما تحته حركاتُ الفِطَنْ

وقال:

ذكرت عبيدالله والتُّرب دُونه ... فلم تحبس العَينانِ منّي بُكاهما
وحاشاه من قَولِ «سَقَى الغَيثُ قَبْرَه» ... يَداهُ تُروّي قبره من نَدَاهُما

وهذا مأخوذ من قول الطّائي:

(١) «التَّقَصُّفُ: التَّكَسُّر» [نفسه، ص٨٤٥].

سقى الغَيثُ[١] غَيثاً[٢] وَارَتِ[٣] الأرضُ شَخْصَهُ   وإن لم يَكُنْ فِيه سحابٌ ولا قَطْرُ
وكيف احتمالي[٤] للسَّحابِ صَنِيعة[٥]   بإسقائها قَبراً وفي لَحْدِهِ البَحْرُ

وقال ابن المعتزّ:

لم تَمُتْ أنت إنّما مات مَنْ لَمْ   يُبْقِ في المجدِ والمكارِمِ ذِكرَا
لستُ مُستسقياً[٦] لقبرك غَيثا   كيف يظمأُ وقد تضَمّنَ بَحرا

والبيت الثاني من هٰذين من بيت الطّائي.

وقال:

محمدُ بن حُمَيْدٍ أُخْلِقَتْ رِمَمُهْ[٧]   أُرِيقَ[٨] ماءُ المعالي إذْ أُريق دَمُهْ
رأيته بِنِجَادِ[٩] السَّيفِ مُحْتَبِياً[١٠]   كالبدر حين انجلت عن وَجهه ظُلَمُه
في روضةٍ حفَّها[١١] من حولها زَهَرٌ   أيقنت عند انتباهي أنّها نِعَمُهْ
فقلت والدّمع مِنْ وَجْدٍ[١٢] ومن حُرَقٍ[١٣]   يَجرِي وقد خَدَّدَ الخَدّين مُنْسَجِمُهْ

---

(١) الغَيث الأوّل: المطرُ.
(٢) الغيث الثاني: الجَوادُ الكريمُ، أراد به المَرْثِيّ.
(٣) أَخْفَتْ.
(٤) «احْتَمَلَ الصَّنيعةَ: تَقلَّدها وشَكرها» [القاموس المحيط: ٩٨٧].
(٥) «الصَّنِيعُ: الإحسانُ، كالصَّنيعَةِ، الجمع: صَنَائِع» [نفسه، ص٧٣٩].
(٦) طَالِباً سِقْياً.
(٧) «رَمَّ العَظْمُ يَرِمُ رِمَّةً بِالكسر، ورَمًّا ورَمِيماً وأَرَمَّ: بَلِيَ، فهو رَمِيمٌ» [القاموس المحيط: ١١١٥].
(٨) سُكِب.
(٩) حَمَائِلُ السَّيف.
(١٠) «احْتَبَى بِالثَّوبِ: اشتمل، أو جَمع بين ظهره وسَاقيه بعِمامَةٍ ونحوها» [القاموس المحيط: ١٢٧٢].
(١١) أحاطَ بِها.
(١٢) حُزن شديد.
(١٣) «الحُرَقَةُ، بِالضَّمّ: اسْمٌ من الاحتراقِ» [القاموس المحيط: ٨٧٣].

ألم تَمُتْ يا سَلِيلَ المجد مِنْ زَمَنٍ؟ فقال لي: لم يَمُتْ مَنْ لم يمت كَرمُهْ

وقال بعض أهل العصر:

عُمرُ الفتى ذكره لا طول مُدّتِهِ ومَوتُهُ موته لا موتِه الدَّانِي
فَأَحْيِ ذكرك بِالإحسان تزرعه تُجْمَعْ بِهِ لك في الدُّنيا حَيَاتَانِ

وقال عبدالسلام بن رغبان الحِمصي:

سقى الغَيث أرضاً ضُمِّنَتْكَ وسَاحَةً لقبرك فيه الغَيث واللَّيثُ والبَدْرُ
وما هي أهلٌ إذْ أصابتك بِالبِلَى لسقيا ولكن من حوى ذلك القَبْرُ

أخذ هٰذا البيت الأوّل الرَّاضي فَقال يَرثي أباه المقتدر:

بنفسي ثَرَى ضُمِّنت في سَاحَةِ الوَرَى لقد ضَمَّ منك واللَّيثَ والبَدْرَا
فَلو أنّ عمري كَان طوع مَشِيئتِي وأسعدني المقدور قاسمتك العُمرا
ولو أنّ حَيًّا كَان قَبراً لميِّتٍ لصيَّرت أحشائي لأعظمه قَبرا

[نفسه ص٧٢٠ ـ ٧٢٢]

❋ ❋ ❋

➢ عقال بن شبة بين يدي المنصور:

خطب صالح بن أبي جعفر المنصور في بعض الأمر فأحسن، فأراد المنصور أن يقرّظه[1] ويثني عليه، فلم يجسر[2] أحد على ذٰلك لمكان المهدي، وكان مرشَّحاً للخلافة، وخافوا ألاّ يقع الثّناء على أخيه بموافقته، فقام عقال بن شبّة، فَقال: ما رأيت أبين بياناً، ولا أفصح لساناً، ولا أحسن طريقاً، ولا أغمض عروقاً، من خطيب قام بحضرتك يا أمير المؤمنين،

---

(١) «التَّقْرِيظُ: مَدْحُ الإنسانِ وهو حَيٌّ بِحقٍّ أو باطِلٍ» [القاموس المحيط: ٦٩٧].
(٢) «جَسَرَ الرَّجُلُ جُسُوراً وجَسَارَةً: مَضَى، ونَفَذَ» [نفسه، ص٣٦٥].

وحُقَّ لمن كان أمير المؤمنين أباه، والمهدي أخاه، أن يكون كما قال زُهير:

يطلب شأوَ[١] امرأينِ قدَّما حَسَناً ... بَزّا[٢] الملوك وبَزَّا هٰذه السُّوَقا[٣]

هو الجَوَادُ فإن يلحق بِشأوهما ... على تكاليفه فمثلُه لَحِقا

أو يَسبقاه على مَا كانَ مِنْ مَهَلٍ ... فبالذي قَدَّمَا مِن صالح سَبَقا

فعجب النّاس من حُسن تخلّصه، فقال أبو جعفر: لا ينصرف التَّميميّ إلاّ بثلاثين ألفاً.

قال أبو عبدالله كاتب المهدي: ما رأيت مثل عِقال قطّ في بَلاغته، مدح الغلام، وأَرضى المنصور، وسَلِمَ من المهدي.

[نفسه ص٧٥٩]

❋ ❋ ❋

زهير وهرم بن سنان:

وفي قصيدة زهير هٰذه يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة المرّي:

قد جَعل المُبتغونَ الخَير في هَرِم ... والسَّائلون إلى أبوابه طُرُقا

مَنْ يَلْقَ يَوْماً على عِلاتِه[٤] هَرِماً ... يَلْقَ السَّمَاحَةَ[٥] منه والنّدى خُلُقَا

وليس مَانِعَ ذي قُربَى وذِي رَحِم ... يَوماً ولا مُعْدِماً مِنْ خابِطٍ[٦] وَرَقا

ليثٌ بعَثَّرَ يَصطادُ الرّجال إذَا ... ما اللّيثُ كَذَّبَ عن أقرانه صَدَقا

(١) «الشَّأْوُ: السَّبْقُ» [القاموس المحيط: ١٢٩٨].
(٢) «البَزُّ: الغَلَبَةُ» [نفسه، ص٥٠٣].
(٣) «السُّوقَةُ، بالضَّمّ: الرَّعِيَّة» [نفسه، ص٨٩٦].
(٤) «على عِلاَّته، أي: على كُلّ حال» [القاموس المحيط: ١٠٣٥].
(٥) الكَرم.
(٦) «خَبَطَ الشَّجرةَ: شَدَّها ثُمّ نَفَضَ ورَقَها» [القاموس المحيط: ٦٦٤].

يطعنهم ما ارتموا حتّى إذا اطَّعنوا ... ضارب حتى إذا مَا ضاربوا اعتنقا
فَضْلُ الجَوادِ على الخيلِ البِطَاءِ فَلا ... يُعطى بِذٰلك مَمْنُوناً ولا نَزِقَا
هٰذا وليس كمن يَعْيَا بِحُجَّتِهِ ... وسط النَّدَى إذا مَا نَاطِقٌ نَطقا
لو نالَ حيٌّ من الدُّنيا بِمكرمة ... أفق السَّمَاء لنالت كفّه الأفقا

وكان زُهير كَثير المدح لهرم، ويروى أَنّ بنتاً لسنان بن أبي حارثة رأت بنتاً لزهير بن أبي سُلمى في بعض المحافِل، وإذا لها شارة وحَالٌ حسنة، فقالت: قد سَرَّني ما أرى مِن هٰذه الشارة والنِّعمة عليك. فقالت: إنّها منكم. فَقالت: بَلى والله لك الفضل، أعطيناكم ما يفنى، وأعطيتمونا ما يَبقى!

وقد قيل: إنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال لابنة هرم بن سنان: ما وهبَ أبوك لزهير؟ قالت: أعطيناه مالاً وأثاثاً أفناه الدّهر. قال: لكن ما أعطاكموه لا تفنيه الدُّهور، ولا تُخلقه العُصور، ولا يَزال به ذكر الممدوح سامياً، وشرفه بَاقياً، فقد صَارَ ذكرهم علماً منصُوباً، ومثلاً مَضروباً، قال الطّائي، وذَكرهم في شعره:

مَالِي ومالك شِبْهٌ حين أذكره ... إلا زُهير وقد أصغى له هَرِم

وقال يُوسف الجوهري يمدح الحَسن بن سهل:

لو أَنّ عيني زُهير أبصرت حَسَناً ... وكيف يصنع في أمواله الكَرمُ
إذن لقال زُهيرٌ حين يُبْصِرُهُ ... هذا الجَوَادُ على العِلاَّتِ لا هَرِمُ

وقال آخر، ويدخل في باب تفضيل الشّعر:

الشّعرُ يَحفظ ما أَودى الزَّمَانُ بِه ... والشّعرُ أفضل ما يُجنى من الكَرمِ
لولا مقالُ زهير في قصائده ... ما كان يعرف جُود كَان مِن هَرِمِ

وقيل: أعطى هرم العطاء الجَزيل عوض قول زُهير فيه:

تـالله قـد عـلـمـت سَـرَاةُ[١] بـنِـي ... ذُبـيـان عـام الـحَـبـسِ والأَضْـرِ[٢]
أَنْ نِـعْـمَ حَـشْـوُ الـدِّرْعِ أنـت إذا ... دُعِـيَـتْ نَـزَالِ ولُـجَّ فـي الـذُّعْـرِ
حامي الذِّمَارِ[٣] على محافظةِ الجُلَّى[٤] ... أمـيـنُ مُـغَـيَّـبِ الـصَّـدْرِ
حَدِبٌ على المولى الضَّرِيك[٥] إذا ... ضـاقـت عـلـيـه نَـوائـبُ الـدَّهْـرِ
ومُرَهَّقُ النِّيرَانِ يُحْمَدُ في اللأْواءِ ... غَـيْـرُ مـلـعَـنِ الـقِـدْرِ
والـسِّـتـر دُونَ الـفـاحِـشـاتِ ومَـا ... يَـلـقـاك دُون الـخـيـرِ مِـنْ سِـتْـرِ

وقال:

إنَّ الـبَـخِـيـلَ مَـلُـومٌ حـيـث ولَـٰـ ... ـكِـنَّ الـجَـوَادَ عـلـى عِـلاَّتـه هَـرِمُ
هـو الـكـريـمُ الـذي يُـعـطـيـك نـائِـلَـه ... عَـفـواً ويُـظـلـم أَحـيـانـاً فَـيَـظَّـلِـمُ
وإنْ أَتَـاهُ خَـلِـيـلٌ يـوم مـسـألـةٍ ... يـقـول: لا غـائِـبٌ مَـالِـي ولا حَـرِمُ

الخَلِيلُ: الذي أَخَلَّ بِه الفَقر، إلى غير ذٰلك مِن مُختارِ مدحه فيه.

[نفسه ص٧٥٩ ـ ٧٦١]

❋ ❋ ❋

➢ استنجاز أعرابيّ موعدة:

قال عبيدالله بن محمد بن صدقة: كُنّا عند أبي عبيدالله، فدخل عليه أعرابي قد كان له عليه وَعد، فقال له: أيّها الشّيخ السَّيِّد، إنّي والله أتَسَحَّبُ

(١) السَّرْوُ: المُرُوءَةُ في شَرَفٍ، فهو سَرِيٌّ. الجمع: أَسْرِياءُ وسُرَوَاءُ وسُرّى. والسَّرَاةُ: اسم جَمع. الجمع: سَرَواتٌ.
(٢) الأَضْرُ: الحَبس.
(٣) «الذِّمَارُ، بالكسر: مَا يَلْزَمُكَ حِفظه وحِمَايَتُه» [القاموس المحيط: ٣٩٧].
(٤) «الجُلَّى، كَرُبَى: الأمرُ العَظِيم، الجمع: جُلَلٌ» [نفسه، ص٩٧٨].
(٥) الفقير.

على كرمك، وأستوطئ فِرَاش مَجدك، وأستعين على نعمك بِقدرك، وقَد مَضَى لِي موعدان، فاجعل النُجْحَ[١] ثالِثاً، أَقُدْ لكَ الشُكر في العَرب شَادِخَ[٢] الغُرَّةِ، بَادِي الأوضاح. فقال أبو عبيدالله: ما وعدتك تَغريراً، ولا أخّرتك تَقصيراً، ولكن الأشغال تقطعني، وتأخذ بِأوفر الحَظّ منّي، وأنا أبلغ لك جُهد الكفاية، ومُنتهى الوسع بِأوفر مأمول، وأحمد عاقبة، وأقرب أمدٍ، إن شاء الله تعالى.

فقال الأعرابي: يا جُلساء الصِّدق، قد أَحْصَرَنِي[٣] التَّطوّل[٤]، فهل مِن مُعينٍ مُنجدٍ ومُساعد مُنشد؟ فقال بعض أحداث الكتاب لأبي عبيدالله: والله ـ أصلحك الله ـ لقد قصدك، وما قصدك حتى أَمَّلك، وما أمَّلك إلاَّ بَعد أَنْ أجَالَ[٥] النَّظرَ. فأمِن الخَطر، وأيقنَ بِالظَّفر. فحقّق له أمله بِتهيئة القَليل، وتَهنئة التَّعجيل.

قال الشاعر:

إذا ما اجتلاه المَجْدُ عن وَعْدِ آمِلٍ ... تَبَلَّجُ[٦] عن بِشر لِيستكمل البشرا
ولم يَثنه مطلُ العداة عن الَّتي ... تَصُون له الحمد الموفَّرَ والأَجْرَا

فأحضر أبو عُبيدالله للأعرابي عشرة آلاف درهم، وقال الأعرابي للفتى: خُذها فأنت سَببها. فَقال: شُكرك أحبُّ إليَّ منها، فقال له أبو عبيدالله: خُذها فَقد أَمَرْنا له بِمثلها.

فقال الأعرابي: الآن كملت النِّعمة، وتمّت النِّعمة.

[نفسه ص٧٦٣ ـ ٧٦٤]

---

(١) الفوز.
(٢) «الشَّدْخُ: انتشارُ الغُرَّة، وسَيَلانها سُفْلاً، وهي الشَّادِخة» [القاموس المحيط: ٢٥٣].
(٣) «الحَصَرُ: العِيُّ في المَنطِق، وأَنْ يَمْتَنِعَ عن القِرَاءة فَلا يقدر عليه، الفِعْلُ كفَرِحَ» [القاموس المحيط: ٣٧٦].
(٤) «تطوَّلَ عليهم: امْتَنَّ، كَطَالَ عليهم» [نفسه، ص١٠٢٧].
(٥) «أجَالَهُ، وبِهِ: أَدَارَهُ، كَجَالَ بِهِ» [القاموس المحيط: ٩٨٠].
(٦) تُضِيءُ وتُشرق.

➢ كَرم الحسن بن سَهل:

كان الحسن بن سهل مِن كرماء النّاسِ وعقلائهم. سُئِل أبو العيناء عنه، فَقال: كأنَّما خَلف آدَم في ولده، فهو ينفع عيلتهم[١]، ويَسُدُّ خَلَّتهم[٢]، ولقد رَفَع الله للدُّنيا مِن شأنها، إذ جَعَله مِن سُكَّانها.

أخذَ هٰذا المعنى أبو العيناء من قول الشاعر:

وكأَنّ آدَمَ كَان قَبل وفاته أوصاك وهو يَجُودُ بِالحَوْبَاءِ[٣]
ببنيهِ أَنْ ترعاهُم فرعيتهم وكَفَيْتَ آدَمَ عَيْلَةَ الأبناءِ

وأخذ أبو الطَيِّب المتنبِّي آخر كلام أبي العَيناء فَقال:

قد شرف اللَّهُ دُنيا أنت سَاكنها وشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إنسانا

وقيل للحسن بن سهل: لِم قِيل: قال الأَوَّل، وقال الحكيم؟ قال: لأنَّه كلام قَد مَرَّ على الأسماع قبلنا، فَلو كان زَلَلاً لما نُقل إلينا مُسْتَحسناً.

[نفسه ص٨٨٨ ـ ٨٨٩]

❋ ❋ ❋

➢ منعتَ وبعضُ المنعِ حَزْمٌ وقُوَّة:

قال الكنديّ: قَولُ «لا» يَدفع البَلاء، وقول «نَعم» يُزيل النِّعم.

. . . وقال غيره: منع الجَميع أَرضى للجميع. إذا قَبح السُّؤال حسن المنع.

---

(١) «عَالَ يَعِيلُ عَيْلاً وعَيْلَةً وعُيُولاً ومَعِيلاً: افتقر، فهو عَائِل، الجمع: عَالَةٌ وعُيَّلٌ وعَيْلَى كسَكْرَى، والاسمُ: العَيْلَةُ» [القاموس المحيط: ١٠٣٧].

(٢) حاجتهم وفقرهم.

(٣) «الحَوْبَاءُ: النَّفْسُ، الجمع: حَوْبَاوَاتٌ» [القاموس المحيط: ٧٧].

وقال عليّ بن الجَهم: مَن وهب في عمله فهو مَخْدُوع، ومَنْ وهبَ بعد العَزْلِ فَهو أحمق، ومن وهب من جَوائز سلطانه أو ميراث لم يتعب فيه فهو مخذول، ومَن وهب من كِيسِه وما استفاد بِحيلته فهو المطبوع على قَلبه، المختوم على سمعه وبصره.

ومِن إنشاداتهم:

لا تَجُدْ بِالعطاءِ في غيرِ حَقٍّ ... ليسَ في مَنعِ غيرِ ذِي الحَقِّ بُخْلُ

وقال كُثَيِّر:

إذا المالُ لم يوجب عليك عَطاءَهُ ... حقيقةُ تقوَى أو صديق تُرَافِقُهْ
منعت وبعض المنعِ حَزمٌ وقُوَّةٌ ... ولم يَفتلتكَ[1] المالَ إلا حَقَائِقُهْ[2]

قال ابن المعتزّ:

يا رُبَّ جُودٍ جَرَّ فَقْرَ امرئ ... فَقام للنّاسِ مَقامَ الذَّلِيلِ
فاشدُد عُرَا مالِكَ واسْتَبْقِهِ ... فالبُخْلُ خَيرٌ من سُؤَالِ البَخيلِ

كتب بعض البخلاء يصف بخيلاً: حضرت ـ أعزّك الله ـ مائدةَ فلان للقدر المجلوب، والحَيْنِ[3] المتاحِ[4]، والشَّقاء الغالب، فَرأيت أواني تروق العيون محاسنها، ويُونق النُّفوس ظَاهِرُها وبَاطِنُها، وتزهى اللَّحظات ببدائع غَرائبها، وتستوفى الشَّهوات بِلطائف عجائبها، مكلَّلة بأحسن من حلي الحسان ووجوهها وزهرِ الرِّياض ونَورها، كأنّ الشَّمس حلّت بِساحتها، والبدر يَغرف من جوانبها فمددت يَداً عَنَّتها الشَّرَاهَة[5]، وغلبها القدر

(١) لم يأخذه منك بِسُرعة.
(٢) الحقائِق: جمعُ حقيقة، والمراد بها هُنا مَصَارِف المال التي يحقّ صرفه فِيها، مثل الإعانة على مكرمة، أو دفع ضائقة.
(٣) الهلاك.
(٤) المُقدّر المُهَيأ.
(٥) «شَرِهَ، كَفرِحَ: غَلَبَ حِرْصُهُ، فَهو شرِهٌ وشَرْهَانُ» [القاموس المحيط: ١٢٤٨].

الغالب، وجَرّها الطمع الكاذب، وإذا له مع كَسرٍ كلِّ رَغيف لحظة نُكْر، ومع كلِّ لُقمة نَظرة شزر(١)، وفِيما بين ذٰلك حُرَقٌ قائمة، يَصْلَى(٢) بها مَنْ حَضَرَهُ من الغِلمانِ والحَشم(٣)، وقام بين يديه من الولدان والخَدم، ومع ذٰلك فترة المغشيّ عليه من الموت، فلمّا وضعت الحرب أوزارها برفع الخِوان(٤)، وتَخَلَّت عنه سَمَادِيرُ(٥) الغشيان، بسط لسان جَهله، ونَصرَ مَا كَانَ من بُخله، ونظر إلى مُؤَاكله(٦)، نظر المسترقّ له بأكلتهِ، المالك لِخيط رقبته! يظنّ أَنّه أَولى مِن والديه بِنسبته، وأحقّ بِماله من ولده وعياله، يرى ذٰلك فَضْلاً وحَقًّا لازِماً، وأَمراً واجِباً نزل به الكتاب والسُّنَّة، واتَّفق عليه قُضاة الأُمّة، فإن دفعه ردّ حكم القضاء عليه، وإن سمح به فَغير محمود عليه.

[نفسه ص٨٨٩ ـ ٨٩٠]

❋ ❋ ❋

➢ بعض أخبار معن بن زائدة:

معن هو معن بن زائدة بن عبدالله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو أخي الحوفزان بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن

---

(١) «شَزَره، وشَزَرَ إليه يَشْزِرُه: نَظرَ منه في أحدِ شِقَّيه، أو هو نَظَرٌ فيه إعراضٌ، أَو نَظرُ الغَضْبَانِ بِمُؤْخِرِ العَينِ» [نفسه، ص٤١٥].

(٢) يُقاسي حَرَّها.

(٣) «حَشَمَةُ الرَّجل وحَشَمُه محرّكتين، وأَحشامُه: خَاصَّتُهُ الذينِ يَغضبون لَهُ مِن أهلٍ وعَبِيد أو جِيرَةٍ. والحَشَمُ، محرّكة، للواحِدِ والجَمع: وهو العِيَالُ، والقَرَابَة أيضاً» [القاموس المحيط: ١٠٩٤].

(٤) المائدة.

(٥) «السَّمَادِيرُ: شَيء يُتراءَى للإنسان مِن ضعف بَصَرِه عن السُّكرِ، وغَشْيُ الدُّوَارِ والنُّعَاس» [القاموس المحيط: ٤١٠].

(٦) من يُشاركه الأكل.

منبّه بن مُرّة بن ذُهل بن شيبان، وبنو مطر بيت شيبان، وشيبان بيت رَبيعة.

وكان معن أجود النّاس، وفيه يقول مَروان بن أبي حفصة ويعمّ بني مطر:

بنو مَطرٍ يوم اللِّقاء كأنّهم أسودٌ لها في غِيلِ[1] خَفَّانَ[2] أَشْبُلُ[3]
هُمُ يمنعون الجَار حتَّى كَأنّما لِجَارِهِمُ بَين السِّمَاكَين[4] مَنزل
ولا يَستطيع الفاعلونَ فِعالهم وإنْ أحسنوا في النَّائباتِ وأَجْمَلُوا
بهالِيلُ في الإسلام سَادُوا ولم يَكُنْ كأوّلهم في الجَاهليةِ أوَّلُ
هم القَومُ إنْ قالُوا أصابُوا وإنْ دُعُوا جَابُوا وإنْ أَعْطَوا أَطابوا وأَجْزَلُوا[5]

أخذ البيت الأوّل ابن الرُّومي، وزَادَ فِيه، فَقال:

تَلقاهُمُ ورِمَاحُ الخَطِّ بَينهم كالأسدِ ألبسها الآجَامَ خَفَّانُ

[نفسه ص٩١٢]

❋ ❋ ❋

أعرابي ورجل كريم:

أتى أعرابيّ رجلاً لم يكن بينه وبينه حرمة في حاجة له، فَقال: إنّي امتطيتُ إليك الرَّجاء، وسَرَيتُ على الأمل، ورافقت الشُّكر، وتَوَسَّلْتُ بِحُسنِ

(١) الغِيلُ ـ بكسر العين ـ: موضع الأسد.
(٢) خَفَّانَ: مكان مشهور بالأسود.
(٣) الأَشبُلُ، جمع شِبل ـ بالكسر ـ وهو ولد السَّبع.
(٤) السِّماكانِ: نَجمان نَيّرانِ وهما: الأَعزَلُ، والرَّامِحُ.
(٥) أكثروا العطاء.

الظَّنّ، فَحقَّق الأمل، وأَحسن المَثُوبَة[١]، وأكرم الصَّفَدَ[٢]، وأَقم الأَوَدَ[٣]، وعَجَّل السَّراح.

[نفسه ص٩١٤]

* * *

➢ نحرتنيَ الأعداء إِنْ لم تنحري:

قال أعرابيّ:

كَمْ قَدْ ولدتم مِنْ رَئيسٍ قَسْوَرِ[٤] ... دامي الأظافر في الخَمِيسِ[٥] المُمْطِرِ
سَدِكَتْ[٦] أَنَامِلُهُ بِقائم مُرهف ... وبنشرِ فَائدة وجِذوة مِنبرِ
ما إِنْ يُريدُ إذا الرِّمَاحِ تَشاجرت ... درعاً سوى سِرْبَالِها[٧] طيب العُنصر
يلقى السُّيوفَ بوجهه وبنحره ... ويُقيم هامَتَه[٨] مقام المِغْفَرِ[٩]
ويقول للطِّرْفِ[١٠] اصْطَبِرْ لِشَبَا[١١] القَنَا[١٢] ... فعقرتُ[١٣] رُكنَ المجدِ إِنْ لم تُعْقَرِ

(١) الجَزاء.
(٢) «الصَّفَدُ، محرّكة: العَطَاء» [القاموس المحيط: ٢٩٣].
(٣) العِوج.
(٤) «القَسْوَرَةُ: العَزيزُ، والأَسَدُ، كالقَسْوَرِ» [القاموس المحيط: ٤٦١].
(٥) الجيش العَظِيم.
(٦) «سَدِكَ بِهِ، كفرِحَ سَدْكاً وسَدَكاً: لَزِمَهُ» [نفسه، ص٩٤٢].
(٧) «السِّرْبَالُ، بِالكسر: القَمِيص، أو الدِّرعُ، أو كُلّ ما لبس» [القاموس المحيط: ١٠١٤].
(٨) «الهَامَةُ: رأسُ كُلّ شَيء الجمع: هَامٌ» [نفسه، ص١١٧٢].
(٩) «المِغْفَرُ، كمِنبَرٍ، وبهاءٍ وككتابة: زَرَدٌ مِنَ الدِّرْعِ يُلبس تحت القَلَنسُوَة» [نفسه، ص٤٥١].
(١٠) «الطِّرْفُ، بِالكسر: الكَرِيمُ من الخَيلِ» [القاموس المحيط: ٨٣١].
(١١) «الشَّبَاةُ: حَدُّ كلّ شَيء. الجمع: شَباً وشَبَواتٌ» [نفسه، ص١٢٩٨].
(١٢) جمع قناة وهي الرُّمح.
(١٣) «العَقْرُ: الجَرْحُ» [نفسه، ص٤٤٣].

وإذا تأمَّلَ شَخْصَ[١] ضَيْفٍ مُقْبِلٍ ... مُتَسَرْبِلٍ سِرْبَالَ مَحْلٍ[٢] أَغْبَرِ
أَوْمَى[٣] إِلى الكوماءِ[٤] هٰذا طَارِقٌ ... نَحَرتنيَ الأعداء إِنْ لم تُنْحَرِي

ومدح أعرابيّ رجلاً، فَقال: إنَّه ليغسل من العارِ وُجوهاً مُسودَّة، ويفتح من الرَّأي أبواباً مُنسَدَّة.

[نفسه ص٩١٤ ـ ٩١٥]

❊ ❊ ❊

➢ لا يُحْرِزُ الأَجْرَ إلا مَنْ له عَمَل:

وقَّع يَزيد بن خالد الكوفي رُقعة إلى يعقوب بن داود ضَمَّنها:

قُل لابن داود والأَنْبَاءُ سَائِرةٌ: ... لا يُحْرِزُ الأَجْرَ إلاَّ مَنْ له عَمَلُ
يا ذا الذي لم تَزَلْ يُمْنَاهُ مُذْ خُلِقَتْ ... فيها لِبَاغِي[٥] نَدَاهُ[٦] العَلُّ[٧] والنَّهَلُ[٨]
إن كنت مُسْدِي معروف إلى رَجُلٍ ... لفضل شُكْرٍ فإنّي ذٰلك الرَّجُلُ
فامْنُنْ عليَّ ببرٍّ منك يَنْعَشُني ... فإنّني شاكِر المعروف مُحتمل

قال يعقوب: قد جَرَّبنا شُكرك فَوجدناه قد سَبق برَّنا، وقد أمرت لك بِعشرة

(١) «الشَّخصُ: سوادُ الإنسان وغَيره تَراه مِن بُعْدٍ الجمع: أَشْخُصٌ وشُخُوصٌ وأشخاص» [القاموس المحيط: ٦٢١].
(٢) جَدب.
(٣) أشارَ.
(٤) «الكَوْمَاءُ: النَّاقَةُ العَظِيمة السَّنام، وقَد كَوِمَت، كَفرِح» [نفسه، ص١١٥٦].
(٥) طالب.
(٦) جُوده.
(٧) «العَلُّ والعَلَلُ، محرّكة: الشَّربة الثانية، أو الشَّرب بعدَ الشُّرب تِباعاً» [القاموس المحيط: ١٠٣٥].
(٨) «النَّهَلُ: أَوّلُ الشُّرْبِ» [نفسه، ص١٠٦٦].

آلاف درهم تصلح حالك، وليست آخر ما عندنا لك، فاستوفاها حتى مات.

[نفسه ص٩٥٠]

❋ ❋ ❋

◄ عزّة الخليل بن أحمد:

قال النَّضر بن شميل: كتب سليمان بن علي إلى الخليل بن أحمد يَستدعيه الخروج إليه، وبَعث إليه بِمالٍ كثير، فَردّه وكتب إليه:

أبلغ سليمان أنّي عنه في سَعَةٍ ... وفي غِنًى غيرَ أنّي لستُ ذَا مَالِ
يَسْخُو بِنفسيَ أنّي لا أرى أَحداً ... يموت هُزْلاً ولا يَبقى على حَالِ
والفَقرُ في النَّفسِ لا في المال نَعرفه ... ومثلُ ذاكَ الغنى في النَّفس لا المالِ
والمالُ يَغْشَى أناساً لا خَلاقَ[1] لَهُم ... كالسَّيْلِ يَغشى أُصول الدِّنْدِنِ[2] البَالي
كلُّ امرئٍ بِسبيل الموتِ مُرْتَهَنٌ ... فاعْمَلْ لِنَفسِكَ إنّي شاغل بَالي

أخذ هٰذا الطّائي فَقال:

لا تُنكِري عَطَلَ[3] الكريمِ مِنَ الغِنَى ... فالسَّيْلُ حَربٌ للمكان العَالِي

وقال أيضاً يصف قَوماً خُصُّوا بابن أبي داود:

نزلوا مركز النَّدَى وذَرَاهُ ... وعدتنا من دون ذاك العَوَادِي
غير أنّ الرُّبَا إلى سُبل الأَنْوَا ... ءِ[4] أَدْنَى والحَظُّ حَظُّ الوِهَادِ[5]

(١) «الخَلاَقَ، كسَحاب: النَّصِيبُ الوَافِرُ مِن الخَيْرِ» [القاموس المحيط: ٨٨١].
(٢) الدِّنْدِنُ، بِالكسر: أصلُ الصِّليان.
(٣) «عَطِلَتِ المرأةُ، كَفرح، عَطلاً بِالتَّحريك وعُطُولاً وتَعطَّلت: إذا لم يكُنْ عليها حَلْيٌ، فهي عاطِلٌ وعُطُلٌ» [القاموس المحيط: ١٠٣٣].
(٤) «النَّوْءُ: النَّجمُ مالَ للغُرُوبِ، الجمع: أَنْوَاءٌ» [نفسه، ص٥٤].
(٥) جمع الوَهْدَة: الأرضُ المُنْخَفِضَةُ.

وهذا الشّعر من أصلح شعر الخَليل، وكان شعره قَليلاً ضَعيفاً، بالإضافة إليه وهو أستاذ النَّحو والغَريب، وقد اخترع علم العروض من غير مثال تقدمه، وعنه أخذ سيبويه، وسعيد بن مسعدة، وأئمّة البصريين، وكان أوسع النّاس فِطنة، وألطفهم ذهناً. قال الطّائي:

فَلو نُشِرَ الخَلِيل إذاً لَعَفَّتْ رزاياه على فِطنِ الخَليلِ

[نفسه ص٩٥٦ ـ ٩٥٧]

❋ ❋ ❋

➤ وليسَ جَوادٌ مُعْدِمٌ كَبَخِيلِ:

عُوتب طُفيليّ على التَّطفيل فَقال: والله ما بُنيت المنازل إلا لتدخل، ولا نُصبت الموائد إلا لتؤكل، وإنّي لأجمع فيها خِلالاً، أدخل مجالساً، وأقعد مؤانساً، وأنبسط وإن كان رَبُّ الدَّارِ عابِساً، ولا أتكلّف مَغرماً، ولا أنفق درهماً، ولا أتعب خادماً.

وقال ابن الدَّرّاج الطُّفيليّ لأصحابه: لا يهولنَّكم إغلاق الباب، ولا شدّة الحجاب، وسوء الجواب، وعبوس البوّاب، ولا تحذير الغراب، ولا مُنابذة الألقاب، فإنَّ ذلك صائر بكم إلى محمود النَّوال، ومُغْنٍ لكم عن ذُلّ السُّؤال، واحتملوا اللَّكْزَة[1] الموهنة[2]، واللَّطمة المُزمنة[3]، في جَنب الظَّفر بالبُغية، ولدرك للأمنية، والزموا الطّوزجة للمعاشرين، والخفّة للواردين والصَّادرين... والبشاشة للخادمين والموكلين، فإذا وصلتم إلى مرادكم فَكُلوا محنكرين، وادّخروا لغدكم مجتهدين، فإنّكم أحقّ بِالطّعام ممّن دعي

(١) «اللَّقزُ: الضَّرْبُ بالجُمع، على الصَّدر، أو في جَميع الجَسدِ، أو اللَّكزُ واللَّقزُ بِجُمع الكفِّ في العُنق والصَّدر... كاللَّكزِ: وهو الوَكْزُ» [القاموس المحيط: ٥٢٤].

(٢) المُضعِفَةُ.

(٣) «الزَّمَانَةُ: العَاهَةُ، زَمِنَ، كفَرِحَ، زَمَناً وزُمْنَةً، بِالضَّمْ، وزمَانَةً، فَهو زَمِنٌ وزمِينٌ الجمع: زَمِنُونَ وزَمْنَى» [نفسه، ص١٢٠٣].

إليه، وأَولى بِهِ ممّن وضع له، فكونوا لوقته حافظين، وفي طلبه مُشَمّرين، واذكروا قَول أبي نُوَاس:

لِنخمُسَ[١] مالَ الله مِنْ كلِّ فاجِرِ ... وذي بِطنةٍ للطَّيباتِ أَكولِ

هٰذا يقولهُ أبو نُواس في أبيات تُستندرُ كُلّها، ويستظرف جلُّها، وهي:

وخَيمةِ ناطورٍ[٢] بِرأسِ مُنيفةٍ[٣] ... تَهُمُّ يدَا مَنْ رَامَهَا[٤] بِزَليلِ
إذا عارضتها الشَّمْسُ فَاءَتْ[٥] ظِلالها ... وإنْ واجهتها آذَنَتْ بِدُخُولِ
حططنا بها الأثقالَ فَلَّ هَجيرةٍ[٦] ... عَبُورِيَّةٍ[٧] تُذْكَى[٨] بغيرِ فَتِيلِ
تَأَنَّتْ[٩] قَلِيلاً ثُمّ فَاءَتْ[١٠] بِمَذْقَةٍ[١١] ... مِن الظِّلِّ في رَثِّ الإناءِ ضَئِيلِ
كأنَّا لديها بَين عِطْفَي نَعَامَةٍ ... جَفَا زَوْرُهَا[١٢] عن مَبْرَكٍ ومَقِيلِ
حَلَبْتُ لأصحابِي بها دِرَّةَ[١٣] الصِّبَا ... بِصفراءَ مِن مَاءِ الكُروم شَمُولِ

---

(١) تقول: خَمَسْتُ المالَ أخمسُهُ ـ مِن باب نَصَرَ ـ إذا أخذت خُمْسَهُ.
(٢) «النَّاطِرُ والنَّاطُورُ: حافِظ الكَرْمِ والنَّخلِ، أعجميُّ الجمع: نُطّارٌ ونَوَاطِيرُ ونَطَرَةٌ» [القاموس المحيط: ٤٨٤].
(٣) جَبَلٌ مُنِيفٌ: مُرتفع عَالٍ.
(٤) طلبها.
(٥) «الفَيءُ: مَا كان شَمساً فَينسَخُهُ الظِّلُّ، الجمع: أَفْيَاءٌ وفُيُوءٌ» [القاموس المحيط: ٤٨].
(٦) «الهَجِيرُ والهَجِيرَةُ والهَجْرُ والهاجِرَةُ: نِصف النَّهار عند زَوال الشّمس مع الظُّهر» [نفسه، ص٤٩٥].
(٧) عبُوريَّة: منسوبة إلى الشّعرى العبور، وطلوعها أشدّ الحَرّ. (المحقّق)
(٨) تشتعل.
(٩) «تأنّى واسْتَأْنَى: تَثَبَّتَ» [القاموس المحيط: ١٢٦٠].
(١٠) رَجعت.
(١١) لبنٌ مَذِيق: ممزُوجٌ بالماءِ.
(١٢) «الزَّوْرُ: وسطُ الصَّدْرِ، أو ما ارتفع منه إلى الكَتِفين، أو مُلتَقى أَطراف عظام الصَّدر حيث اجتمعت» [القاموس المحيط: ٤٠٢].
(١٣) «الدَّرُّ: اللَّبنُ، كالدِّرَّةِ، بالكسر، وكثرته، كالاسْتِدْرارِ، يَدُرُّ ويَدِرُّ» [القاموس المحيط: ٣٩١].

إذا ما أَتَتْ دُونَ اللَّهَاةِ مِنَ الفَتَى ... دعا هَمُّهُ من صدره بِرَحِيلِ
فلمّا تَوَافى اللّيل جُنحاً من الدُّجى ... تَصَابَيْتُ واستجملتُ غيرَ جَمِيلِ
وأعطيتُ مَنْ أهوى الحديث كما بَدَا ... وذَلَّلْنَا صَعْباً كانَ غَيرَ ذَلُولِ
كفى حزناً أنَّ الجَوَادَ مُقَتَّرٌ[1] ... عليه ولا معروفَ عند بَخيلِ
سأبغي الغِنَى إمّا وَزيرَ خَلِيفة ... يقوم سواءً أو مخِيفَ سبيلِ
بكلِّ فَتَى لا يُستطارُ[2] فُؤاده ... إذا نَوَّهَ[3] الزَّحفانِ باسمِ قَتيلِ
لنخمس مالَ الله مِن كلِّ فاجِرٍ ... وذي بِطنة للطَّيِّبَاتِ أَكُولِ
ألَمْ تَرَ أَنَ المالَ عَوْنٌ على التُّقى ... وليس جَوَادٌ مُعْدِمٌ كَبَخِيلِ

[نفسه ص٩٧٩ ـ ٩٨٠]

❋ ❋ ❋

➢ الاهتزاز لِقضاء حوائج النَّاس:

قال أبو عثمان عمرو بن بَحر الجَاحظ: حدَّثني أبو الهيثم بن السِندي بن شاهك قال: قُلت في أيّام ولايتي الكوفة لرجل من أهلها لا يجفّ قلمه ولا تستريح يَده، ولا تسكن حركته في طلب حوائج النّاس، وإدخال المنافع على الضُّعفاء، وكان رجلاً مُفَوَّهاً[4]: أخبرني عن الشَّيء الذي هَوَّن عليك النَّصَب[5]، وقَوَّاك على التَّعب، ما هو؟ قال: قد، والله، سمعت تغريد الأطيار بالأسحار على أفنان[6] الأشجار، وسمعت خفق أوتارِ العِيدان، وترجيع أصوات القِيان، فَما طربتُ من صوتٍ قَطُّ طَربي مِن ثناء

---

(١) «قَتَّرَ عليهم، وأقترَ: ضَيَّق في النَّفقة» [القاموس المحيط: ٤٥٩].
(٢) «استطارَ الحائط: انْصَدَعَ» [نفسه، ص٤٣٢].
(٣) «نَوَّهَهُ، ونَوَّهَ بِهِ: دَعَاهُ ورفعه» [نفسه، ص١٢٥٥].
(٤) «مُفَوَّهٌ، كمُعَظَّم، وفَيِّهٌ، ككَيِّس: منطيق» [القاموس المحيط: ١٢٥١].
(٥) التَّعب.
(٦) أغصان.

حَسَن، على رَجل قد أحسن، ومِن شاكر مُنعم، ومن شفاعة شَفيع محتسب لطالب ذاكر.

❋ ❋ ❋

➤ ذَمُّ البُخل وفضل الجُود:

قال أبو علي: حَدَّثنا أبو الحَسن جَحظة البَرمكيّ، عن حمّاد بن إسحاق الموصلي، وحدّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حَدّثنا أبو العباس أحمد بن يَحيى ثَعلب النَّحوي، قال: حدّثنا حَمَّاد، عن أبِيه، قال: دخلت يوماً على الرَّشيد فقال لي: يا إسحاق أنشدني شيئاً مِن شعرك، فأنشدته:

وآمِرَةٍ بِالبُخْلِ قُلْتُ لها اقْصُري ... فَذَلِك شَيءٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
أَرَى النَّاسَ خُلاَّنَ الجَوَادِ وَلاَ أَرَى ... بَخِيلاً لَهُ في العَالَمِين خَلِيلُ
ومِنْ خَيْرِ حَالاَتِ الفَتَى لو عَلِمْتِهِ ... إذا نَالَ شَيْئاً أَنْ يَكُونَ يُنِيلُ
فإنِّي رَأَيْتُ البُخْلَ يُزْرِي[1] بِأهله ... فأكرمتُ نفسي أَنْ يُقَالَ بَخِيل
عَطَائِي عَطَاءُ المُكْثِرِينَ تَجمُّلاً ... ومَالِي كمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
وكَيْفَ أَخَافُ الفَقْرَ وأُحْرَمَ الغِنَى ... ورَأْيُ أَمِيرِ المؤمنينَ جَمِيلُ

فقال: لا كَيف إن شاء الله، يا فَضل، أعطه مائة ألف درهم، ثُمّ قال: لله دَرُّ أبيات تأتينا بها يا إسحاق، ما أَتْقَنَ أصولها، وأحسن فُصُولها! ـ وزاد جَحْظَة ـ وأقلّ فُضُولها، فقلت: كَلامُك يا أمير المؤمنين أحسنُ مِن شِعري، فقال: يا فَضْلُ، أعطه مائة ألف أخرى، فكان أَوّل مال اعتقدته.

[«الأمالي» لأبي علي القالي. تحقيق: الشَّيخ صَلاح بن فتحي هلل والشَّيخ سَيِّد بن عبّاس العَلِيمي، ص٤٢]

---

(١) «زَرَى عَليهِ زرْياً وزِرَايَةً ومَزرِيَةً ومَزرَاةً وزُرْيَاناً، بِالضَّمّ: عَابَهُ، وعَاتَبه، كَأَزْرَى، لكنّه قَليل، وتَزَرَّى» [القاموس المحيط: ١٢٩٢].

➢ كَريم على حين الكرام قَلِيل:

قال أبو علي: أنشدنا أبو بكر بن الأنباري رحمه الله عن أبِيه، عن أحمد بن عُبيد لشاعر قَديم:

وعَاذِلَةٍ[١] هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ... ولَمْ يَغْتَمِرْنِي[٢] قَبْلَ ذَاكَ عَذُولُ
تَقولُ اتَّئِدْ لا يَدْعُكَ النّاسُ مُمْلِقاً[٣] ... وتُزْرِي بِمَنْ يا ابنَ الكِرَام تَعُولُ
فَقلتُ أَبَتْ نَفْسٌ عَلَيَّ كَرِيمةٌ ... وطَارِقُ لَيْلٍ غير ذَاك يَقُولُ
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرَكِ اللَّهَ[٤] إنّني ... كريمٌ على حِين الكرام قَلِيلُ
وإنِّيَ لا أُخْزَى إذَا قِيلَ مُمْلِقٌ ... سَخِيٌّ وأَخْزَى أنْ يُقَالَ بَخِيلُ
فَلاَ تَتْبَعِي العَيْنَ الغَوِيَّة وانْظُرِي ... إلى عُنْصُرِ الأَحْسَابِ أيْنَ يَؤُولُ
ولا تَذْهَبَنْ عَيْنَاكِ في كُلِّ شَرْمَحٍ ... له قَصَبٌ[٥] جُوقُ العِظَامِ أَسِيلُ[٦]
عَسَى أنْ تَمَنَّى عِرْسُهُ[٧] أنَّني لَهَا ... بِهِ حِينَ يَشْتَدُّ الزَّمَانُ بَدِيلُ
إذَا كُنت في القَوم الطِّوالِ فَضَلْتُهُم[٨] ... بِعَارِفَةٍ[٩] حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
ولا خَيْرَ في حُسْنِ الجُسُوم وطُولِهَا ... إذا لم يَزِنْ حُسْنَ الجُسُوم عُقُولُ
وكَائِنْ رَأَيْنَا مِن فُرُوعٍ طَوِيلَةٍ ... تَمُوتُ إذا لَمْ يُحْيِهِنَّ أُصولُ

(١) «العَذْلُ: الملامَة، كالتَّعْذِيلِ، والاسمُ: العَذَلُ، محرّكة. واعْتَذَلَ وتَعَذَّل: قَبِلَ المَلامَة، فهو عُذَلَةٌ، كَهمزة وشَدَّادٍ: كَثيره» [القاموس المحيط: ١٠٣١].
(٢) «غَمَرَهُ الماءُ غَمْراً واغْتَمَرَهُ: غَطَّاه» [نفسه، ص٤٥٢].
(٣) «أَمْلَقَ: افتقر» [القاموس المحيط: ٩٢٥].
(٤) «عَمرَ الله مَا فَعلتَ كَذا، وعَمْرَكَ اللَّهَ مَا فَعَلتَ كَذَا، أصلُه: عَمَرْتُكَ الله تَعْمِيراً، وأُعَمِّرُك اللّهَ أَنْ تَفعَلَ، تُحَلِّفُهُ بِالله، وتَسأله بِطُول عُمْرِه» [نفسه، ص٤٤٤].
(٥) «القَصَبُ، محرّكة: عِظَامُ الأصابع، وشُعَبُ الحَلْقِ، ومخارِجِ الأَنْفَاس» [القاموس المحيط: ١٢٥].
(٦) «الأَسِيلُ، كأمِيرٍ: الأَمْلَسُ المُسْتوي» [نفسه، ص٩٦١].
(٧) «العِرْسُ: امرأة الرَّجُلِ» [القاموس المحيط: ٥٥٧].
(٨) «الفَضْلُ: ضِدُّ النَّقْصِ، الجمع: فُضُولٌ، وقَدْ فَضَلَ كنَصَرَ وعَلِمَ» [نفسه، ص١٠٤٣].
(٩) «العَارِفَةُ: المعروفُ، كالعُرْفِ، بِالضَّمِّ، الجمع: عَوارِفُ» [نفسه، ص٨٣٦].

فإنْ لا يَكُنْ جِسْمِي طَوِيلاً فإنَّنِي ... لـه بِـالـفِـعَـالِ الـصَّـالِـحَـاتِ وَصُـولُ
ولَـمْ أَرَ كـالـمَـعْـرُوفِ أَمَّـا مَـذَاقُـهُ ... فَـحُـلْـوٌ وأَمَّـا وَجْـهُـهُ فَـجَـمِـيـلُ

قال أبو علي: الشَّرْمَحُ: الطَّويل، وكذلك الشَّوْقَبُ.

وقال أبو بكر بن الأنباري ـ رحمه الله تَعالى ـ: العَارِفَةُ: النَّفس الصَّابِرَة.

[نفسه ص٤٩ ـ ٥٠]

***

➢ شعر في مَدح الكريم:

قال أبو علي: قَرأت على أبي بكر بن دُرَيد لبعض الأعراب:

سَأَشْكُرُ عَمْراً إنْ تَرَاخَتْ[١] مَنِيَّتِي ... أَيَادِيَ[٢] لم تُمْنَنْ[٣] وإنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتَى غَيْرَ مَحْجُوبِ الغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ ... ولاَ مُظْهِرِ الشَّكْوَى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ
رأى خَلَّتِي[٤] مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا ... فَكَانَتْ قَذَى[٥] عَيْنَيْهِ حتَّى تَجَلَّتِ

وأنشدني أبو بكر بن دريد رحمه الله لبعض الأعراب:

إنِّي حَمِدْتُ[٦] بَنِي شَيْبَانَ إذْ خَمَدَتْ[٧] ... نِيـرَانُ قَوْمِي وشَبَّتْ[٨] فِيهِـم الـنَّـارُ

(١) «تَرَاخَى: تَقَاعَسَ» [القاموس المحيط: ١٢٨٧].
(٢) «اليَدُ: النِّعمة، والإحسانُ تَصطنعه الجمع: يُدِيٌّ، مُثلّثة الأوّل، وأيد» [نفسه، ص١٣٤٧].
(٣) «مَنَنْتُ عليه مَنًّا: عَدَدْتُ لَهُ مَا فَعلت له مِنَ الصَّنائع» [المصباح المنِيرُ: ٢٢٢].
(٤) «الخَلَّةُ: الحَاجَةُ، والفَقْرُ، والخَصَاصَةُ» [القاموس المحيط: ٩٩٤].
(٥) «القَذَى: مَا يَقَع في العَينِ وفي الشَّرَاب، ومَا هَرَاقتِ النَّاقَة والشاةُ مِن مَاءٍ وَدَمٍ قبل الولدِ وَبَعده» [نفسه، ص١٣٢٣].
(٦) «الحَمْدُ: الشُّكْرُ. حَمِدَهُ، كسَمِعَهُ، حَمداً ومَحْمِداً ومَحْمَداً ومَحْمِدَةً ومَحْمَدَةً، فَهو حَمُودٌ وحَمِيدٌ» [القاموس المحيط: ٢٧٨].
(٧) سَكَنَ لَهَبُها.
(٨) الشَّبُّ: الإيقَادُ.

ومِنْ تَكَرُّمِهِمْ في المَحْلِ[١] أَنَّهُمُ ... لا يُعْرَفُ الجَارُ فِيهم أَنَّه جَارُ
حَتَّى يَكُونَ عَزِيزاً مِن نُفُوسِهِمُ ... أَوْ أَنْ يَبِينَ جَمِيعاً وهو مُخْتَارُ
كَأَنَّه صَدَعٌ[٢] في رَأْسِ شَاهِقَةٍ[٣] ... من دُونِهِ لِعِتَاقِ[٤] الطَّيْرِ أَوْكَارُ

وأنشدني أيضاً:

نَزَلْتُ على آلِ المُهَلَّبِ شَاتِياً[٥] ... غَرِيباً عَنِ الأَوْطَانِ في زَمَنِ المَحْلِ
فَمَا زال بِي إكْرَامُهُم وافْتِقَادُهُمْ ... وإلطافُهم حتى حَسِبْتُهُم أَهْلِي

[نفسه ص٥١ ـ ٥٢]

❊ ❊ ❊

➢ شعر حُجَيَّة بن مُضَرِّب في مَدح بعض الملوك:

قال أبو علي: أنشدنا أبو بكر رحمه الله قال: أنشدني عَمِّي، عن أَبيه، عن ابن الكلبي لِحُجَيَّة بن المُضَرِّب يمدح يَعْفُر بن زرعة أحد الأُمْلُوك[٦]، أملوك ردمان[٧]:

إذا كُنْتَ سَائِلاً عَن المَجْدِ والعُلاَ ... وأَيْنَ العَطَاءُ الجَزْلُ[٨] والنَّائِلُ[٩] الغَمْرُ[١٠]

(١) «المَحْلُ: الشِّدَّةُ، والجَدْبُ» [نفسه، ص١٠٥٦].
(٢) «الصَّدْعُ: الشَّقُّ في شيء صُلْبٍ» [القاموس المحيط: ٧٣٦].
(٣) «الشاهِقُ: المُرتفع مِن الجِبال والأبنية وغيرها» [نفسه، ص٨٩٩].
(٤) «العَتِيقُ: الخِيارُ مِن كُلِّ شيء» [نفسه، ص٩٠٦].
(٥) «شَتَا بِالبَلَدِ: أَقام به شِتَاءً، كَشَتَّى وتَشَتَّى. وأَشْتَوْا: دَخَلُوا فيه». [القاموس المحيط: ١٢٩٨].
(٦) الأُمْلُوكُ: اسمُ جمع بمعنى الملوك وهم مقاول حمير، أي: ملوكها. ط.
(٧) ردمان: اسم قَبِيلة من العرب بِاليمن. ط.
(٨) «الجَزْلُ: الحَطَبُ اليابِسُ، أو الغَلِيظُ العظِيمُ مِنه، والكَثِيرُ من الشَّيء، كالجَزِيلِ، الجمع: كجِبالٍ» [القاموس المحيط: ٩٧٦].
(٩) النَّائِل: العَطاءُ.
(١٠) «الغَمْرُ: الماءُ الكَثِيرُ، كَالغَمِيرِ الجمع: غِمَارٌ وغُمُورٌ» [نفسه، ص٤٥١].

فَنَقِّبْ عَنِ الأمْلُوكِ واهْتِفْ بِيَعْفُرٍ[١] ... وعِشْ جَارَ ظِلٍّ لا يُغَالِبُهُ الدَّهْرُ
أُولئك قَوْمٌ شَيَّدَ[٢] اللّهُ فَخْرَهُمْ ... فَما فَوْقَهُ فَخْرٌ وإن عَظُمَ الفَخْرُ
أُنَاسٌ إذا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهُهُ ... فأيدِيهِمُ بِيضٌ وأَوْجُهُهُمْ زُهْرُ[٣]
يَصُونُونَ أَحْسَاباً[٤] ومَجْداً مُؤَثَّلاً[٥] ... بِبَذْلِ أَكُفٍّ دُونَهَا المُزْنُ[٦] والبَحْرُ
سَمَوْا في المعالي رُتْبَةً بَعْدَ رُتْبَةٍ ... أَحَلَّتْهُمُ حَيْثُ النَّعَائِمُ[٧] والنَّسْرُ[٨]
أَضَاءَتْ لهم أَحْسَابُهُمْ فَتَضاءَلَتْ ... لِنُورهم الشَّمْسُ المُنِيرَةُ والبَدْرُ
فَلَوْ لامَسَ الصَّخْرُ الأَصَمُّ أَكُفَّهُمْ ... لَفَاضَتْ ينابِيعُ النَّدَى ذٰلك الصَّخْرُ
ولو كَانَ في الأَرْضِ البَسِيطَةِ مِنْهُمُ ... لِمُخْتَبِطٍ[٩] عَافٍ[١٠] لمَا عُرِفَ الفَقْرُ
شَكَرْتُ لَكم آلاءَكم وبَلاءَكم ... ومَا ضاعَ معروفٌ يُكَافِئه شُكر

[نفسه ص٦٣]

❊ ❊ ❊

(١) يعفر: اسم مَلك مِن ملوك اليَمن.

(٢) «الشِّيدُ، بالكسر: الجصّ. وشِدْتُ البيتَ أَشِيدُهُ مِنْ بَابِ بَاعَ بَنَيْتُه بِالشِّيدِ فَهو مَشِيدٌ. وشَيَّدْتُهُ تَشْيِيداً: طَوّلته ورفعته» [المصباح المنير: ١٢٦].

(٣) «الزُّهْرُ، بِالضَّمِّ: البَيَاضُ، والحُسْنُ، وقَدْ زَهِرَ، كفَرِحَ وكَرُمَ، وهو أَزْهَرُ» [القاموس المحيط: ٤٠٣].

(٤) «الحَسَبُ: مَا تَعُدُّهُ مِن مفاخِرِ آبائك، أو المالُ، أو الدِّين، أو الكَرمُ، أو الشَّرَفُ في الفِعلِ، أو الفِعَالُ الصَّالِحُ، أو الشَّرفُ الثابِت في الآباء، أو البالُ، أو الحَسَبُ والكَرمُ قد يَكُونان لِمَن لا آباء لهُ شُرَفَاء، والشَّرَفُ والمَجْدُ لا يكونانِ إلاَّ بِهم» [القاموس المحيط: ٧٤].

(٥) «أَثَّلَ مَالَهُ تأثِيلاً: زكَّاه وأصله، ومُلْكَهُ: أَصَّلَهُ» [نفسه، ص٩٦٠].

(٦) «المُزْنُ، بِالضَّمِّ: السَّحَابُ، أو أبيضه، أو ذُو الماء، القِطعةُ: مُزْنَة» [نفسه، ص١٢٣٤].

(٧) «النَّعَائِمُ: مِن مَنازِل القَمَرِ» [القاموس المحيط: ١١٦٣].

(٨) «النَّسْرُ: كَوكبانِ الوَاقِع والطَّائِر» [نفسه، ص٤٨١].

(٩) «خَبَطَ زَيداً: سأله المعروفَ مِن غَيرِ آصِرَةٍ، كاخْتَبَطَه فَخَبَطَهُ زَيْدٌ بِخيرٍ: أعطاه» [القاموس المحيط: ٦٦٤].

(١٠) «العَافِي: كُلّ طالب فَضْلٍ أو رِزْقٍ، كالمُعْتَفِي» [نفسه، ص١٣١٣].

◄ شِعر الأحوص في سؤال يَزيد:

قال أبو علي: حدَّثنا أبو بكر بن دُريد، قال: أخبرنا الرِّياشي، عن ابن سلام، قال: بلغني أنَّ الأَحوص دَخَل على يَزيد بن عبدالملك فقال له يزيد: لو لم تَمُتَّ[1] إلينا بِحُرمة، ولا تَوَسَّلتَ بِدَالَّة، ولا جَدَّدت لنا مَدْحاً، غير أنَّك مُقتصر على بَيْتَيك لاستَوْجَبْتَ عندنا جَزيل الصِّلة، ثُمّ أنشد يَزيد:

وإنِّـي لأسـتـحـيـيـكُـمُ أَنْ يَـقُـودَنِـي   إلى غَيْرِكُم من سَائِر النَّاسِ مَطْمَعُ
وأَنْ أَجْتَدِي[2] للنَّفْعِ غيرَك مِنهمُ   وأنــت إِمـام لـلـبَـرِيّـةِ مَـقْـنَـعُ

وقال الرِّياشي: وإنَّما قال هٰذين البيتين في عمر بن عبدالعَزيز رضي الله عنه.

[نفسه ص٧٧ ـ ٧٨]

❋ ❋ ❋

◄ لا يُبعد الله قَوْماً إِنْ سألتهم أَعطوا:

قال أبو علي رحمه الله: وأنشدنا أبو بكر بن دُريد رحمه الله قال: أنشدنا عبدالرَّحمٰن، عن عَمِّه، قال: أنشدني رجل مِن بني فَزارة:

لا يُـبْـعِـدِ الـلَّـهُ قَـوْمـاً إِنْ سَـأَلْـتُـهُـمُ   أعطوا وإنْ قُلتُ يا قوم انْصُرُوا نَصَرُوا
وإِنْ أَصَـابَـتْـهُـمُ نَـعْـمَـاءُ سَـابِـغَـةٌ[3]   لـم يَـبْطروها[4] وإن فاتَتْهُمُ صَبَرُوا

(١) «المَتُّ: التَوَسُّلُ بِقَرَابَةٍ، كالمَتْمَتَة» [القاموس المحيط: ١٦٠].

(٢) «الجَدَا والجَدْوَى: المَطَرُ العام، أو الذي لا يُعْرَفُ أقصاه، والعَطِيّة. وهذانِ جَدْوَانِ وجَدْيانِ نادِرٌ. وجَدَا عليه يَجْدُو وأَجْدَى. والجَادِي: طالب الجَدْوَى، كالمُجْتَدِي» [القاموس المحيط: ١٢٦٩].

(٣) «شيءٌ سَابِغٌ أي: كَامِلٌ وَافٍ. وسَبَغَتِ النِّعْمَةُ اتَّسَعَتْ وبَابُهُ دَخَل» [مختار الصِّحاح: ١٢٠].

(٤) «البَطَرُ: الأَشَرُ وهو شِدَّةُ المرَحِ وبَابُهُ طَرِبَ» [نفسه، ص٢٣].

الكاسِرُونَ عِظَاماً لا جُبُورَ[١] لَهَا والجَابِرُونَ فأَعْلَى النّاسِ مَنْ جَبَرُوا

فقلت: مَن يَقُول هذا؟ فقال: الذِي يَقُول:

إذا نُشِرَتْ نَفْسِي تَذَكَّرْتُ مَا مَضَى وقَوْمِيَ إذْ نَحْنُ الذُّرَى[٢] والكَوَاهِلُ[٣]
وإذْ لِيَ مِنهم جُنَّةٌ[٤] أتَّقِي بِها وجُرْثُومَةٌ[٥] فِيها حِفاظٌ[٦] ونَائِلُ[٧]
وإذْ لاَ تَرُودُ[٨] العَيْنُ عَنَّا لِبِغْيَةٍ[٩] ولا يَتَخَطّانا[١٠] المَرُوعُ[١١] المُوَائِلُ[١٢]
ولا يَجِدُ الأَضْيَافُ عَنَّا مُحَوَّلاً إذا هَبَّ أَرْوَاحُ[١٣] الشّتاءِ الشَّمَائِلُ[١٤]

---

(١) «الجَبْرُ: خِلافُ الكَسْرِ. جَبَرَ العَظْمَ والفَقِيرَ جَبْراً وجُبُوراً وجِبَارَة، وجَبَّرَهُ فَجَبَرَ جَبْراً وجُبُوراً» [القاموس المحيط: ٣٦٠].

(٢) «ذُرْوَةُ الشَّيءِ، بِالضَّمِّ والكسر: أعلاه» [نفسه، ص١٢٨٤].

(٣) «الكَاهِلُ، كَصَاحِب: الحَارِكُ، أو مُقَدّم أعلى الظَّهر ممّا يلِي العُنق وهو الثُّلُث الأعلى... والكَاهِلُ: المنيعُ الجَانِب» [نفسه، ص١٠٥٥].

(٤) «الجُنَّةُ، بالضَّمِّ: كُلُّ مَا وَقَى» [القاموس المحيط: ١١٨٧].

(٥) «جُرْثُومَةُ الشَّيءِ، بِالضَّمِّ: أَصْلُه» [نفسه، ص١٠٨٧].

(٦) «المُحَافَظَةُ: الذَّبُّ عن المَحَارِمِ، كالحِفَاظ، والاسمُ: الحَفِيظة» [نفسه، ص٦٩٥].

(٧) «النَّوَالُ والنَّالُ والنَّائِلُ: العَطَاءُ» [نفسه، ص١٠٦٦].

(٨) «الرَّوْدُ: الطَّلَبُ» [القاموس المحيط: ٢٨٤].

(٩) «بَغَيْتُهُ أَبْغِيهِ بُغَاءَ وبُغَى وبُغْيَةً، بِضَمِّهِنَّ، وبِغْيَةً، بِالكسر: طلبته» [نفسه، ص١٢٦٣].

(١٠) جَاوَزَنا.

(١١) «الرَّوْعُ: الفَزَعُ، كَالارتِيَاعِ والتَّرَوُّع» [نفسه، ص٧٢٣].

(١٢) «وَأَلَ إِليهِ يَئِلُ وَأْلاً ووُؤُولاً ووَئِيلاً ووَاءَلَ مُوَاءَلَةً ووآلاً: لَجَأَ وخَلَصَ» [نفسه، ص١٠٦٦].

(١٣) «الرِّيحُ: معروفٌ. الجمع: أَرْوَاحٌ وأَرْيَاحٌ ورِيَاحٌ ورِيَحٌ، كعِنَبٍ، جمع الجَمع: أَرَاوِيحُ وأَرَايِيحُ» [القاموس المحيط: ٢٢٠].

(١٤) «الشَّمَالُ، بالفتح ويُكْسَرُ: الرِّيحُ التِي تَهُبُّ مِنْ قِبَلِ الحِجْرِ، أو ما استقبلك عن يَمينك وأنت مُستقبل، والصَّحِيحُ أنّه مَا مَهَبُّهُ بين مَطْلَعِ الشَّمْسِ وبَنَاتِ نَعْشٍ، أو مِن مَطْلَع النَّعْشِ إلى مَسْقَطِ النَّسْرِ الطَّائِر، ويكون اسْماً وصِفَة، ولا تَكَادُ تَهُبُّ لَيْلاً، كَالشَّيْمَلِ والشَّأْمَلِ بالهمز» [نفسه، ص١٠٢٠].

إذَا قِيلَ أَيْنَ المُشْتَفَى بِدِمَائِهِمْ[١] وأَيْنَ الرَّوَابِي[٢] والفُرُوعُ المَعَاقِلُ
أُشِيرَ إِلَيْنَا أَو رَأى النَّاسُ أَنَّنَا لَهُم جُنَّةٌ إنْ قَالَ بِالحقّ قَائِلُ
فأصبحتُ مثل النَّسْرِ تَحت جَناحِهِ قَوَادِمُ[٣] صَارَتْهَا إِليهِ الحَبَائِلُ[٤]
فَلَوْ أَنّ قَوْمِي أكرموني وأَتْأَقُوا[٥] سِجَالاً بِها أَسْقِي الذِين أُسَاجِلُ
كَفَفْتُ الأَذَى مَا عِشْتُ عَنْ حُلَمَائِهِمْ[٦] ونَاضَلْتُ عَنْ أعراضِهِمْ مَنْ يُنَاضِلُ
ولكنّ قَوْمِي عَزَّهُمْ[٧] سُفَهاؤهم على الرَّأْيِ حَتَّى لَيْسَ للرَّأْيِ حَامِلُ
تُظُوهِرَ بِالعُدْوَانِ واخْتِيلَ بِالغِنى وشُورِكَ في الرَّأْيِ الرِّجالُ الأَمَاثِلُ[٨]

ثُمّ قام مُغْضَباً مُتَصَاعِراً[٩] كَأَنَّ المحاجم[١٠] على أخدعيه[١١].

[نفسه ص٩٠]

---

(١) المُشتفى بِدمائهم: الملوك الأشراف، فإنَّ العرب يزعمون أنّ دِماء الملوك تَشفي من الكَلَبِ والخَبَل.

(٢) «الرَّابِيَةُ والرَّبَاةُ: ما ارْتَفَعَ مِنَ الأرض» [القاموس المحيط: ١٢٨٦].

(٣) «القَوَادِمُ والقُدَامَى، كَحُبَارى: أَرْبَعُ أو عَشْرُ رِيشَاتٍ في مُقَدَّمِ الجَنَاح، الواحِدَةُ: قَادِمَة» [القاموس المحيط: ١١٤٧].

(٤) «الحِبَالَةُ، ككتابة: المِصْيَدَةُ، كالأُحْبُولِ والأُحْبُولَةِ» [نفسه، ص٩٨١].

(٥) «تَئِقَ السِّقَاءُ، كفَرِحَ: امْتَلأَ، وأَتْأَقْتُهُ» [نفسه، ص٨٧٠].

(٦) «الحِلْمُ، بالكسر: الأَنَاةُ والعَقْلُ، الجمع: أَحْلامٌ وحُلُومٌ، ومنه: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ [الطُّور: ٣٢].
وهو حَلِيمٌ الجمع: حُلَمَاءُ وأَحْلامٌ. وقَدْ حَلُمَ بِالضَّمِّ حِلْماً» [القاموس المحيط: ١٠٩٦].

(٧) «عَزَّهُ، كَمَدَّهُ: غَلَبَهُ في المُعَازَةِ، والاسمُ: العِزَّةُ بالكسر» [نفسه، ص٥١٧].

(٨) «الأَمْثَلُ: الأَفْضَلُ، الجمع: أَمَاثِلُ» [نفسه، ص١٠٥٦].

(٩) «صَعَّرَ خَدَّهُ تَصْعِيراً وصَاعَرَهُ وأَصْعَرَهُ: أَمَالَهُ عن النَّظَر إلى النَّاسِ تَهاوُناً مِن كِبْرٍ، ورُبّما يَكون خِلْقَةً» [القاموس المحيط: ٤٢٤].

(١٠) «الحَجْمُ: المَصُّ. يَحْجِمُ ويَحْجُمُ. والحَجَّامُ: المَصَّاصُ. والمِحْجَمُ والمِحْجَمَةُ، بِكسرهما: مَا يُحْجَمُ به» [نفسه، ص١٠٩١].

(١١) «الأَخْدَعُ: عِرْقٌ في المَحْجمتين، وهو شُعبة مِنَ الوَرِيدِ، الجمع: أَخَادِعُ» [نفسه، ص٧١٢].

➢ مواساة الإخوان:

قال أبو علي رحمه الله: وأنشدني بعض أصحابنا:

ولكنَّ عَبْدَاللَّهِ لمّا حَوَى الغِنى ... وصار لَهُ مِن بين إخوانه مَالُ
رأى خَلَّةً مِنهم تُسَدُّ بِمَالِهِ ... فَسَاهَمَهُم حتى اسْتَوَت فيهم الحَالُ

[نفسه ص٩٣]

❋ ❋ ❋

➢ خبر ليلى الأخيلية مع الحَجَّاج:

قال أبو علي رحمه الله: وحدَّثني أبو بكر بن الأنباري، قال: حدَّثني أبي، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد، عن أبي الحَسن المدائني، عمّن حدّثه، عن مَولى لعنبسة بن سعيد بن العاصي، قال: كُنت أدخل مع عنبسة بن سعيد بن العاصِي إذا دَخل على الحَجّاج، فَدخل يوماً فدخلت إليهما وليس عند الحجّاج إلاّ عَنبسة، فأقعدني فجيء الحجّاج بطبق فيه رُطب، فأخذ الخادم منه شيئاً فجاءني بِه، ثُمّ جيء بطبق آخر حتّى كَثرت الأطباق، وجعل لا يَأتون بشيء إلاّ جَاءني منه بِشيء، حتى ظننت أنّ ما بين يديَّ أكثر ممّا عندهما، ثُمّ جاء الحاجب فقال: امرأة بالباب. فقال له الحَجَّاج: أدخلها. فدخلت، فلمّا رآها الحَجَّاج طأطأ رأسه حتى ظننت أَنّ ذقنه قد أصاب الأرض، فجاءت حتى قعدت بين يديه، فنظرت فإذا امرأة قَد أسنَّتْ حسنة الخَلق ومعهما جَاريتانِ لها، وإذا هي ليلى الأَخيلية، فسألها الحَجَّاج عن نسبها فانتسبت له، فقال لها: يا ليلى، ما أتى بِك؟ فقالت: إخلافُ النُّجوم، وقِلَّةُ الغُيوم، وكَلَبُ[1] البرد، وشدّة الجَهد، وكنت لنا بعد الله الرِّفْدُ. فقال لها: صِفِي لنا الفِجَاج، فقالت: الفِجَاجُ

(١) «الكَلَبُ، بِالتَّحريك: الشِّدَّةُ، كَلِبَ الشِّتَاءُ: اشْتَدَّ» [القاموس المحيط: ١٣٢].

مُغْبَرَّة[١]، والأرضُ مُقشعرة، والمَبْرَكُ مُغْتَلٌّ، وذُو العِيال مُختلّ، والهالِك للقُلّ، والنَّاسُ مُسْنِتُون[٢]، رحمةَ الله يَرجون، وأصابتنا سِنُونٌ مُجْحِفَةٌ[٣] مُبْلِطَة، لم تَدع هُبَعاً، ولا رُبَعاً، ولا عافِطةً ولا نافِطَة، أذهبت الأموال، ومزَّقَتِ الرِّجال، وأهلكت العِيال، ثُمّ قالت: إنِّي قُلت في الأميرِ قَولاً:

أَحَجَّاجُ لاَ يُفْلَلْ[٤] سِلاَحُك إنَّها الـ ـمَنَايَا بِكفِّ اللَّهِ حَيْثُ تَرَاهَا
أَحَجَّاجُ لا تُعطي العُصَاةَ مُنَاهُمُ ولا الله يُعْطِي لِلعُصَاةِ مُنَاهَا
إذَا هَبَطَ الحَجَّاجُ أرْضاً مَرِيضَةً تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائها فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ[٥] الذِي بِها غُلام إذَا هَزَّ القَنَاةِ سَقَاهَا
سَقَاهَا فَرَوَّاهَا بِشَرْبِ سِجَالِهِ[٦] دِمَاءَ رِجَالٍ حَيْثُ مَالَ حَشَاهَا
إِذَا سَمِعَ الحَجَّاجُ رِزَّ[٧] كَتِيبَةٍ أعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا[٨]
أَعَدَّ لَهَا مَسْمُومَةً فَارِسِيَّةً بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا[٩]

قال: فَلمّا قالت هذا البيت قال الحَجّاج: قاتَلها الله! والله مَا أصاب صِفتي شاعِر مُذ دخلتُ العِرَاق غيرها، ثُمّ التفت إلى عَنبسة بن سعيد فَقال: والله إنِّي لأعِدُّ للأمْرِ عَسَى ألاَّ يكون أبداً، ثُمّ التفت إليها، فقال: حسبك،

(١) «اغبَرَّ اليومُ اغْبِرَاراً: اشتدّ غُبَارُهُ. وغَبَّرَهُ تَغْبِيراً: لَطَّخَهُ بِهِ. والغُبْرَةُ، بِالضَّمّ: لَوْنُهُ. وقَد غَبَرَ واغْبَرَّ وأَغْبَرَ» [نفسه، ص٤٤٨].

(٢) «السَّنَةُ: الجَدْبُ، والقَحطُ، وأَسْنَتُوا، والأَرضُ المُجْدِبَةُ الجمع: سِنُون» [القاموس المحيط: ١٢٩٧].

(٣) «أَجْحَفَ بِهِ: ذَهَبَ، وبِهِ الفاقَةُ: أفقرتهُ الحَاجة» [نفسه، ص٧٩٥].

(٤) «سَيْفٌ فَلِيلٌ ومَفْلُولٌ وأَفَلُّ ومُنفَلٌّ: مُنْثَلِمٌ. وفُلُولُهُ: ثُلَمُهُ، واحِدُهَا: فَلٌّ» [القاموس المحيط: ١٠٤٤].

(٥) «دَاءٌ عُضَالٌ، كَغُرَابٍ: مُعْيٍ غَالِبٌ» [نفسه، ص١٠٣٣].

(٦) «السَّجْلُ: الدَّلْوُ العَظِيمةُ مملوءَةً، مُذَكَّرٌ. ومِلْءُ الدَّلْوِ، الجمع: سِجَالٌ وسُجُولٌ» [القاموس المحيط: ١٠١٣].

(٧) «الرِّزُّ بالكسر: الصَّوْتُ تَسمعه مِن بَعِيد» [نفسه، ص٥١٢].

(٨) «قَرَى الضَّيْفَ قِرًى، بِالكسرِ والقَصرِ والفَتح والمَدِّ: أضافَهُ» [نفسه، ص١٣٣٤].

(٩) «الصَّرَى: البَقِيَّةُ. ونَاقَةٌ صَرْيَا: مُحْفَلَةٌ» [نفسه، ص١٣٠٢].

قالت: إنّي قد قُلت أكثر مِن هذا، قال: حَسْبُكَ! ويحك حَسْبُكَ! ثُمّ قال: يا غُلام: اذهب إلى فُلان فقل له: اقطع لسانها، فَذهب بِها فقال له: يقول لك الأمير، اقطع لسانها، قال: فأمر بإحضار الحَجَّام، فالتفَتت إليه فقالت: ثَكِلَتْك أُمُّكَ! أما سمعت مَا قال، إنّما أمرك أَنْ تقطع لِساني بِالصِّلة، فَبعث إليه يَسْتَثْبِته، فاسْتَشَاطَ[1] الحَجَّاج غَضباً وهَمَّ بِقطع لسانه، وقال: ارددها، فَلمّا دَخَلَت عَليه قالت: كاد وأمانة الله بِقطع مِقْوَلي[2] ثُمّ أنشأت تقول:

حَجَّاجُ أَنْتَ الذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدُ ... إلاّ الخَلِيفَةُ والمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ
حَجَّاجُ أنت شِهَاب الحربِ إن لَقِحَتْ[3] ... وأنت للنّاسِ نُورٌ في الدُّجَى[4] يقِدُ

ثُمّ أقبل الحَجَّاج على جُلسائه فَقال: أتدرون مَن هٰذه؟ قالوا: لا والله أيّها الأمِير، إلاّ أنّا لم نرَ قَطّ أفصح لِساناً، ولا أحسن مُحاورة، ولا أملح وجهاً، ولا أرصن شِعراً منها! فقال: هٰذه ليلى الأخيلية التي مات تَوبة الخَفَاجيُّ مِنْ حُبِّها! ثُمّ التفت إليها فقال: أنشدينا يا لَيلى بعض ما قال فيك تَوبة، قالت: نَعم أيّها الأمير، هو الذي يَقُول:

وهَلْ تَبْكِيَنْ لَيْلَى إذَا مِتُّ قَبْلَهَا ... وقَامَ على قَبْري النِّسَاءُ النَّوَائِحُ
كَمَا لو أَصَابَ الموتُ لَيْلَى بَكَيْتُهَا ... وجَادَ لَهَا دَمْعٌ مِن العَينِ سَافِحُ[5]
وأُغْبَطُ مِن لَيْلَى بِمَا لاَ أَنَالُهُ ... بَلَى كُلّ مَا قَرَّتْ به العَيْنُ طائِحُ
ولَوْ أَنَّ لَيْلَى الأخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ ... عليَّ ودُوني جَنْدَلٌ[6] وصَفَائِحُ[7]

---

(١) «اسْتَشَاطَ عَلَيهِ: الْتَهَبَ غَضَباً» [القاموس المحيط: ٦٧٥].
(٢) لِساني.
(٣) «لَقِحَتِ النَّاقَةُ، كَسَمِعَ، لَقْحاً ولَقَحاً، مُحرّكة، ولَقَاحاً: قَبِلَت اللّقاح، فهي لاَقِحٌ مِنْ لَوَاقِحَ، ولَقُوحٌ مِنْ لُقَّحٍ» [القاموس المحيط: ٢٣٩].
(٤) «الدُّجْيَةُ: الظُّلْمَةُ الجمعُ: دُجًى» [نفسه، ص١٢٨٢].
(٥) «سَفَحَ الدَّمْعَ: أرسلَهُ سَفْحاً وسُفُوحاً، والدَّمْعُ: سَفْحاً وسُفُوحاً وسَفَحَاناً: انْصَبَّ، وهو سَافِحٌ، الجمع: سَوَافِحُ» [القاموس المحيط: ٢٢٥].
(٦) «الجَنْدَلُ، كجَعْفرٍ: مَا يُقِلُّهُ الرَّجُلُ مِنَ الحِجَارةِ، وتُكْسَرُ الدَّالُ» [القاموس المحيط: ٩٨٠].
(٧) «الصَّفَائِحُ: حِجَارَةٌ عِرَاضٌ رِقَاقٌ، كالصُّفَّاحِ، كَرُمَّان» [نفسه، ص٢٢٩].

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ أَوْ زَقَا[(١)] إليها صَدًى مِنْ جَانب القَبْرِ صَائِحُ

فقال: زيدينا مِن شعره لَيْلَى، قالت: هو الذي يقول:

حَمَامَةَ بَطْنِ الوَادِيَيْنِ تَرَنَّمِي[(٢)] سَقَاكِ مِن الغُرِّ الغَوَادِي[(٣)] مَطِيرُهَا[(٤)]
أَبِينِي لَنَا لاَ زَالَ رِيشُكِ نَاعِماً ولا زلت في خَضْرَاء غَضٍّ[(٥)] نَضِيرُهَا[(٦)]
وكُنت إذا ما زرتُ ليلى تَبَرْقَعَتْ[(٧)] فَقَدْ رابني منها الغَدَاةَ سُفُورُهَا[(٨)]
وقَد رابَنِي[(٩)] مِنْهَا صُدُودٌ رَأَيته وإعراضُها عن حَاجَتِي وبُسُورُهَا[(١٠)]
وأشرف بِالقُورِ[(١١)] اليَفَاع[(١٢)] لَعَلَّنِي أَرى نار لَيْلَى أو يَرَانِي بَصيرها
يقول رِجال لا يَضِيرُكَ[(١٣)] نَأْيُهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ[(١٤)] النُّفُوسَ يَضِيرُهَا
بَلى قَد يَضير العين أَنْ تُكثر البكا ويُمنع منها نَومُها وسُرُورُها
وقد زعمت ليلى بأنِّيَ فَاجِرٌ لنفسي تُقاها أو عليها فُجورُها

(١) «زَقَا الصَّدَى يَزْقُو زَقْواً وزُقَاءً: صَاحَ» [نفسه، ص١٢٩٢].
(٢) «الرَّنَمُ: الصَّوْتُ. والرَّنِيمُ والتَّرْنِيمُ: تَطْرِيبُهُ» [القاموس المحيط: ١١١٥].
(٣) «الغَادِيَةُ: السَّحَابَةُ تَنْشأُ غُدْوَةً، أَوْ مَطْرَةُ الغَدَاةِ» [نفسه، ص١٣١٧].
(٤) ذُو مَطر.
(٥) «الغَضِيضُ: الطَّرِيُّ، كالغَضِّ فِيهما» [نفسه، ص٦٤٩].
(٦) الحَسَنُ.
(٧) لَبست البُرْقُع.
(٨) تَبَرُّجها.
(٩) «الرَّيبُ: الظِّنَّةُ، والتُّهَمَةُ، كالرِّيبَة، بِالكسر. وقد رابني وأَرابَني» [القاموس المحيط: ٩٢].
(١٠) عُبوسُها.
(١١) «القَارَةُ: الأرضُ ذاتُ الحِجَارة السُّودِ، أو الصَّخْرَةُ السَّوْدَاءُ الجمع: قارَاتٌ وقَارٌ وقُورٌ» [نفسه، ص٤٦٧].
(١٢) «اليَفَعُ، مُحرّكة، وكَسَحَاب: التَّلُّ، وتَيَفَّعَ: صَعِدَهُ» [القاموس المحيط: ٧٧٧].
(١٣) لا يضرّك.
(١٤) «شَفَّ جسمُه شُفُوفاً: نَحَلَ» [القاموس المحيط: ٨٢٥].

فَقال الحجّاج: يا ليلى، ما الذي رابَهُ[١] من سُفُورك[٢]؟ فقالت: أيّها الأمير، كان يُلِمُّ[٣] بي كَثيراً، فأرسل إليَّ يَوماً أنّي آتِيك، وفَطِن الحَيُّ فأرصدوا[٤] له، فلمّا أَتانِي سَفَرْتُ عن وَجهي، فعلم أنّ ذٰلك لشَرٌ فَلم يَزد على التَّسليم والرّجوع، فقال: لله دَرُّك! فهل رأيت منه شيئاً تَكرهينه؟ فقالت: لا والله الذي أسأله أن يُصلحك، غير أنّه قال مَرَّة قَولاً ظننت أنّه قد خضع لبعض الأمر، فأنشأت تقول:

وذي حَاجَة قُلنا له لا تَبُحْ بِها — فليس إليها مَا حَيِيت سَبِيلُ
لنا صَاحِبٌ لا ينبغي أَنْ نَخُونَه — وأنت لأخرى صَاحِبٌ وحَلِيلُ[٥]

فَلا والله الذي أسأله أن يصلحك، ما رأيت منه شيئاً حتى فَرَّق الموت بيني وبينه، قال: ثُمّ مَهْ! قالت: ثمّ لم يلبث أن خرج في غزاة له فأوصى ابن عَمٍّ له: إذا أتيت الحَاضِرَ من بني عباد فَنادِ بأعلى صوتك:

عفَا الله عنها هَلْ أبيتَنَّ لَيْلَةً — منَ الدَّهرِ لا يَسْرِي[٦] إليَّ خَيَالُها

وأنا أقول:

وعنه عَفَا رَبِّي وأحسنَ حَالَهُ — فَعَزَّت علينا حاجة لا ينالُها

قال: ثُمّ مه! قالت: ثمّ لم يلبث أن مات فأتانا نَعِيُّه[٧]، فَقال: أنشدينا بعض مَرَاثِيك[٨] فِيه، فأنشدت:

---

(١) رابَهُ: رأى منه ما يَكره.
(٢) تبرّجها.
(٣) «لَمَّ بِه: نَزَلَ، كَلَمَّ والْتَمَّ» [القاموس المحيط: ١١٥٩].
(٤) «رَصَدَهُ رَصْداً ورَصَداً: رَقَبَهُ، كترصَّدَه» [نفسه، ص٢٨٢].
(٥) زَوج.
(٦) «السُّرَى، كالهُدَى: سَيرُ عامَّةِ اللَّيلِ، ويُذكَّر. سَرَى يَسْرِي سُرًى» [القاموس المحيط: ١٢٩٤].
(٧) النَّعِيُّ: النَّاعِي: المُخبر بموت شخص.
(٨) قصائد الرِّثاء.

لِتَبْكِ عليك من خَفَاجة نِسوةٌ بِماء شُؤون العَبْرَةِ[١] المُتَحَدِّرِ

قال لها: فأنشدينا، فأنشدته:

كأنّ فَتى الفِتيان تَوْبَةَ لم يُنِخْ[٢] قلائِص[٣] يَفْحَصْنَ الحصى بِالكَرَاكِرِ[٤]

فَلمّا فرغت من القَصيدة قال مِحصن الفقعسيّ - وكان من جلساء الحجّاج -: من الذي تقول هذا فيه؟ فَوالله إنّي لأظنّها كاذبة، فنظرت إليه ثُمّ قالت: أيّها الأمير، إنّ هذا القائل لو رأى توبة لسرّه ألاّ تكون في داره عذراء إلا هي حامل منه، فقال الحجّاج: هٰذا وأبيك الجواب وقد كنت عنه غَنِيًّا، ثُمّ قال لها: سَلِي يا ليلى تُعْطَيْ، قالت: أعط فمثلك أعطى فأحسن، قال: لك عِشرون، قالت: زِد فمثلك زَاد فأجمل، قال: لكِ أربعون، قالت: زد فمثلك زاد فأكمل، قال: لك ثمانون، قالت: زد فمثلك زَاد فتمَّم، قال: لك مائة، واعلمي أنّها غَنم، قالت: معاذ الله أيّها الأمير! أنت أجود جُوداً، وأَمجد مَجْداً، وأورى زَنْداً، من أن تجعلها غنماً، قال: فما هي ويحك يا ليلى؟ قالت: مائة من الإبل بِرُعاتها، فأمر لها بِها، ثمّ قال: ألك حاجة بَعدها؟ قالت: تدفع إليّ النّابِغة الجَعدي، قال: قد فعلت، وقد كانت تهجوه ويهجوها، فبلغ النّابغة ذٰلك، فخرج هَارِباً عائِذاً بعبدالملك، فاتّبعته إلى الشّام، فهرب إلى قُتيبة بن مُسلم بِخُراسان، فاتبعته على البَريد بكتاب الحجّاج إلى قُتيبة. فماتت بقُومَس ويقال: بِحُلْوان.

قال أبو علي: قولها: إخلافُ النُّجوم، تُريد: أخلفت النُّجوم التي يكون بِها المطر فَلم تأت بِمطر.

---

(١) «العَبْرَةُ، بِالفتح: الدَّمعة قبل أَنْ تَفِيض، أو تَرَدُّد البُكاء في الصَّدر، أو الحُزنُ بِلا بكاء الجمع: عَبَرَاتٌ وعِبَرٌ» [القاموس المحيط: ٤٣٥].

(٢) أَنَاخها: أَبْرَكها.

(٣) «القَلُوصُ منَ الإبلِ: الشابَّة، أو البَاقية على السَّيْرِ» [القاموس المحيط: ٦٢٨].

(٤) «الكِرْكِرَةُ، بِالكَسْرِ: رَحَى زَوْرِ البَعير، أو صَدر كُلِّ ذِي خُفٍّ» [نفسه، ص٤٦٩].

وكَلَبُ البرد: شِدَّته، وهذا مَثَلٌ، لأنّ الكَلَب السُّعَار الذي يصيب الكلاب والذِّئاب.

والرَّفْدُ: المعونةُ، والرِّفدُ: العطيّة، ويقال: رَفَدته مِن الرَّفْدِ وأَرْفَدْتُهُ إذا أعنته على ذٰلك، وقال الأصمعي: الرِّفْدُ بِكسرِ الرَّاء: القَدح. والرَّفْدُ بالفتح: مصدر رَفدته، والرَّفُود مِن الإبل الَّتي تَملأ الرِّفْدَ، وقال أبو عبيدة: الرَّفْدُ بفتح الرَّاء: القَدح، وأنشد قول الأعشى:

رُبَّ رَفْـدٍ هَـرَقْـتُـه ذٰلـك الـيـو م وأسـرى مـنْ مَـعْـشَـرٍ أقـتـالِ

قال: والرِّفد بالكسر: المعونة، وروى الأصمعيّ: رُبَّ رِفْدٍ بكسرِ الرَّاء.

والفِجاج: جمع فَجٍّ، والفَجُّ: كُلُّ سَعَةٍ بين نشَازَينِ، كَذا قال أبو زيد.

وقولها: والمَبْرَكُ مُغْتَلّ، أرادت: الإبل، فأقامت المبرك مكانها، لعلم المخاطب إيجازاً واختصاراً، كما قالوا: نهارُه صائم وليله قائِم.

وقولها: وذو العِيال مُختلّ:

أي: محتاج، والخَلَّةُ: الحَاجَة.

وقولها: والهالك للقُلّ، أي: مِن أجل القِلَّة.

وقولها: مُسْنِتُون، أي: مُقْحِطُون، والسَّنَةُ: القَحْطُ، والسُّنُونَ: القُحُوطُ، ومُجحفة: قَاشِرة.

وقولها: مُبْلِطة، أي: مُلْزِقَةٌ بالبَلاَط، والبَلاَط: الأرض الملساء، وقال الأصمعي: أَبْلَطَ الرَّجُلُ فهو مُبْلِطٌ إذا لَزِق بِالأَرض، وحكى يَعقوب عن غَيره: أُبْلِطَ فَهو مُبْلَطٌ: وهو الهالِك الذي لا يَجدُ شيئاً.

وقولها: لم تَدع لَنَا هُبَعاً ولا رُبَعاً، فالهُبَعُ: ما نُتج في الصَّيف، والرُّبع: ما نُتج في الرَّبِيع.

وقولها: ولا عافِطة ولا نَافطة، أي: لم تدع ضائنة ولا ماعزة، والعافِطة: الضَّائنة، والعَفْطُ: الضَّرط، يقال: عَفَطَت تَعْفِطُ عَفْطاً إذَا ضَرَطت، فهي عَافِطة.

والنَّافطة: الماعزة، والنَّفْطُ: العُطَاس، يُقال: نَفطت تَنفِطُ إذا عَطَست، فهي نافطة.

وممّا يقال في هٰذا المعنى: مَا لَهُ سَبَدٌ ولا لَبَدٌ، أي: مَا لَهُ ذُو سَبَدٍ وهو الشعر، ولا ذو لَبَدٍ وهو الصُّوف، فمعناه: ما له شاة ولا عَنْزٌ.

وما لَهُ سارِحَةٌ ولا بارِحَةٌ، أي: ما لَهُ ماشية تسرح أو تَروح.

وما لَهُ ثاغِية ولا راغية، فالثَّاغِية: الشاة، والرّاغية: النّاقة، لأنّه يُقال لأصوات الشّاءِ: الثُّغاء، وقَد ثَغَت تَثْغُو، ولأصوات الإبل: الرُّغاء، وقد رَغت تَرغو، والعرب تقول: ما أثغاني ولا أرغاني، أي: ما أعطاني ثاغية ولا راغية، وما أَجَلّني ولا أحشاني، أي: ما أعطاني من جِلّة إبله ولا مِن حواشيها، والحواشي: واحدتها حَاشية، وهي صغار الإبل.

وما لَهُ دقيقة ولا جَليلة، والدَّقيقة: الشاة، والجَليلة: النّاقة.

وما لَهُ حَانَّةٌ ولا آنّة، فالحانّة: النّاقة تَحنّ إلى ولدها، والآنَّة: الأمَةُ تَئِنُّ من شِدة التّعب أو من عِلّة.

ومَا لَهُ هَارِبٌ ولا قارِبٌ، فالهَارِب: الصادر عن الماء، والقارِب: الطَّالب للماء.

وما لهُ عَاوٍ ولا نَابِحٌ، أي: ما له غَنَمٌ يَعْوِي بها الذئب أو يَنبح فيها الكلب، فإذا نفى عنه العاوي والنَّابح فقد نفى عنه الغنم...

[«الأمالي» ص٩٣ ـ ٩٧]

❊ ❊ ❊

➢ مَا العِزُّ فِيكم؟

حدَّثنا أبو بكر، قال: حدَّثنا السَّكن بن سعِيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، قال: قيل لِرجُل مِنْ حِمْيَر: ما العِزُّ فيكم؟ قال: حَوْطُ[1] الحَرِيم[2]، وبَذْلُ الجَسِيم[3]، ورِعَايةِ الحَقّ، وقَول الصّدق، وتَرك التَّحلِّي بالباطل، والصَّبرُ على المثَاكل[4]، واجتنابُ الحَسَدِ، وتعجيلُ الصَّفَدِ[5].

[«الأمالي» للقالي ص١٣٢]

❋ ❋ ❋

➢ خبر عوف بن مُحَلِّم مع عبدالله بن طاهر:

حدّثنا عبدالله بن جَعفر بن درستويه النَّحوي، قال: حدّثنا ابن جُوَان صاحب الزِّيادي، قال: قال ابن مُحَلِّم: كُنت آتِي عبدالله بن طاهر في كلِّ سنة وكانت صِلَتي عنده خمسة آلاف درهم، فأتيته آخر ما أتيته فَشكوت إليه ضعفي ثمّ أنشدته:

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُربَةٌ ونُزُوحُ[6] ... أما لِلنَّوَى[7] مِنْ وَنْيَةٍ فَتُرِيحُ

---

(١) «حَاطَهُ حَوْطاً وحِيطةً وحِيَاطَةً: حَفِظَه، وصَانَهُ، وتَعَهَّده» [القاموس المحيط: ٦٦٣].

(٢) «الحَرِيمُ: ما تَحميه وتقاتِل عنه، كَالحَرَم، الجمع: أَحْرَامٌ وحُرُمٌ» [نفسه، ص١٠٩٢].

(٣) العظيم.

(٤) «الثُّكْلُ، بِالضَّمّ: الموت والهلاكُ، وفِقْدَانِ الحَبيب أو الوَلَدِ، ويُحرَّك، وقد ثَكِلَهُ، كفَرِح» [القاموس المحيط: ٩٧٢].

(٥) «الصَّفَدُ، محرّكة: العطاء» [نفسه، ص٢٩٣].

(٦) «نَزَحَ، كمنَعَ وضَرَبَ، نَزْحاً ونُزُوحاً: بَعُدَ» [القاموس المحيط: ٢٤٥].

(٧) الفِراق.

لَقَد طَلَّحَ[١] البَيْنُ المُشِتُّ[٢] رِكَائِبي[٣] ... فَهل أَرَيَنَّ البين وهو طليحُ
وأَرَّقَنِي[٤] بِالرَّيِّ نَوْحُ[٥] حَمَامَةٍ ... فَنُحْتُ وذُو الشَّجْوِ[٦] الحزِينُ يَنُوحُ
على أَنَّها نَاحت ولم تُذْرِ دَمْعَةً ... ونُحْتُ وأسرابُ الدُّموعِ سُفُوح
ونَاحَتْ وفَرْخَاهَا بحيث تَراهما ... ومِنْ دُون أَفْرَاخِي مَهَامِهُ[٧] فِيحُ[٨]
عَسَى جُودُ عبدالله أَنْ يَعْكِس النَّوَى ... فَتُضحِي عَصَا التَّسْيَارِ[٩] وَهي طَرِيحُ[١٠]
فإنَّ الغِنَى مُدْنِي الفتى مِنْ صَدِيقه ... وعُدْمُ[١١] الفَتَى بِالمُقْتِرِينَ[١٢] نَزُوحُ

فَتوجَّع له عبدالله وقال: صِلَتُك عَشرةُ آلاف درهم في كلِّ سنة ولا تَتْعبَنَّ إلينا فإنّها تُوافيك في منزلك إن شاء الله، ففعل.

[نفسه ص١٣٢ ـ ١٣٣]

❋ ❋ ❋

(١) «طَلَحَ البعيرُ، كمنَعَ، طُلحاً وطَلاحة: أعيا، وزَيدٌ بعِيرَه: أتعبه، كأَطْلَحَهُ وطَلَّحَهُ فيهما» [القاموس المحيط: ٢٣٢].
(٢) «شَتَّ يَشِتُّ شَتًّا وشَتَاتا وشِتِيتاً: فَرَّق، وافترق» [نفسه، ص١٥٤].
(٣) «الرِّكابُ، ككتاب: الإبلُ، واحدتها: راحِلَة، الجمع: ككتب ورِكَابَات ورَكائب» [نفسه، ص٩١].
(٤) «الأَرَقُ، محرّكة: السَّهَرُ بِاللَّيل. كالائتِرَاقُ، أَرِقَ، كفَرِحَ، فهو أَرِقٌ وآرِقٌ» [القاموس المحيط: ٨٦٤].
(٥) «نَوْحُ الحَمَامَةِ: سَجْعُها» [نفسه، ص٢٤٦].
(٦) «شَجَاهُ: حَزَنَهُ، وطرَّبَهُ، كأَشْجَاه فيهما» [نفسه، ص١٢٩٨].
(٧) «المَهْمَهُ والمَهْمَهَةُ: المفازَةُ البَعِيدة، والبلدُ المُقْفِرُ الجمع: مَهَامِهُ» [القاموس المحيط: ١٢٥٣].
(٨) الواسعة.
(٩) الذَّهاب.
(١٠) مَطروحة.
(١١) فَقرُ.
(١٢) الفُقراء.

➤ الدَّاءُ العُضَالُ:

حدَّثنا أبو بكر، قال: حدَّثنا السَّكَنُ بن سعيد، قال: قِيل لرجل مِن حِميرَ: ما الدَّاءُ العُضَالُ؟ قال: هَوًى مُخرِضٌ، وحَسَدٌ مُمْرِضٌ، وقلبٌ طَرُوبٌ، ولِسَانٌ كَذُوبٌ، وسُؤَالٌ كَدِيدٌ، ومَنْعٌ جَحِيدٌ، ورُشْدٌ مُطَّرَحٌ، وغِنًى مُمْتَنَح.

قال أَبُو علي: الحَرْضُ: السَّاقِطُ الذي لا يقدر على النُّهوض، يُقال: أَحْرَضَهُ الله إِحْرَاضاً.

والكَدِيدُ: الذي يَكُدُّ المسؤول. وجَحِيدٌ: يابِس لا بَلَلٌ فِيه، قال أبو زيد: يُقال: رَجُل جَحِدٌ وقَد جَحِدَ إذا كانَ قَليلَ الخَير.

وأَرض جَحِدَةٌ: يابِسَةٌ قَليلة الخَير. والمُمْتَنَح: المُسْتَعار وأصله مِن المِنْحَة والمَنِيحة، وهو أن يُعْطِي الرَّجُلُ الرجلَ الشَّاة أو النَّاقة يحتلبها وينتفع بِصُوفها إلى مُدّة ثمّ يَردّها إلى صاحبها.

[نفسه ص١٤١]

❋ ❋ ❋

➤ حَاشَا لَك البُخْل:

أنشدني جَحظة بعض هٰذه الأبيات وأنشدَناها بتمامها الأخفش علي بن سليمان لمسلم بن الوَليد:

وإنِّــي وإسـمـاعـيـلَ يَـوْمَ وَدَاعِـهِ ... لكالغِمْدِ يَوم الرَّوْعِ[1] فَارَقَهُ النَّصْلُ[2]

---

(١) الفَزع.

(٢) «النَّصْلُ والنَّصْلاَنُ: حديدة السَّهم والرُّمح والسيف ما لم يكن له مَقبض، الجمع: أَنْصُلٌ ونِصَالٌ ونُصُولٌ» [القاموس المحيط: ١٠٦٢].

أَما والحبَالات المُمَرَّاتِ بَيْنَنا ... وسائِل أَدَّتها المودَّةُ والوَصْلُ
لَمَا خُنْتُ عَهْداً مِنْ إخاءٍ ولا نَأَى ... بِذكرِكَ نَأْيٌ عن ضَميري وَلا شُغْلُ
وَإِنِّيَ في مَالِي وأَهلي كأنني ... لِنَأْيِكَ لا مَالٌ لَدَيَّ ولا أَهْلُ
يُذَكِّرُنيك الدِّينُ والفَضلُ والحِجَا(١) ... وقِيلُ الخَنا(٢) والحِلْمُ والعِلمُ والجَهْلُ
فألقاكَ عَنْ مَذمُومها مُتَنَزِّهاً ... وألقاكَ في محمودها ولك الفَضلُ
وأحمدُ مِن أخلاقك البُخلَ إنَّهُ ... بِعِرْضِكَ لا بِالمالِ حاشا لَكَ البُخْلُ
أَمُنْتَجِعاً(٣) مَرْواً بِأَثْقَالِ هِمَّةٍ ... دَعِ الثِّقْلَ واحْمِلْ حاجَةً مَا لَها ثِقْلُ
ثَنَاءً كعَرْفِ(٤) الطِّيبِ يُهدَى لأهلِهِ ... ولَيس لَهُ إلاَّ بَنِي خالِدٍ أَهْلُ
فإنْ أَغْشَ قوماً بَعدهم أَو أَزُورهُم ... فَكالوَحْشِ يَسْتَدْنِيهِ للقَنَصِ(٥) المَحْلُ(٦)

[نفسه ص١٦٥]



◄ لَقد طالَ يا سَوْدَاءُ مِنكِ المَوَاعِدُ:

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر، قال: أخبرنا عبدالرّحمٰن، قال: سمعت عَمّي يحدث سُرَّان أبا العَبّاس ابن عَمّه ـ وكان مِن أهل العلم ـ قال: سَهِرت لَيلة مِن لَيالِيَّ بالبادية، وكُنت نازِلاً عند رجل من بني الصَّيداء من أهل القَصِيم، وكان واسِع الرَّحْلِ، كريم المَحَلِّ، فأصبحت وقد عزمت على الرّجوعَ إلى العراق، فأتيت أَبا مَثْوَايَ فقلت: إنّي قَد هَلِعْتُ(٧) من الغُرْبَة

(١) العقل.
(٢) الفُحش.
(٣) «انْتَجَعَ: طلبَ الكَلأ في موضعه» [القاموس المحيط: ٧٦٥].
(٤) الرِّيح الطَّيِّبَة.
(٥) «قَنَصَهُ يَقْنِصُهُ: صَادَهُ، فَهو قانِصٌ وقَنِيصٌ وقَنّاصٌ» [القاموس المحيط: ٦٢٩].
(٦) الجَدْبُ.
(٧) الهَلَعُ، محرّكة: أفحشُ الجَزع.

وَاشتقت أَهلي، ولم أَفِد في قَدْمَتِي هٰذه إليكم كَبير علم، وإنّما كنت أغتفر وحشة الغُربة وجفاء[١] البَادية للفائدة، فأظهر تَوجُعاً، ثمّ أبرز غَذَاء له فتغدّيت معه، وأمر له بِناقة مَهريّة[٢] كأنّها سَبِيكة[٣] لُجَين[٤] فارتحلها واكتفلها، ثمّ ركب وأَردفني[٥] وأقبلها مَطلع الشّمس، فَما سِرْنَا كَبير مَسِير حتى لَقِيَنا شَيخ على حِمار له جُمَّةٌ[٦] قد ثَمغَهَا[٧] كالوَرْسِ[٨] فَكأنّها قُنَّبِيطَة[٩]، وهُو يَتَرَنَّمُ[١٠]، فَسلّم عليه صَاحِبي وسأله عن نَسَبه، فاعْتَزَى[١١] أَسَدِيًّا من بني ثعلبة، فَقال: أتنشد أم تقول؟ فقال: كُلاًّ، فَقال: أينَ تَؤُمُّ[١٢]؟ فأشار إلى ماء قَريب من الموضع الذي نحن فِيه، فأَنَاخَ الشَّيخُ وقال لي: خُذْ بِيدِ عَمِّك فأنزله عن حماره، فَفعلت، فألقى له كِيساً قد كان اكتفل بِه، ثمّ قال: أنشدنا ـ رحمك الله ـ وتَصَدَّق على هٰذا الغريب بأبيات يَعيهنَّ عَنك ويذكرك بِهنّ، فَقال: إي ها الله إذاً! ثمّ أنشدني:

لَقَدْ طَالَ يا سَوْدَاءُ مِنكِ المواعِدُ ... ودُونَ الجَدَا[١٣] المأمول منك الفَرَاقِدُ[١٤]

---

(١) غِلظة.

(٢) «مَهرَةُ بن حَيْدَان، بالفتح: حَيٌّ. والإبلُ المَهْرِيّة منه. الجمع: مَهَارَى ومَهَارٍ ومَهَارِيُّ» [القاموس المحيط: ٤٧٨].

(٣) «السَّبِيكَةُ: القِطعةُ المُذَوَّبَة» [القاموس المحيط: ٩٤٢].

(٤) فضّة.

(٥) «الرِّدْفُ، بالكسر: الرَّاكِب خَلْفَ الرَّاكِبِ، كالمُرْتَدِفِ والرَّدِيفِ والرُّدَافَى، كحُبَارَى» [نفسه، ص٨١٢].

(٦) «الجُمَّةُ، بِالضَّمّ: مجتمع شَعَرِ الرَّأسِ» [القاموس المحيط: ١٠٨٩].

(٧) «ثَمَغَ: خَلَطَ البياضَ بِالسَّوادِ، ورأسَهُ بالحِنَّاءِ: غَمَسَهُ وأكثر» [نفسه، ص٧٨٠].

(٨) «الوَرْسُ: نَبَاتٌ كالسِّمْسِمِ... وورَسَهُ: تَوْرِيساً: صَبَغَهُ بِه» [نفسه، ص٥٧٩].

(٩) «القُنَّبِيط، بِالضَّمّ وفتح النّون المشدّدة: أغلظ أنواع الكُرُنْب» نفسه، ص٦٨٤].

(١٠) «الرَّنَمُ، محرّكة: الصَّوتُ. والرَّنيم والتَّرنِيمُ: تَطريبه» [القاموس المحيط: ١١١٥].

(١١) انْتَسب.

(١٢) تَقصد.

(١٣) العَطيّة.

(١٤) «الفَرْقَدُ: النَّجمُ الذي يُهتدى بِه، كالفُرْقُود، فِيهما، وهُما فَرْقَدَان» [القاموس المحيط: ٣٠٦].

إذا أَنتَ أَعطيتَ الغنى ثُمّ لم تَجُدْ ... بِفَضْلِ الغِنى ألفيت مالك حَامِدُ
تُمَنِّينَنَا غداً وغَيمُكُم غداً ... ضَبَابٌ فَلا صَحْوٌ ولا الغَيْمُ جَائِدُ
وقَلَّ غَناءً عنكَ مَالٌ جَمَعْتَهُ ... إذا صَارَ مِيرَاثاً وواراك[١] لاحِدُ[٢]
إذا أَنت لم تَعْرُكْ بِجَنْبِك بَعضَ مَا ... يَرِيبُ مِنَ الأدنى رَمَاكَ الأَبَاعِدُ
إِذا الحِلمُ لم يَغْلِب لك الجَهْلَ لم تَزَلْ ... عَلَيك بُرُوقٌ جَمَّةٌ ورواعِدُ
إِذَا العَزمُ لم يَفْرُجْ لك الشَّكَّ لم تَزَلْ ... جَنِيباً كما اسْتَتْلَى[٣] الجَنِيبَة قائِد
إذا أنتَ لم تَترك طَعاماً تُحِبُّهُ ... ولا مَقْعَداً تُدعى إِليه الوَلائِدُ
تَجلَّلْتَ[٤] عَاراً لا يَزال يَشُبُّهُ[٥] ... سِبَابُ الرِّجَال نُقْرُهُم والقَصَائِد

وأنشدني أيضاً:

تَعَزَّ فإنَّ الصَّبْرَ بِالحُرِّ أجملُ ... وليسَ على رَيْبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ
فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَنْ يُرَى المرءُ جَازِعاً ... لنازلة أو كَان يُغني التَّذَلُّلُ
لكان التَّعَزِّي عندَ كُلِّ مُصيبَة ... ونازلة بِالحرِّ وأولى وأَجملُ
فَكيف وكُلٌّ ليس يَغْدُو حِمَامَهُ[٦] ... وما لامرئ عمَّا قَضَى الله مَزْمَلُ
فإنْ تَكُن الأيَّام فِينا تَبدَّلَتْ ... بِبُؤسٍ ونُعْمَى والحوادث تَفعلُ
فَما لَيَّنَتْ مِنَّا قَنَاةً[٧] صَلِيبَةً[٨] ... ولا ذَلَّلَتنا للذي ليس يَجمُل
ولٰكن رحلناها نُفوساً كَرِيمَة ... تُحَمَّلُ ما لا يُستطاع فَتحملُ

---

(١) سترك.
(٢) «اللَّحْدُ، ويُضمّ: الشَّقُّ يكون في عُرض القَبرِ، كالمَلْحُودِ، الجمع: أَلْحَادٌ ولُحُودٌ. ولَحَدَ القَبرَ، كمنَعَ، وأَلحدَهُ: عَمِلَ له لَحْداً» [القاموس المحيط: ٣١٧].
(٣) استَتْلى الشَّيءَ: دَعَاهُ إِلى تُلُوِّهِ.
(٤) «تَجَلَّلَهُ: عَلاه» [القاموس المحيط: ٩٧٨].
(٥) يشعله.
(٦) قَدَرُهُ.
(٧) «القَنَاةُ: الرُّمْحُ. الجمع: قَنَوَاتٌ وقَناً» [القاموس المحيط: ١٣٢٦].
(٨) شَدِيدة.

وَقَيْنَا بِعزمِ الصَّبرِ مِنَّا نُفوسَنَا فَصَحَّتْ لنا الأعراضُ والنَّاسُ هُزَّلُ

قال أبو بكر، قال عبدالرَّحمٰن: قال عَمِّي: فَقمت والله وقد أُنسيتُ أهلي، وهانَ عليَّ طُول الغُربة وشَظَفُ[1] العيش سروراً بِما سمعتُ، ثمّ قال لي: يا بُنيّ، من لم تكن استفادة الأدب أحبَّ إِليه من الأهل والمال لم يَنجُبْ.

[نفسه ص١٦٧ ـ ١٦٨]

❊ ❊ ❊

➢ البُخلُ أذمُّ الأَخْلاَق:

حدَّثنا أبو بكر بن دُريد رحمه الله قال: أخبرنا عبدالرَّحمٰن، عن عَمِّه، قال: سمعت رَجلاً يقول: الحَسَدُ مَاحِقُ[2] الحسنات، والزَّهْوُ جَالِبٌ لمقت الله ومَقتِ الصَّالحين، والعُجبُ صارف عن الازدياد مِن العلم داع إلى التَّخَمُّطِ[3]. والجَهل والبُخلُ أَذَمُّ الأخلاق وأجلبُها لِسُوءِ الأُحْدُوثَة.

قال: وأخبرنا عبدالرّحمٰن، عَن عمِّه، قال: سمعتُ رجلاً يُوصي آخَر وأَراد سَفَراً فَقال: آثِرْ بِعَملك معادك، ولا تَدع لِشهوتك رَشادَك، وليكن عَقلك وَزيرَك الذِي يَدعوك إلى الهُدَى، ويَعْصِمُك منَ الرَّدَى، أَلْجِمْ هواكَ عن الفَوَاحش، وأَطْلِقه في المكارِم، فإنَّك تَبرُّ بذَلك سَلفَك، وتَشِيد شَرَفَك.

[نفسه ص١٩١]

❊ ❊ ❊

(١) «الشَّظَفُ، محرّكة، وكَسحاب: الضِّيق، والشِّدَّةُ» [القاموس المحيط: ٨٢٤].

(٢) «مَحَقَهُ، كمنعه: أبطلَهُ ومحاه» [القاموس المحيط: ٩٢٢].

(٣) «تَخَمَّط: تَكَبَّر» [نفسه، ص٦٦٦].

➢ ذكر صِفة الكريم واللَّئيم:

. . . قال أبو حاتم: أنشدني ابن زنجي البغدادي:

رأيت الحقَّ يَعرفه الكريمُ ... لصاحبه وينكره اللَّئيمُ
إذا كَان الفتى حسناً كَريماً ... فكلّ فعاله حسن كَرِيم
إذا ألفيته سَمِجاً[١] لَئِيماً ... فَكلّ فِعاله سمج لَئِيم

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الكريم لا يكون حَقُوداً ولا حسوداً، ولا شامِتاً، ولا بَاغِياً، ولا سَاهِياً، ولا لاهِياً، ولا فَاجِراً، ولا فَخُوراً، ولا كاذباً، ولا مَلُولاً، ولا يقطع إِلْفَهُ، ولا يُؤذي إخوانه، ولا يُضيِّع الحِفَاظ[٢]، ولا يجفو في الوداد[٣]، يعطي من لا يَرجو، ويؤمن من لا يَخاف، ويعفو عن قدرة، ويَصل عن قَطيعة.

أخبرني محمد بن أبي علي الخلادي، حدّثنا محمد بن الحسن الذهلي عن علي بن محمد المرحبي عن محمد بن إبراهيم العبّاسي عن عبدالله بن الحجَّاج ـ مولى المهدي ـ عن إبراهيم بن شَكلة، قال: إنّ لكلّ شيء حياة ومَوْتاً، وإنَّ ممّا يُحيي الكرم مواصلة الكرماء، وإنَّ ممَّا يُحيي اللُّؤم معاشرة اللِّئَام.

وأنشدني الكريزي:

وما بَالُ قَوم لِئَام ليس عندهم ... عهد، وليس لهم دين إذا ائتَمَنُوا
إن يَسْمَعُوا رِيبَةً طاروا بها فَرحاً ... مِنَّا ومَا سَمِعُوا مِن صالح دَفنوا

---

(١) «سَمُجَ، ككَرُمَ، سَمَاجَةً: قَبُحَ، فهو سَمْجٌ وسَمِجٌ وسَمِيجٌ» [القاموس المحيط: ١٩٤].
(٢) «المُحَافَظَةُ: الذَّبُّ عن المحَارِم، كالحِفَاظِ، والاسمُ: الحفِيظة» [القاموس المحيط: ٦٩٥].
(٣) الحُبّ.

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خَيراً ذُكرتُ بِهِ وإنْ ذُكِرتُ بسوءٍ عندهم أَذِنُوا[1]

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الكريم يلين إذا استُعطف، واللَّئيم يقسو إذا ألطف، والكريم يُجلّ الكِرام، ولا يُهين اللِّئام، ولا يُؤذي العاقِل، ولا يُمازح الأحمق، ولا يُعاشر الفاجِر، مؤثراً إخوانه على نفسه بَاذِلاً لهم مَا مَلَكَ، إذا اطَّلع على رغبة من أخٍ لم يدع مكافأتها، وإذا عرف منه مودَّة لم ينظر في قَلق العداوة، وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطعه بِشيء من الأشياء.

كما أنشدني الخلادي، أنشدنا أحمد بن أبي علي القاضِي، قال: أنشدنا محمد بن مقيس الأزدي:

فإنّ الذي بيني وبينَ عَشِيرَتي وبين بني عَمّي لمختلف جِدّا
إذا قدحوا لي نَارَ حَرْبٍ بِزَنْدِهم[2] قَدَحْتُ لهم في كُلِّ مكرُمَةٍ[3] زَنْدَا
وإن أكَلوا لَحْمِي وَفَرْتُ[4] لُحُومهم وإنْ هدَمُوا مجدي بَنَيْتُ لهم مَجْدَا
ولا أحمل الحقد القديم عَليهم وليس رَئيسُ القَوم من يَحمل الحِقْدَا
وأعطيتهم مالي إذا كُنت واجِداً وإنْ قَلَّ مَالِي لم أكلفهُمُ رفدا[5]

. . . أنبأنا محمد بن المهاجر، حدّثنا أحمد بن أبي بكر بن خالد اليزيدي عن قطبة بن العلاء بن المنهال، قال: سمعت المبارك بن سَعيد يقول: سمعت الأعمش يقول: قال الشَّعبي: إنَّ كرام النّاس أسرعهم مودّة، وأبطؤهم عداوة، مثل الكُوب من الفِضّة يبطئ الانكسار، ويسرع الانجبار،

---

(١) استَمَعُوا.
(٢) «الزَّنْدُ: العُودُ الذِي يُقدح بِه النّار، والسُّفْلَى: زَنْدَة، ولا يُقال: زَنْدَتانِ» [القاموس المحيط: ٢٨٥].
(٣) «المَكْرُمُ والمَكْرُمة، بِضمّ رائهما، والأُكْرُومَةُ، بِالضَّمّ: فِعْلُ الكَرَم» [نفسه، ص١١٥٣].
(٤) جَعَلْتُهُ وافِراً كَثِيراً.
(٥) معونة وعَطاء.

وإنّ لئام النّاسِ أَبطؤهم مودّة، وأسرعهم عداوة، مثل الكوب من الفخار يسرع الانكسار، ويبطئ الانجبار.

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الكريم مَن أعطاه شكره، ومَن منعه عُذره، ومَن قطعه وصله، ومن وصله فضله، ومن سأله أعطاه، ومَن لم يَسأله ابتدأه، وإذا استضعف أحداً رحمه، وإذا استضعفه أحد رأى الموت أكرم له منه، واللَّئيم بِضدِّ مَا وصفنا مِن الخصال كلّها.

ولقد أنبأنا أحمد بن قريش بن عبدالعَزيز، حدّثنا إبراهيم بن محمد الذّهلي، حَدّثنا أحمد بن خَليل، حدّثنا يحيى بن أيُّوب عن أبي عِيسى قال: كان إبراهيم بن أدهم كريم النَّفس، يُخالط النّاسَ بِأخلاقهم ويأكل معهم، قال: فَربّما اتَّخذَ لهم الشِّواء والجواذبات والخَبيص، وربّما خَلا وأصحابه الذين يأنس بِهم فيتصارَعون، قال: وكَان يَعمل عمل رَجلين، وكان إذا صار إلى نفسه أكل عَجِيناً.

قال أبو حاتم رضي الله عنه: أجمع أهل التجارب للدَّهر، وأهل الفضل في الدِّين، والرَّاغبون في الجميل: على أنَّ أفضل ما اقتنى الرّجل لنفسه في الدُّنيا، وأَجَلُّ ما يدَّخِرُ لها في العُقبى هو لزوم الكَرمِ، ومُعاشرة الكرام، لأنّ الكرم يحسن الذكر، ويشرف القدر، وهو طباع ركَّبَها الله في بني آدم، فمن النّاس من يكون أكرم من أَبيه، وربّما كان الأب أكرم من ابنه، وربّما كان المملوك أكرم من مولاه، ورُبَّ مولًى أكرم من مملوكه.

ولقد أحسن الذي يقول:

رُبَّ مـمـلـوك إذا كَـشـفـتـه ... كـانَ مِـنْ مـولاه أَولـى بِـالـكَـرَمْ
فَـهـو مـمـدوحٌ عـلـى أحـوالـه ... وتـرى مـولاه يُـهـجـى ويُـذَمْ
وتَـراه كَـيـف يَـعْـلُـو دائِـمـاً ... وتَرَى مـولاه مـن تـحـت الـقَـدَم
وفـتـى تَـلـقـى أبـاهُ دُونَـهُ ... وأَبـاً تَـلـقـاه أَعْـلَـى وأَتَـمْ
مـن بـنـيـه ثُـمّ لا يَـعْـتَـلُّ إنْ ... طُلِبَ الـمـعـروفُ مـنه بِـالـصَّـمـم
وكـذاك الـنَّـاس ـ فـاعـلـم ـ رَبُّـنـا ... قَـدر الأخـلاق فـيـهـم وقَـسَـمْ

وأنشدني الأبرش:

رأيت اللّينَ لا يَرْضَى بِضَيْمٍ[١] لأنَّ الضَّيْمَ يسخطه الكرِيمُ
وإنّ اللّين أكرم كلّ شَيءٍ فليس يُحبّه خلق لئيم
فإنْ نَزل الأذى واللّين قلباً فإنّ اللّينَ يَرحلُ لا يُقيمُ
ويَبقى للأذى في القَلب صَحب من البغضاءِ يَلبث لا يَرِيمُ[٢]

...قال أبو حاتم رضي الله عنه: الكريم محمود الأثر في الدُّنيا، مرضي العمل في العقبى، يُحبّه القريب والقاصِي، ويألفه المُتسخِّط والراضي، يُفارقه الأعداء واللِّئَامُ، ويصحبه العقلاء والكرام.

وما رأيت شيئاً أكثر عملاً في نقص كرم الكريم من الفقر، سواء كان ذلك بالقلب أو بالموجُود.

ولقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري:

لعمرُك إنّ المالَ قد يَجعلُ الفتى نَسِيباً[٣] وإنّ الفَقرَ بالمرءِ قَدْ يُزْرِي[٤]
ولا رفَعَ النَّفسَ الدَّنيَّة كالغِنَى ولا وضَعَ النَّفْسَ الكرِيمة كالفَقْرِ

حَدَّثنا الحسن بن سفيان، حَدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا حميد بن عبدالرّحمٰن عن زكريّا بن أبي زائدة عن علي بن الأقمر عن أبي جحيفة قال: «جَالسوا الكُبراء، وخالطوا الحكماء، وسائِلوا العلماء».

[«روضة العقلاء» ص١٧٢ ـ ١٧٦]

❋ ❋ ❋

---

(١) الظُّلم.
(٢) لا يُفارق.
(٣) ذُو نَسَبٍ.
(٤) يعيب.



➢ اصطناع المعروف:

قال أبو حاتم: أنشدني منصور بن محمد الكريزي:

إذا كَان مَا جَمَّعت ليس بِنَافع فأنت وأقصى النّاسِ فيه سَواء
علـى أنّ هٰـذا خـارج مـن آثـامِـهِ وأنـت الـذي تُـجْـزَى بـهِ وَتُـسَـاءُ

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس حدّثنا الحسن بن محمد الصباح حدّثنا أبو عياد حدّثنا شعبة عن قتادة قال: سمعت مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير يُحَدِّث عن حكيم بن قَيس بن عاصم عَن أبِيه أنّه أوصى بنيه عند موته، فقال: عليكم بالمال واصطناعه فإنَّه مَنْبَهة للكريم، ويستغنى به عن اللَّئيم، وإيّاكم ومَسألة النّاس، فإنّها آخر كسب الرَّجل.

قال أبو حاتم رضي الله عنه: إنّ مِن أحسن مَا ينتفع المرء به في عُمره وبعد الممات تقوى الله والعمل الصّالِح.

فالواجب على العَاقل أَن يعمل في شبابه فيما يُقيم بِه أَوَدَهُ، كالشَّيء الذي لا يفارِقُه أبداً، وفيما يصلح به دينه كالشَّيء الذي لا يَجده غَداً، وليكن تعاهده لماله ما يصلح به معاشه، ويصون به نفسه، وفي دينه ما يقدم به لآخرته، ويرضى به خالقه، والفاقة خير من الغنى بِالحرام، والغِنى الذي لا مروءة لَه أَهون من الكلب، وإنْ هُو طُوِّق وخُلْخِلَ.

حدّثنا محمد بن عثمان العقبى حدّثنا عمران بن مُوسى بن أَيُّوب حدّثني أبي حدّثني عيسى بن يونس عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال: نِعم العون على تقوى الله الغِنى.

وأنشدني علي بن محمد البسامي:

أرى كُـلَّ ذِي مَـالٍ يَـسُـود بِـمَـالـه وإنْ كَان لا أَصْلٌ هُنَاكَ ولا فَـضْـلُ

وآخـرَ مَـنْـسُـوبـاً إلـى الـرَّأيِ خَـامِـلاً ... وأَنْوَكَ[١] مَجْهُولاً له الجاهُ والنُّبل
فَـلاَ ذا بـفـضـلِ الـرَّأيِ أدرَك بُـلْـغَـةً ... ولـم أر هٰـذا ضَـرَّه الـنَّـوْكُ والـجَـهْـلُ

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي ليحيى بن أكثم:

إذا قَـلَّ مـالُ الـمـرءِ قَـلَّ بَـهَـاؤُهُ ... وضـاقـت عـلـيـه أرْضُـهُ وسَـمَـاؤُهُ
وأصـبـح لا يـدري وإنْ كـانَ حَـازِمـاً ... أقـدّامُـه خَـيْـرٌ لَـهُ أَمْ وراؤُه
ولـم يَمْضِ في وجه منَ الأرض وَاسِعٍ ... منَ النّاسِ إلا ضاق عنه فضاؤُهُ
وأصـبـحَ مـردوداً عـلـيـه مـقـالُـه ... وكـان بِـه قـد يـقـتـضـي خُـطـبـاؤه
وإنْ لـم يَـبْـقَ لـم يَـضْـرُرْ عَـدُوًّا بَـقَـاؤه ... وإنْ يَـفْـنَ لـم يـفـقـد لـخـيـر فـنـاؤه

[نفسه ص٢٢٣ ـ ٢٢٥]

* * *

➤ أبخل من مادر:

هو رَجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة وبلغ من بُخله أنّه سقى إبله فبقي في أسفل الحوض ماء قَليل فَسَلَحَ[٢] فِيه، ومَدَرَ[٣] الحَوْضَ به فسمِّي مادر لذلك. واسمه مخارق. قال أبو النَّدى.

وذكروا أنَّ بني فزارة وبني هلال بن عامر تنافَرُوا[٤] إلى أنس بن مدرك الخثعمي وتراضوا به، فقالت بنو عامر: يا بني فزارة أكلتم أيْرَ حِمَارٍ فقالت بنو فَزارة: قد أكلنا ولم نعرفه وحديث ذٰلك أنّ ثلاثة نَفر اصطحبوا فزاريّ وثعلبيّ وكلابيّ فصادوا حماراً، ومضى الفزاري في بعض حاجته فطبخا

(١) أحمق.
(٢) «السُّلاَحُ، كغُرَابِ: النَّجْوُ. وقَد سَلَحَ، كمَنَعَ، وأسلحه» [القاموس المحيط: ٢٢٤].
(٣) «مَدَرَ المكانَ: طَانَهُ، كمَدَّرَهُ» [نفسه، ص٤٧٣].
(٤) «تَنَافَرَا: تَحاكمَا. ونَافَرَا: حَاكما في الحسَب أو المفاخرة» [القاموس المحيط: ٤٨٦].

وأكلا وخبّآ للفزاري جردان الحمار فلمّا رجع الفزاري قالا: قد خبّأنا لك فَكُلْ. فأقبل يأكله ولا يكاد يسيغه فقال: أكل شواء العَير جوفان يعني به الذَّكر وجعلا يضحكان، ففطن وأخذ السَّيف وقال: لتأكلانه أو لأقتلنَّكما، ثُمّ قال لأحدهما ـ وكان اسمه مرقمة ـ: كل منه فأبى، فضربه فأبَان رأسه. فقال الآخر: طاح مرقمة. فقال الفزاري: وأنت إنْ لم تلقمه. قال محمد بن حبيب: أراد إن لم تلقمها فلمّا ترك الألف ألقى الفتحة على الميم قبل الهاء كما قالوا: ويلم الحيرة وأيّ رِجال به أي بِها. قلت: إنّما قَدّر الهَاء في تلقمها إرادة المضغة أو البضعة وإلا فليس في الكلام الذي مضى تأنيث ترجع الهاء إليه. فقالت بنو فزارة: ولكن منكم يا بني هلال من قرى في حوضه فسقى إبله فلمّا رويت سَلحَ فِيه ومدره بُخلاً به أن يشرب فضله فقضى أنس بن مدرك على الهلاليين فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها.

وفي بني فزارة يقول الكميت بن ثعلبة. والكميت من الشعراء ثلاثة أقدمهم هذا ثمّ كميت بن معروف ثمّ كميت بن زيد وكلهم من بني أسد:

نشدتك يا فزار وأنت شيخ ... إذا خُيِّرت تُخطئ في الخيار
أصيحانِيَّةٌ أدمت بِسَمْنٍ ... أحبّ إليك أمْ أيْرُ الحِمارِ
بلى أيرُ الحمار وخصيتاه ... أحبّ إلى فزارة من فَزار

فحذف الهاء من فزارة كما تحذف في الرخيم وإن كان هٰذا في غير النّداء. ويجوز أن يكون أراد مِن فزاريّ فخفف ياء النِّسبة. وفي بني هلال يقول الشاعر:

لقد جلّلت خزياً هلال بن عامر ... بني عامر طرًّا بِسلحة مادر
فَأُفّ لكم لا تذكروا الفخر بَعدها ... بني عامر أنتم شرار المَعَاشِرِ

وفي بني فزارة يقول ابن دارة:

لا تـأمـنـنَّ فـزاريـا خَـلـوت بِـه   عـلـى قـلـوصـك واكـتـبـهـا بـأسـيـار
لا تـأمـنـنـه ولا تـأمَـنْ بَـوَائِـقَـهُ[1]   بعدَ الذي امتَلَّ أيرَ العيرِ في النَّارِ
أطعمتُمُ الضَّيفَ جَوْفَاناً مخاتلة[2]   فلا سقاكم إلٰهي الخالق الباري

- أبخلُ مِنْ كَلْبٍ.
- أَبْخَلُ مِن ذي مَعْذِرَة.

هذا مأخوذ من قولهم في مَثَلٍ آخر: المعذرة طرف من البخل.

- أبخل من الضَّنِينِ بِنَائِلِ غيره.

هذا مأخوذ من قول الشاعر:

وإن امرءا أَضْنَتْ[3] يداه على امرئ   بـنـيـل يَـد مـن غَـيـره لَـبَـخِـيـلُ

[«مجمع الأمثال» للميداني ج١/١١٨ ـ ١٢٠]

❋ ❋ ❋

◄ أبخلُ من صبيٍّ ومن كُسَعَ:

قالوا: هو رجل بلغ من بُخله أنه كوى استَ كلبهِ حتى لا ينبح فيدل عليه الضيف.

[نفسه ص١٢٦]

❋ ❋ ❋

(١) «البَائِقَةُ: الدَّاهية. الجمع: بَوَائِق» [القاموس المحيط: ٨٦٩].
(٢) «خَتَلَهُ يَخْتِلُهُ ويَخْتُلُه خَتْلاً وخَتَلاناً: خدعه» [نفسه، ص٩٩١].
(٣) بخلت.

➢ أَجْوَدُ من كَعبِ بن مامة:

هو إيادي. ومن حديثه أنّه خرج في ركب فيهم رجل من النّمر بن قاسط في شهر نَاجر[١] فتصافنوا[٢] ماءهم وهو أن يطرح في القَعب[٣] حصاةٌ ثمّ يصب فيه من الماءِ بقدر ما يغمر الحصاة وتلك الحصاة هي المقلة، فيشرب كلّ إنسان بقدر واحد فقعدوا للشُّرب فلمّا دار القَعب فانتهى إلى كَعب أبصر النَّمريّ يُحدِّد النَّظر إليه فآثره بِمائه وقال للسَّاقِي: اسق أخاكَ النّمريّ فشرب النَّمريّ نصيب كعب ذٰلك اليوم من الماء ثمّ نزلوا من غدهم المنزل الآخر فتصافنوا بقيّة مائهم فنظر إليه النّمريّ كنظره أمسه فقال كعب كقولة أمس. وارتحل القَوم وقالوا: يا كعب ارتحل فلم يكن به قوّة للنُّهوض، وكانوا قد قربوا من الماء فقال له: رِدْ كعب إنَّك وارد، فعجز عن الجواب، فلمّا يئسوا منه خيّلوا عليه بثوب يمنعه من السَّبع أن يأكله وتركوه مكانه ففاظ[٤].

[نفسه ص١٩١ ـ ١٩٢]



➢ أجود من هَرِمٍ:

هو هَرِم بن سنان بن أبي حَارثة المُرّي وقد سار بذكر جُوده المثل. قال زهير بن أبي سُلمى فِيه:

إنَّ البَخيل مَلُومٌ حيث كان ولـ ـكِنَّ الجواد على عِلاَّتِهِ هَرِمُ

---

(١) «نَاجِرُ: رَجَبُ، أو صَفَرٌ، وكُلُّ شَهرٍ من شُهور الصَّيف» [القاموس المحيط: ٤٧٩].

(٢) «تَصَافَنُوا المَاءَ: اقتسموه بِالحِصَصِ» [نفسه، ص١٢١٠].

(٣) «القَعْبُ: القَدَحُ الضَخْمُ الجَافِي، أو إلى الصِّغَرِ، أو يُرْوِي الرّجل، الجمع: أَقْعُبٌ وقِعَابٌ وقِعَبَةٌ» [نفسه، ص١٢٦].

(٤) مات.

هو الجوادُ الذي يُعطيك نائِلَهُ عفواً ويُظلم أحياناً فيَظَّلِمُ[١]

ووفدت ابنة هرم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لها: مَا كان الذي أعطى أبوك زُهيراً حتى قابله من المديح بما قَد سارَ فيه؟ فقالت: قد أعطاه خيلاً تَنْضَى، وإبلاً تتوى، وثياباً تبلى، ومالاً لا يَفنى. فقال عمر رضي الله عنه: لكن ما أعطاكم زُهير لا يبليه الدّهر ولا يفنيه العصر. ويُروى أنّها قالت: ما أعطى هرمٌ زُهيراً قد نسي. قال: لكن ما أعطاكم زُهير لا يُنسى.

[نفسه ص١٩٧]

❋ ❋ ❋

➢ اصطناع المعروف أبقى مصطنع:

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجب على المسلمين كافة نصيحة المسلمين والقيام بِالكشف عن همومهم وكربهم، لأنّ مَنْ نَفَّس كربة من كرب الدُّنيا عن مسلم نفّس الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة، ومَن تَحرّى قضاء حاجته ولم يُقْضَ قضاؤها على يَديه فَكأنّه لم يقصر في قضائها، وأيسر ما يكون في قضاء الحوائج استحقاق الثّناء، والإخوان يعرفون عند الحوائج، كما أَنّ الأهل تختبر عند الفقر، لأنّ كلّ الناس في الرَّخاء أصدقاء، وشَرُّ الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشّدَّة والحاجَة، كما أَنّ شَرَّ البلاد بلدة ليس فيها خِصب ولا أمن.

وأنشدني الكريزي:

خَيرُ أيّام الفَتى يومٌ نَفَعْ واصطناع العُرف أبقى مصطنع
ما يُنالُ الخيرُ بالشَّرِّ ولا يَحصُدُ الزّارع إلا ما زرَعْ

---

(١) اظَّلَمَ: احْتَمَلَ الظُّلم.

لـيـس كـلّ الـدَّهـر يـومـاً واحِـداً رُبّـمـا انْـحَـطّ الـفـتـى ثـمّ ارتَـفَـعْ

حدّثنا محمد بن سليمان بن فارس، حَدّثنا أحمد بن سعيد الدَّارمي، حَدّثنا بشر بن عمر، حدّثنا الرّبيع قال: كان الحسن يقول: «قضاء حاجة أخ مُسلم أحبّ إليّ من اعتكاف شهرين».

وأنشدني علي بن محمد البسامي:

سَـابِـق إلـى الـخَـيـرِ وبَـادِرْ بـهِ فـإنّ مـن خـلـفـك مـا تَـعـلـمُ
وقَـدّم الـخَـيـر فـكـلّ امـرئ عـلـى الـذي قـدمـه يَـقـدم

حدَّثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي، حدّثنا محمد بن موسى البصري، حدّثنا الأصمعي، حدّثنا أبو معمر شبيب بن شيبة الخطيب قال: لما حَضَرت ابن سعيد بن العاص الوفاةُ قال لِبَنيه: «يا بُنيَّ، أَيُكُم يقبل وصيّتي؟ فقال ابنه الأكبر: أنا. قال: إنّ فيها قضاء دَيني، قال: ومَا دينك يا أبت؟ قال: ثمانون ألف دِينار، قال: يا أبت فِيم أخذتها؟ قال: يا بني في كريم سددت خَلّته[1]، ورجل جَاءني في حاجة وقد رأيت السُّوء في وجهه من الحَياء، فبدأت بحاجته قبل أن يسألها».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: حَقِيق على من علم الثَّواب أن لا يمنع مَا مَلك من جاه أو مال إن وجد السَّبيل إليه قبل حلول المنيّة، فيَبقى عن الخَيرات كلّها، ويتأسَّف على ما فاته من المعروف.

والعاقل يعلم أنّ من صحب النِّعمة في دار الزَّوال لم يخلُ من فَقدها، وأَنّ من تَمام الصّنائع وأهناها إذا كان ابتداء من غير سُؤال.

حدّثنا عمرو بن محمد، حدّثنا الغلابي، حدّثنا محمد بن عبدالرّحمٰن المهلّبي قال: دخل أبو العتاهية على الرَّشيد، فَقال: سَلْ يا أبا العَتاهية، فَقال:

(١) الخَلَّة: الفَقرُ والحَاجة.

إذا كانَ المنالُ بِبذلِ وَجهٍ ... فلا قَرَّبت من ذاك المَنال

وأنشدني عبدالعزيز بن سُليمان:

يَبقى الثَّناء وتَنْفَذُ الأموالُ ... ولكلِّ دَهْرٍ دولةٌ ورِجال
ما نالَ محمدة الرِّجال وشكرهم ... إلا الصَّبُور عليهمُ المِفضالُ

حدّثني محمد بن عبدل بن المهدي الشَّعراني، حدّثنا محمد بن يزيد الطّرسوسي حدَّثنا ابن عائشة قال: قال أبي: جاء رجل إلى يحيى بن طلحة بن عُبيدالله، فقال له: هب لي شيئاً، قال: يا غُلام أعطه ما معك، فأعطاه عشرين ألفاً، فأخذها ليحملها فثقلت عليه، فقعد يبكي، فقال: ما يبكيك؟ لعلّك استقللتها فأزيدك، قال: لا، والله ما استقللتها، ولكن بكيت على ما تأكل الأرض من كرمك، فقال له يحيى: هٰذا الذي قلت لنا أكثر ممّا أعطيناك.

قال أبو حاتم رضي الله عنه: لا يجب الإلحاف[1] عند السُّؤال في الحوائج، لأنّ شدّة الاجتهاد ربّما كانت سبباً للحرمان والمنع، والطالب للفلاح كالضَّرّاب بِالقداح، سهم له، وسهم عليه، فإن أعطى وجب عليه الحَمد، وإن منع لزمه الرِّضاء بِالقضاء، ولا يجب أن يكون السُّؤال إلا في دِيار القوم ومنازلهم، لا في المحافل والمساجد والملأ.

... قال أبو حاتم: على أنّي أستحبُّ للعاقل أن لو دفعه الوقت إلى أكل القِدّ[2] ومَصّ الحَصَى ثمّ صَبر عليه لكان أَحرى به من أن يسأل لئِيماً حاجة، لأنّ إعطاء اللَّئيم شَين، ومنعه حتف.

ولقد أنشدني محمد بن عبدالله البغدادي:

إذا أعطى القليل فَتًى شَرِيفٌ ... فإنّ قليلَ مَا يعطيكَ زين

(١) الإلحاحُ في المسألة.
(٢) القِدُّ: السِّيرُ من الجِلد تخصف به النِّعال.

وإن تَكُنِ العطيّة من دَنِيٍّ   فإنّ كَثير ما يعطيك شين

...قال أبو حاتم رضي الله عنه: لا يجب للعاقل أن يتوسَّل في قضاء حاجته بِالعَدُوّ، ولا بالأحمق، ولا بِالفاسقِ، ولا بِالكذَّاب، ولا بِمن له عند المسؤول طعمة، ولا يجب أن يجعل حاجتين في حَاجة، ولا أَن يجمع بين سؤال وتقاض، ولا يظهر شِدّة الحرص في اقتضاء حاجتِه، فإنّ الكريم يكفيه العلم بِالحاجة دون المطالبة والاقتضاء.

ولقد أنشدني مَنصور بن محمد الكريزي:

وإذَا طلبتَ إلى كَريم حَاجَةً   فاصْبِرْ وَلاَ تَكُ للمِطَالِ[1] مَلُولاَ
لا تُظْهِرَنْ شَرَهَ الحَرِيصِ ولا تَكُنْ   عند الأمورِ إذا نَهَضْتَ ثَقِيلا

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي العرزمي:

وإذا طلبت إلى كَريم حَاجَةً   فَحُضُوره يَكفيك والتَّسْلِيمُ
فإذا رآك مسلِّماً عرفَ الذي   حَمَّلته فَكأنّه مَلْزُومُ

...حدّثني محمد بن أبي علي الخلادي حَدّثني محمد بن أبي يعقوب الرّبعي حدّثنا عبدالكريم بن محمد الموصلي حدَّثنا أبي، قال: سمعت أبا تَمّام حبيب بن أوس الطائي يَقول: وقفت على باب مالك بن طوق الرّحبي أشهراً فلم أصل إليه، ولم يعلم بِمكاني، فلمّا أردت الانصراف قُلت للحاجب: أتأذن لي إليه أم أنصرف؟ قال: أمّا الآن فَلا سَبيل إليه، قُلت: فإيصال رقعة؟ قال: لا، ولا يمكن هٰذا، ولكن هو خارِج اليوم إلى بُستان له فاكتب الرقعة وارمِ بِها في موضع أرانيه الحاجب، فكتبت:

لعمري لئن حجبتني العبيـ   ـد عنك فلم تحجب القَافِيَهْ
سأرمي بها من وراء الجدا   رِ شنعاء تأتيك بِالدَّاهِيَهْ
تصمّ السَّميع وتعمى البصيـ   ـر ومن بعدها تسأل العافِيَهْ

(١) المَطْلُ: التَّسْويفُ بِالعِدَةِ والدَّينِ، كالمِطالِ.

فكتبت بها ورميت بها من المكان الذي أرانيه الحاجب فوقعت بين يديه، فأخرجها فنظر فيها، فقال: عليَّ بصاحب الرّقعة، فخرج الخادم، فقال: من صاحب الرّقعة، قُلت: أنا، فأدخلت عليه، فقال لي: أنت صاحب الرّقعة؟ قلت: نعم، فاستنشدني، فأنشدته. فلمّا بَلغْتُ ـ ومن بعدها تسأل العافية ـ قال: لا، بل نسأل العافية من قبلها، ثمَّ قال: حاجتك؟ فأنشأت أَقولُ:

ماذا أقولُ إذا انصرفت وقيل لي: ... ماذا أصبت من الجواد المِفضل؟
وإن قُلت: أغناني كَذبت وإن أَقل ... ضَنَّ الجَوَادُ بِمالهِ لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فإنّني ... لا بُدَّ أخبرهم وإن لَمْ أُسألِ

فقال: إذاً والله لا أختار إلاَّ أحسنها، كم أقمت ببابي؟ قلت: أربعة أشهر، قال: يُعطى بِعدد أيّامه ألوفاً، فقبضت مائة وعشرين ألف درهم.

[«روضة العقلاء» ص٢٤٦ ـ ٢٥٢]

❋ ❋ ❋

➢ شرُّ خصال الملوك:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو بكر قال: حَدَّثنا الرّياشي، عن الأصمعي، قال: العرب تقول: لا ثناء مع الكِبْرِ، ولا صديق لذي الحسَد، ولا شرف لسيِّئ الأدب. قال: وكان يُقال: شَرُّ خِصال الملوك الجُبن عن الأعداء والقسوة على الضُّعفاء، والبُخل عند الإعطاء.

[«الأمالي» ص١٩٢]

❋ ❋ ❋

من أخبار المأمون:

قال أبو علي: حدّثنا الأخفش، قال: بلغني أنّ إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون قبل رضاه عنه فقال: يا أمير المؤمنين، وَلِيُّ الثَّأر مُحَكَّمٌ في القصاص، ومَن تناوله الاغترار بِما مُدَّ له من أسباب الرَّخاء أَمِنَ عادية الدَّهر، وقد جَعلك الله فَوق كُلِّ ذي ذنب، كما جَعل كلَّ ذي ذنب دُونك، فإن تأخُذْ فَبِحَقِّكَ، وإن تَعْفُ فبفضلك، ثُمّ قال:

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه
فَخُذْ بِحَقِّكَ أو لا ... فاصفح بفضلك عنه
إن لم أكن في فعالي ... مِن الكرام فَكُنْهُ

فقال: القُدرة تُذهب الحفيظة[1]، والنَّدم توبة، وعفو الله بينهما، وهو أكبر ما يحاول، يا إبراهيم لقد حبّبت إليَّ العفوَ حتّى خفت ألاَّ أُوجَرَ عليه، لا تَثْرِيب عليك، يغفر الله لك، وعَفَا عنه وأَمَرَ بِرَدِّ ماله وضِيَاعه، فَقال:

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ ... وقَبل رَدِّك مَالِي قد حَقَنْتَ[2] دَمِي
فأُبْتُ مِنك ومَا كافأتُها بِيَدٍ ... هُمَا الحَيَاتَانِ مِنْ وَفْرٍ[3] ومِن عَدَم
وقام علمك بي فاحْتَجّ عِنْدَكَ لِي ... مقام شاهِدِ عَدْلٍ غَيرِ مُتَّهَمِ
فَلو بذلتُ دمِي أبغي رِضَاك بِه ... والمالَ حَتَّى أَسُلَّ النَّعْلَ مِن قَدَمِي
مَا كَانَ ذاك سوى عارِيّة رَجَعَتْ ... إليك لو لم تَهبها كُنت لَم تُلَم

[نفسه ص١٩٣ ـ ١٩٤]

❊ ❊ ❊

(١) «الحَفِيظة: الحَمِيَّةُ والغَضَبُ. وأحفظه: أغضبه» [القاموس المحيط: ٦٩٥].
(٢) «حَقَنَ دَمَ فُلانٍ: أنْقَذَهُ مِن القَتل» [القاموس المحيط: ١١٩١].
(٣) «الوَفْرُ: الغِنى، ومن المالِ والمتَاعِ: الكثيرُ الواسع» [القاموس المحيط: ٤٩٣].

➢ آثار الفقر والحاجة:

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر قال: حدَّثنا عبدالرّحمٰن، عن عَمّه، قال أكثمُ بن صَيفيّ: سوء حملِ الفاقة يَخرض[1] الحسب، ويُقوّي الضَّرورة، ويُذْئِرُ أهل الشَّمَاتَةِ.

قال أبو علي: يُذْئِرُ: يُحَرِّشُ، يُقال: أَذْرَأْته بأخيه إذا حَرَّشته عليه وأولعته بِه، وقد ذَئِرَ هو ذَأَراً حين أذأرته، قال الشاعر:

ولقد أتاني عن تميم أَنَّهم ذَئِرُوا لقتلى عامر وتَغَضَّبُوا

[نفسه ص٢٠٧]

❋ ❋ ❋

➢ قضاء الحاجة وردّ المحتاج:

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر قال: أخبرنا عبدالرّحمٰن، عن عَمّه، قال: قال رجل من العرب: ما رأيت كَفُلان، إنْ طلب حاجَة غَضِبَ قبل أنْ يُرَدَّ عنها، وإنْ سُئِل حاجة ردَّ صاحبها قبل أن يَفهمها.

[نفسه ص٢٠٧]

❋ ❋ ❋

➢ البخيل لا مروءة له:

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبي زيد، قال: حدّثنا هشام بن حسان الفردوسي، عن الحسن، قال: قال الأحنف بن

(١) «خَرَضَ نفسَه يَخرِضها: أفسدها» [القاموس المحيط: ٦٣٩].

قيس، الكَذُوبُ لا حِيلةَ له، والحَسُودُ لا راحَةَ له، والبَخِيلُ لا مُرُوءةَ له، والمَلُول لا وفاء لَه، ولا يَسُود سيِّئ الأخلاق، ومِن المروءة إذا كان الرَّجل بخيلاً أن يكتُم ذٰلك ويتجَمَّل.

[نفسه ص٢٢٣]

❊ ❊ ❊

➢ مكارم الأخلاق:

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر بن شقير النّحوي في منزله في غلّة صافي ونحن يومئذ نقرأ عَليه كتب الواقدي في المغازي وكان يَرويها، عن أحمد بن عبيد، عن الواقدي، قال: حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصح، قال: كان أسيد بن عنقاء الفزاري مِن أكثر أهل زمانه وأشدّهم عارضة ولساناً، فطال عمره، ونَكَبه دهره، واختلّت حالته، فخرج عشيّة يتبقّل لأهله، فَمرّ بِه عُمَيلة الفزاري فَسلّم عليه وقال: يا عَمّ، مَا أصارك إلى ما أرى مِن حالك؟ فقال: بُخل مثلك بِماله، وصوني وجهي عن مسألة النّاس، فقال: والله لئن بقيت إلى غدٍ لأغيّرنَّ ما أرى من حالك، فرجع ابن عنقاء إلى أهله فأخبرها بما قال له عُميلة، فقالت له: لقد غرّك كلام غلام جُنْحَ ليل، فكأنّما أُلقمت فاه حجراً فبات مُتَمَلْمِلاً[1] بين رجاء ويأس، فلمّا كان السَّحر سمع رُغاء الإبل، وثُغاء الشّاء، وصهيل الخَيل، ولَجب[2] الأموال، فقال: ما هٰذا؟ فقالوا: هٰذا عُميلة ساق إليك ماله، قال: فاستخرج ابن عنقاء ثُمّ قَسم مَالَه شطرين وساهمه عليه، فأنشأ ابن عنقاء يَقول:

رآني على مَا بِي عُمَيْلَةُ فاشْتَكَى ... إلى ماله حالي أَسَرَّ كَمَا جَهَر
دعاني فآسَانِي[3] ولو ضَنَّ لم أَلُمْ ... على حِينٍ لا بَدْوٌ يُرَجَّى ولا حَضر

(١) «تَمَلْمَلَ: تَقلَّبَ» [القاموس المحيط: ١٠٥٨].
(٢) «اللَّجَبُ، محرّكة: الجَلَبَةُ» [نفسه، ص١٣٣].
(٣) «آسَاهُ بِماله مُوَاسَاةً: أنَالَهُ منه» [القاموس المحيط: ١٢٥٩].

فقلت له خَيْراً وأثنيتُ فِعْلَهُ وأوفاك ما أبليتَ مَنْ ذَمَّ أو شَكَر
ولمّا رأى المجد استعيرت ثيابه تَرَدَّى رداء سابغَ[1] الذَّيلِ وأتَزَرْ
غُلام رَمَاهُ الله بِالخيرِ مُقبلا له سِيمِيَاء[2] لاَ تَشَقُّ على البَصَر
كأنَّ الثُّرَيَّا[3] عُلّقت فوق نَحْرِه وفي أنفه الشِّعْرَى[4] وفي خَدِّه القَمَر
إذا قِيلَتِ العَوراءُ[5] أغضى كَأنّه ذَلِيل بِلا ذُلٍّ ولو شَاءَ لانْتَصَر

[نفسه ص٢٢٨]

* * *

لقِيت النَّجَاح:

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر، قال: حدَّثنا أبو حاتم وعبدالرّحمٰن، عن الأصمعي، عن بعض موالي بني أُميّة، قال: خرج داود بن سَلم إلى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية، فلمّا قدم عليه قام غلمانه إلى متاعه فأدخلوه وحَطُّوا عن راحلته، فَلمّا دخل أنشده:

ولـمّـا دُفـعـت لأبـوابـهـم ولاقيتُ حَرْباً لقيت النَّجَاحَا
وجدناه يحمده المُعْتَفُون[6] ويَأبى على العُسرِ إلاّ سماحا
ويُغشون حتى ترى كَلبهم يَهاب الهَرِير[7] ويَنْسَى النُّبَاحَا

فأمر له بجوائز كثيرة، ثمّ استأذنه في الانصراف فأذن له وأعطاه ألف

(١) «سَبَغَ الشَّيءُ سُبُوغاً: طال إلى الأرض» [القاموس المحيط: ٧٨٣].
(٢) «السِّيمَة والسِّيمَاءُ والسِّيمِيَاءُ بِكسرهنّ: العلامة» [نفسه، ص١١٢٤].
(٣) «الثُّرَيَّا: النَّجمُ، لكثرة كواكبه مع ضيق المَحَلّ» [القاموس المحيط: ١٢٦٧].
(٤) «الشِّعْرَى العَبُورُ، والشِّعْرَى: أُخْتَا سُهيل» [نفسه، ص٤١٧].
(٥) «العَوْرَاءُ: الكلمةُ أو الفِعلة القَبِيحة» [نفسه، ص٤٤٦].
(٦) «العَافِي: كلّ طالب فَضْلٍ أو رِزق، كالمعتفي» [القاموس المحيط: ١٣١٣].
(٧) «هَرَّ الكلبُ إليه يَهِرُّ هَرِيراً، وهو صوتُه دُونَ نُبَاحِهِ مِن قِلَّة صَبْرِه عَلى البَرْد» [نفسه، ص٤٩٧].

دِينار، فلمّا خرج من عنده وغلمانُه جلوسٌ لم يقم إليه أحد منهم ولم يُعنه، فَظنّ أَنّ حرباً ساخِط عليه فرجع إليه وقال: أَوَاجِدٌ[١] أَنت عليّ؟ قال: لا، وَلِمَ ذٰلك؟ فأخبره خبر الغلمان، قال: ارجع إليهم فَسَلهم، فرجع إليهم فسألهم، فقالوا: إنّنا نُنزل الضّيف ولا نُرَحِّله، فلمّا قَدم المدينة، سمع الغاضِريّ بحديثه فأتاه فقال: إنّي أُحبّ أن أسمع هٰذا الحديث منك، فَحدثه، فَقال: هو يهودي أو نصراني إِن لم يكن فِعْلُ الغلمان أحسن مِن شعرك.

[نفسه ص٢٣٢ ـ ٢٣٣]

❋ ❋ ❋

➢ مدح أبي العتاهية لبعض الأمراء:

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدَّثنا عبدالله بن خلف، قال: حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخعي، قال: حدّثني محمد بن سهل، قال: حدّثني المدائني، قال: امتدح أبو العتاهية عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي، فأمر له بسبعين ألف درهم، وأمر من حضره من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه، فخلعوا عليه حتى لم يقدر على القيام لما عليه من الثّياب، ثُمّ إنّ جَماعة من الشُّعراء كانوا بباب عمر، فقال بعضهم: يا عَجباً للأمير، يُعطي أبا العتاهية سبعين ألف درهم! فبلغ ذٰلك عمر فقال: عليَّ بِهم، فأُدخلوا عليه، فقال: ما أحسد بعضكم لِبعض يَا معشر الشُّعراء! إِنَّ أحدكم يأتينا يريد مدحنا فَيُشَبِّبُ[٢] في قَصيدته بصديقته بخمسين بيتاً، فَما يبلغنا حتّى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره، وقد أتانا أبو العتاهية فَشبّب ببيتين ثمّ قال:

---

(١) «وَجَدَ عَليهِ يَجِدُ ويَجُدُ وَجْداً، وجِدَةً ومَوْجِدَةً: غَضِبَ» [القاموس المحيط: ٣٢٤].

(٢) «التَّشْبِيبُ: النَّسِيبُ بالنّساء» [القاموس المحيط: ٩٩].

إنّـي أمـنـتُ مِـن الـزَّمَـانِ ورَيْـبِـهِ ... لـمّـا عـلـقـت من الأمِـيـرِ حـبـالا
لـو يـسـتـطـيـع الـنّـاس مِـن إجلالـه ... لـحـذَوْا لـه حُـرَّ الـوُجُـوه نِـعـالاَ
ما كـان هٰذا الـجودُ حتى كُنت يا ... عُـمَـراً ولـو يـومـاً تَـزُولُ لَـزَالاَ
إنَّ الـمـطـايَـا تـشـتـكـيـكَ لأنَّـهـا ... قـطـعـت إلـيـك سَبَاسِباً[١] ورمَـالاَ
فـإذا أَتَـيْـنَ بِـنَـا أَتَـيْـنَ مُـخِـفَّـةً ... وإذا رَجَـعْـنَ بـنـا رَجَـعْـنَ ثِـقَـالا

فقال له عمر حين مدحه: أقم حتَّى أنظر في أمرك، فأقام أيّاماً ولم يَرَ شيئاً، وكان عمر ينتظر مالاً يَجيء من وجه فأبطأ عليه، فكتب إليه أبو العتاهية:

يا ابن العَلاء ويا ابن القَرْم مِرْدَاسِ ... إنّي امتدحتك في صحبي وجُلاَّسي
أُثـنـي عـلـيـك ولـي حَـالٌ تُـكَـذِّبُـنـي ... فيمـا أقـول فـأستحـيي من الـنَّـاسِ
حتّى إذا قِيل ما أعطاك مِن صَفَدٍ[٢] ... طأطأت من سوء حال عندها رَاسِي

فقال عمر لحاجبه: اكفنيه أيّاماً، فقال له الحاجب كَلاماً دفعه بِه، وقال له: تنتظر، فكتب إليه أبو العتاهية:

أصابت علينا جُودَك العينُ يا عُمَر ... فنحن له نبغي التَّمَائم[٣] والنُّشَرْ[٤]
أصابتك عَين في سخائك صُلْبَةٌ ... ويا رُبَّ عين صُلبة تفلق الحَجَرْ
سَنَرْقيكَ بِالأشعارِ حتّى تَمَلَّها ... فإن لم تُفق منها رَقيناك بِالسُّوَرْ

قال: فضحك عمر، وقال لصاحب بيت مَالِه: كم عندك؟ قال:

---

(١) «السَّبْسَبُ: المفازَةُ، أو الأرضُ المستوية البَعيدة، بَلَدٌ سَبْسَبٌ وسَبَاسِبُ» [القاموس المحيط: ٩٦].
(٢) «الصَّفَدُ، محرّكة: العَطَاءُ» [القاموس المحيط: ٢٩٣].
(٣) «التَّمِيمُ: جمعُ تَميمةٍ، كالتَّمَائِمِ، لخَرزة رقطاء تُنظم في السَّيرِ، ثُمّ يُعقدُ في العُنُقِ» [القاموس المحيط: ١٠٨٣].
(٤) «النُّشْرَةُ، بِالضَّمّ: رُقْيَةٌ يُعَالجُ بها المجنون» [نفسه، ص٤٨٢].

سبعون ألف درهم، قال: ادفعها إليه، ويُقال: إنَّه قال له: اعذرني عنده ولا تُدخله عليّ فإنِّي أستحي منه.

[نفسه ص٢٣٣ ـ ٢٣٤]

❊ ❊ ❊

◄ أنت الجَوادُ:

قال أبو علي: أنشدنا أبو بكر، عن أبي حاتم:

وإنَّ سَعِيدَ الجَدِّ مَنْ باتَ لَيْلَةً ... وأصبحَ لم يُؤْشَبْ[(١)] ببعضِ الكَبَائِرِ
فمولاك لا يُهْضَمْ[(٢)] لديك فإنّما ... هضيمة مولى المرء جذْعُ المَناخِرِ
وجَارُك لا يَذْمُمْكَ[(٣)] إنَّ مَسَبَّةً ... على المرء في الأَدْنَيْنَ ذَمُّ المُجاور
وإن قُلت فاعلم ما تقول فَإنَّهُ ... إلى سامع مِمَّن يُغَادِي وآثر
فإنّك لا تَستطيع رَدَّ مَقَالَةٍ ... شأتك وزلَّتْ عن فُكَاهةِ فاغر[(٤)]
كما ليس رامَ بعد إرسالِ سهمه ... على رَدِّه قبل الوقوع بِقادر
إذا أنت عاديت الرِّجال فَلا تَزل ... على حَذَرٍ لا خَير في غير حاذِر
ومَن لا يُصانِعْ[(٥)] في أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... يُضَرَّسْ[(٦)] بأنياب ويُوطَأ بِحَافِر
ترى المرء مخلوقاً وللعينِ حَظُّها ... وليس بِأَحْنَاءِ[(٧)] الأُمور بخابر

---

(١) «أَشَبَ فُلاَنَاً: عابَهُ ولامَهُ، يَأْشِبُهُ ويَأْشُبُه» [القاموس المحيط: ٥٩].
(٢) «هَضَمَ فُلاناً: ظَلمه وغَصَبَهُ» [نفسه، ص١١٧٠].
(٣) الذَّمُّ: العَيْبُ.
(٤) «فَغَرَ فَاهُ فَغْراً: فَتَحَهُ» [المنجد الأبجدي: ٧٦٦].
(٥) «المُصَانَعَةُ: المداراةُ، والمداهنة» [القاموس المحيط: ٧٣٩].
(٦) «المُضَرَّسُ، كمُعَظَّم: الأسد يمضغُ لحم فَريسته ولا يَبتلعه» [نفسه، ص٥٥٣].
(٧) «أحْنَاءُ الأمُورِ: مُتَشابهها» [القاموس المحيط: ١٢٧٧].

فَذاكَ كماءِ البحر لست مُسِيغَهُ[(١)] ويعجب منه ساجِياً[(٢)] كُلّ ناظر
وتلقى الأصيلَ الفاضِل الرَّأي جِسمُه إذا مَا مشَى في القوم ليس بِقَاهِرِ
كذلِكَ جَفْنٌ رَثٌّ[(٣)] عَنْ طُولِ مُكْثِهِ على حَدِّ مَفتُوقِ الغِرَارينِ[(٤)] بَاتِرِ[(٥)]
وعاشٍ بعينيه لما لا ينالُه كَساعٍ برجليه لإدراك طَائِر
ومُسْتَنزِلٍ حَرْباً على غيرِ ثَروة كمُقْتَحِمٍ في البحر ليس بماهر
ومُلتَمِس وُدًّا لمن لا يَوَدُّهُ كمُغْتَذِرٍ يَوْماً إلى غَيْرِ عاذِرِ
ومُتّخذ عُذْراً فَعَادَ مَلامَة كوَالي اليتامى مالُهم غير وَافرِ
فَسارِع إذا سَافَرْتَ في الحمد واعْلَمَنْ بِأنَّ ثَناءَ الرَّكْب حَظُّ المسافِر
وطاوعهمُ فيما أرَادَا وقُل لهم فِدًى للَّذِي رُمْتُم كَلال[(٦)] الأَبَاعِرِ[(٧)]
فإن كُنْتَ ذَا حَظٍّ منَ المال فالْتَمِسْ به الأجرَ وارفع ذكر أهل المقابر
فإنِّي رأيت المال يفنى وذِكره كَظِلٍّ يَقِيكَ الظِّلُّ حَرَّ الهَوَاجِرِ[(٨)]

وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري:

سَمَّيْتُ مَعْناً بمعنٍ ثُمّ قُلت له: هٰذا سَمِيُّ[(٩)] فتًى في النّاسِ محمودِ
أنت الجَوَاد ومنك الجودُ أَوَّلُه فإن فُقدت فما جُودٌ بِمَوجُودِ
من نُور وَجهك تُضحِي الأرض مُشْرِقَةً ومِنْ بَنَانِكَ يَجْرِي الماءُ في العُودِ

(١) «سَاغَ الشَّرَابُ سَوْغاً وسَوَاغاً: سَهُلَ مَدْخَلُهُ. وسُغْتُهُ أَسُوغُهُ، وسِغْتُهُ أَسِيغُه، لازم مُتَعَدّ» [نفسه، ص٧٨٤].
(٢) «سَجَا سُجُوًّا: سَكَنَ، ودَامَ، ومنه البحرُ والطَّرفُ السَّاجِي» [نفسه، ص١٢٩٣].
(٣) «الرَّثُّ: البَالِي، كالأَرَثّ والرَّثِيث» [القاموس المحيط: ١٦٩].
(٤) «الغِرَارُ، بِالكسر: حَدُّ الرُّمح والسَّهم والسَّيف» [نفسه، ص٤٥٠].
(٥) «البَتْرُ: القَطعُ، أو مُسْتَأصِلاً. وسَيْفٌ بَاتِرٌ: قاطع» [نفسه، ص٣٤٥].
(٦) «الكَلُّ: الإعْيَاءُ، كالكَلاَلِ والكَلاَلَةِ» [القاموس المحيط: ١٠٥٣].
(٧) جمعُ بَعِير.
(٨) «الهَجِيرُ والهَجِيرَةُ والهَجْرُ والهَاجِرَةُ: شِدَّة الحَرِّ» [القاموس المحيط: ٤٩٥].
(٩) «سَمِيُّكَ: مَنِ اسْمُهُ اسْمُكَ» [نفسه، ص١٢٩٦].

أضحت يمينك من جُود مُصَوّرة لا بل يَمينك منها صورة الجُود

[نفسه ص٢٤١ ـ ٢٤٢]

❋ ❋ ❋

➢ إكرام الضَّيف:

حدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا أبو حاتم، عن الأصمعيّ، قال: نزلت على امرأة من بني عامر بن صعصعة وقد مات ابن لها، وهي مِن القلق على مثل الرَّضفة[1]، فقامت تعالج لي طعاماً، فقلت لها: يا هٰذه، إنّك لفي شُغل عن هٰذا، فقالت: والله لا تجوز بيتي إلاّ مَقرِيًا[2]، ولكن أنشدني أبياتاً أَسْلُو[3] بهنّ، فإنّي أَراك لَوْذَعِيًا، فأنشدتها أبيات نُويرة بن حُصين المازني يَرثي ابنه:

إنّي أُرِي لِلشّامِتينَ تَجَلُّدِي[4] وإنّيَ كالطَّاوِي الجَناحِ عَلَى كَسْرِ

يُرَى واقِعاً لَمْ يُدْرَ مَا تَحتَ رِيشِهِ وإن نَاءَ[5] لم يَسْطِع نُهُوضاً إلى وَكْرِ

فَلولا سُرُورُ الشَّامِتينَ بِكَبْوَتي[6] لما رَقَأَتْ[7] عَيْنَاي مِن وَاكِفٍ[8] يَجْرِي

---

(١) «الرَّضْفُ: الحِجَارة المُحْمَاةُ يوغرُ بها اللَّبَن، كالمِرْضَافَة» [القاموس المحيط: ٨١٣].

(٢) «قَرَى الضَّيْفَ قِرًى، بِالكسرِ والقصرِ والفتح والمَدِّ: أضافَه، كاقتراه» [القاموس المحيط: ١٣٢٤].

(٣) «سَلاَهُ، وعنه، كدَعَاهُ ورَضِيَهُ، سَلْواً وسُلُوًّا وسُلْوَاناً وسُلِيًّا: نَسِيَهُ، وأسلاه عنه فَتَسلَّى، والاسمُ: السَّلْوَةُ، ويُضَمّ» [نفسه، ص١٢٩٦].

(٤) «الجَلَدُ: الشِّدَّةُ والقُوَّةُ. جَلُدَ، ككَرُمَ، جَلاَدَةً وجُلُودَةً وجَلَداً ومَجْلُوداً. وتَجَلَّدَ: تكلَّفَهُ» [القاموس المحيط: ٢٧٣].

(٥) «نَاءَ نَوْءًا وتَنْوَاءً: نَهضَ بجهدٍ ومشقّة» [نفسه، ص٥٤].

(٦) «كَبَا كَبْواً: انْكَبَّ على وجهه» [القاموس المحيط: ١٣٢٧].

(٧) «رَقَأَ الدَّمْعُ، كجَعَلَ، رَقْئًا ورُقُوءًا: جَفَّ وسَكَنَ» [نفسه، ص٤٢].

(٨) «وَكَفَ البيتُ يَكِفُ وَكْفاً وتَوْكافاً: قطَرَ، كأوكَفَ» [نفسه، ص٨٦١].

على مَنْ كَفَانِي والعَشِيرَةَ كُلَّهَا نَوائِبَ[١] رَيب الدَّهر في عَثْرَة الدَّهْرِ
ومَن كانت الجَارَاتُ تَأمَنُ لَيْلَهُ إذا خِفْنَ مَنْ بَاتَت غوائِلُهُ[٢] تَسْرِي
بصير بِما فِيه لهُنَّ حَصَانَةٌ غَبِيٌّ عن المحجُوب بِالبابِ والسِّتْرِ
يَكُفُّ أذاه بَعدمَا بَذْلِ عُرْفِهِ ويَعْلَم حِلْماً لا يذمّ ولا يُزرِي[٣]
ويأخذ ممَّنْ رَامَ[٤] بِالهَصْرِ[٥] هَيْضَهُ[٦] إذا مَا أرادَ الأَخذ بِالهصر والقَسرِ
ولا يُنظر الأيسار[٧] إن نال يُسْرَهُ ولا ينثني عن فِعل خير لدى العُسْرِ
ولا يَتَأَرَّى[٨] للعَوَاقِبِ إنْ رَأى له فُرْصَةً يَشْفِي بِها وَحَرَ[٩] الصَّدْرِ
ولكنّه ركَّابُ كُلِّ عَظِيمة يضِيق بها صدر الحسود على الأمدِ
ولست وإنْ خَبَّرْتِ أَنْ قد سَلِيته بِنَاسٍ أبا السَّوداء إلاّ عَلى ذِكْرِ
شمائل[١٠] منه طيّبات يَغْذُنني وأخلاق محمودٍ لدى الزَّاد والقِدْرِ
فَتَى شَغْشَعٌ[١١] يُرْوي السِّنان[١٢] بِكفِّهِ ويجمع للمولى العطاء مع النَّصْرِ

قال: فَكأنّي والله زَبرت[١٣] الأبيات في صدرها، فما زالت تُنشدها

---

(١) «النَّوْبُ: نُزُولُ الأمر، كالنَّوْبَة» [نفسه، ص١٤٠].
(٢) «الغَوَائِلُ: الدَّوَاهي» [القاموس المحيط: ١٠٤٠].
(٣) «زَرَى عليه زَرْياً وزِرَايَةً ومَزْرِيَةً ومَزْرَاةً وزُرْيَاناً، بِالضَّمِّ: عَابَهُ، وعَاتَبَهُ، كأَزْرَى» [نفسه، ص١٢٩٢].
(٤) «الرَّوْمُ: الطَّلبُ، كالمَرَام» [القاموس المحيط: ١١١٦].
(٥) «الهَصْرُ: عَطفُ شيء رَطب كالغُصْنِ ونحوه، وكَسرُه من غَير بَينونة» [نفسه، ص٤٩٨].
(٦) «هَاضَ العَظْمَ يَهِيضُه: كَسَرَهُ بعدَ الجُبُور، كاهْتَاضَه، وهو مَهِيضٌ» [نفسه، ص٦٥٦].
(٧) الأغنياء.
(٨) «تَأَرَّى عنه: تَخَلَّف، وبالمكان: احتَبَس، كائْتَرَى» [القاموس المحيط: ١٢٥٩].
(٩) «وَحِرَ صدرُه عليَّ يَحِرُ ويَوْحَرُ ويِيحَرُ، فَهو وَحِرٌ: استَضْمَرَ الوَحْرَ، وهو الحِقْدُ، والغَيْظُ» [نفسه، ص٤٩١].
(١٠) «الشِّمَالُ: الطَّبْعُ، الجمع: الشَّمَائلُ» [القاموس المحيط: ١٠٢٠].
(١١) «الشَّغْشَعُ والشَّغْشَاعُ والشَّغْشَعَانُ والشَّغْشَعَانِيُّ: الطَّويل» [نفسه، ص٧٣٣].
(١٢) «السِّنَانُ: نَصْلُ الرُّمح الجمع: أسِنَّةٌ» [نفسه، ص١٢٠٧].
(١٣) «الزَّبْرُ: الكِتابة، كالتَّزْبِرَة» [القاموس المحيط: ٣٩٨].

وتصلح طعامي حَتَّى قَرتني ورُحت مِن عندها.

[نفسه ص٢٤٩ ـ ٢٥٠]

❋ ❋ ❋

➤ المفضّل الضّبِّي والمهدي:

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حَدّثنا أبو حاتم، عن أبي زيد، عن المُفَضّل الضَّبِّي، قال: دخلت على المهدي فقال لي قبل أن أجلس: أنشدني أربعة أبيات لا تزد عليهنّ ـ وعنده عبدالله بن مالك الخزاعي ـ فأنشدته:

وأَشعَث قَد قَدّ[١] الشِّفَارُ قَمِيصَهُ ... يَجُرُّ شِوَاءَ بِالعَصَا غَيْرَ مُنْضَجِ

دعوت إلى ما نابَنِي[٢] فأجابني ... كريمٌ مِن الفتيان غَيرُ مُزَلَّجِ[٣]

فتًى يَملأُ الشِّيزَى[٤] ويُرْوِي سِنَانَهُ ... ويَضْرِب في رأس الكَمِيِّ[٥] المُدَجَّجِ[٦]

فَتى ليس بِالرَّاضي بأدنى مَعِيشة ... ولا في بُيُوت الحَيِّ بِالمتَولِّجِ

فقال المهدي: هو هٰذا ـ وأشار إلى عبدالله بن مالك ـ فلمّا انصرفت بعث إليّ بألفِ دينار، وبعث إليّ عبدالله بأربعة آلاف درهم.

[نفسه ص٢٥٣ ـ ٢٥٤]

---

(١) «القَدُّ: القَطْعُ المُسْتَأْصِلُ أو المُسْتَطيل، أو الشَّقُّ طُولاً، كالاقْتِدَادِ والتَّقْدِيدِ في الكُلِّ» [القاموس المحيط: ٣٠٨].

(٢) نَزَل بي وأصابني.

(٣) «المُزَلَّجُ، كمُحَمَّدٍ: المُلْصَقُ بِالقوم وليس مِنهم، والرَّجُلُ النَّاقِصُ، والدُّونُ مِن كُلِّ شَيء» [القاموس المحيط: ١٩٢].

(٤) «الشِّيزُ، بالكسر: خَشَبٌ أسودُ للقِصاع، كالشِّيزَى» [القاموس المحيط: ٥١٤].

(٥) «الكَمِيُّ، كغنيّ: الشُّجاعُ، أَو لابِسُ السِّلاح، كالمُتَكَمِّي. الجمع: كُمَاةٌ أَكْمَاءُ» [نفسه، ص١٣٢٩].

(٦) «المُدَجَّجُ: الشَّاكُ في السِّلاحِ» [نفسه، ص١٨٧].

≺ تركنا أبا الأَضياف في ليلة الصَّبا:

أنشدنا أبو بكر، عن أبي حاتم للعُجيرِ السَّلُولي:

تركنا أبا الأَضياف في لَيلة الصَّبَا[١] بِمَرٍّ[٢] ومردى كلِّ خَصم يُجادلُهْ
تركنا فتى قد أيقن الجوع أنّه إذا مَا ثَوَى[٣] في أَرْحُلٍ[٤] القوم قَاتِلُهْ
فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتضائل ولا رَهِلٌ[٥] لَبَّاتُه[٦] وبآدله
إذا القَومُ أَمُّوا[٧] بَيْتَهُ فهو عَامِدٌ لأَحْسَنِ ما ظَنُّوا به فهو فاعِلُه
جَوَادٌ بِدُنياه بَخيل بِعرضه عطوفٌ على المولى[٨] قَليلٌ غَوَائِلُهْ[٩]
فتى ليس لابن العَمِّ كالذِّئب إنْ رَأَى بصاحبه يَوماً دَماً فهو آكِلُه
إذا جَدَّ عند الجِدِّ أرضاك جِدُّهُ وذُو بَاطل إن شئت أرضاك بَاطِلُهْ
يَسُرُّكَ مَظْلُوماً ويرضيك ظَالما وكُلُّ الذي حَمَّلته فهو حَامِلُه

قال أبو علي: قال الفَرَّاء: البَأْدَلَةُ: ما بين العُنق إلى التَّرْقُوة وجمعه

(١) «الصَّبَا: رِيحٌ مَهَبُّها مِن مَطْلَعِ الثُّرَيَّا إلى بَناتِ نَعْشٍ، وتُثنى صَبَوانِ وصَبَيانِ الجمع: صَبَوَاتٌ وأَصْبَاءٌ» [القاموس المحيط: ١٣٠٢].
(٢) في الطبعة الأولى «بعير» وفي «شرح الحماسة» (ج٢، ص١٩٣) طبع بُولاق «بمرو» وكلاهما تحريف، والتَّصويب عن «معجم البلدان»، فقد ذكر ياقوت أنّ «مرا» اسم موضع على مرحلة من مَكّة له ذكر كثير في الحديث والمغازي ويقال له مرّ الظهران، واستشهد بهٰذه الأبيات. ط(المحقّق)
(٣) «ثَوَى المكانَ، وبِه يَثْوِي ثِوَاءً وثُوِيًا، بِالضَّمِّ، وأَثْوَى بِهِ: أطال الإقامة بِهِ، أو نَزل» [القاموس المحيط: ١٢٦٨].
(٤) «الرَّحْلُ: مركبٌ للبعير، كالرَّاحُولِ، الجمع: أَرْحُلٌ ورِحَالٌ» [نفسه، ص١٠٠٥].
(٥) «رَهِلَ لحمُهُ، بِالكسر: اضطَرب واسْتَرْخَى، وانتفخ، أو وَرِمَ مِنْ غير دَاءٍ، ورَهَّلَهُ تَرْهِيلاً» [القاموس المحيط: ١٠٠٨].
(٦) «اللَّبَبُ: المَنْحَرُ، كاللَّبَّة، ومَوْضعُ القِلاَدَة مِن الصَّدر» [نفسه، ص١٣٣].
(٧) «أَمَّهُ: قَصَدَهُ، كائْتَمَّهُ وأَمَّمَهُ» [القاموس المحيط: ١٠٧٦].
(٨) «المَوْلَى: القَرِيبُ كابنِ العَمِّ ونَحوه، والجَارُ، والحَلِيفُ» [نفسه، ص١٣٤٤].
(٩) «الغَوَائِل: الدَّوَاهي» [نفسه، ص١٠٤٠].

بآدل، وقال أبو عمرو: واحدها بَأدل بغير هاء. وقال قطرب: البآدل ويُقال البَهَادِل: أصول الثّديين.

وقَرأت على أبي بكر رحمه الله للحسين بن مطير الأسدي:

أَلِمَّا[١] على مَعْنٍ وقُولاَ لِقَبْرِهِ ... سَقَتْكَ الغَوَادي[٢] مَرْبعاً[٣] ثُمَّ مَرْبَعَا
فَيا قَبر مَعن أنت أوّلُ حُفرة ... من الأرض خُطَّتْ للسَّمَاحَةِ[٤] مَضْجعا
ويا قَبر مَعن كَيف وارَيْتَ[٥] جُودَهُ ... وقد كَان منه البرّ والبحر مُتْرَعَا[٦]
بَلَى قَد وَسَعْتَ الجُودَ والجُود مَيِّتٌ ... ولو كَان حَيًّا ضِقْتَ حَتَّى تَصَدَّعَا[٧]
فَتًى عِيشَ في معروفه بعد مَوْتِه ... كَمَا كَان بَعْدَ السَّيلِ مَجراه مَرْتَعَا[٨]
ولَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الجودُ وانْقَضَى ... وأَصْبَحَ عِرْنِينُ[٩] المكارِمِ أَجْدَعَا[١٠]

وقرأت عليه لبعض الشُّعراء:

مَاذَا أَحَالَ وَثِيرة بن سِماك ... مِن دمع بَاكِية عليك وَبَاك
ذَهَبَ الذي كانت مُعَلَّقَةً بِهِ ... حَدَقُ[١١] العُنَاةِ[١٢] وأنفس الهُلاَّكِ

---

(١) «أَلَمَّ بِهِ: نَزَلَ، كَلَّمَ والْتَمَّ» [القاموس المحيط: ١١٥٩].
(٢) «الغَادِيَةُ: السَّحَابَةُ تَنشأُ غُدْوَةً، أو مَطْرَةُ الغَدَاةِ» [نفسه، ص١٣١٧].
(٣) «الرَّبْعُ: المَوْضعُ يَرْتَبِعُون فيه في الرَّبيع، كالمَرْبَع» [نفسه، ص٧١٨].
(٤) «سَمُحَ، ككَرُمَ، سَمَاحاً وسَمَاحَةً وسُمُوحاً وسُمُوحَةً وسَمْحاً وسِمَاحاً، ككتاب: جَادَ، وكَرُمَ» [القاموس المحيط: ٢٢٥].
(٥) «ورَّاهُ تَوْرِيَةً: أخفَاهُ، كواراهُ» [نفسه، ص١٣٤٢].
(٦) «التَّرَعُ، محرّكة: الامْتِلاءُ، وتَرِعَ، كفَرِحَ، فهو تَرِعٌ» [نفسه، ص٧٠٦].
(٧) «تَصَدَّعَ: تَفَرَّق، كاصَّدَّعَ» [القاموس المحيط: ٧٣٦].
(٨) «المَرْتَعُ، كمَقْعَدٍ: مَوْضِعُ الرَّتْع» [نفسه، ص٧٢٠].
(٩) «العِرْنِينُ، بِالكسر: الأَنْفُ كُلُّهُ، أو مَا صَلُبَ مِنْ عَظْمِهِ» [القاموس المحيط: ١٢١٤].
(١٠) «الجَدْعُ: قَطعُ الأَنْفِ أو الأُذُن أو اليَدِ أو الشَّفَة» [نفسه، ص٧٠٨].
(١١) «الحَدَقَةُ، محرّكة: سواد العَين، كالحُنْدُوقَةِ والحِنْدِيقة، الجمع: حَدَقٌ وأَحْدَاقٌ وحِدَاق» [القاموس المحيط: ٨٧٢].
(١٢) «العَانِي: الأَسِيرُ» [نفسه، ص١٣١٦].

قال أبو علي: أحال: صَبَّ، يُقال: إنَّه ليُحيل الماء من البئر في الحوض أي: يَصُبُّ، وقال لَبيد:

يُحِيلون السِّجَالَ على السِّجَال

وقرأت عليه لمسلم بن الوليد:

قَبْرٌ بِحُلْوَانٍ أَسَرَّ ضَرِيحُهُ … خَطَراً تَقَاصَرُ(١) دُونَهُ الأَخْطَارُ
نُفِضَت بِك الأَحْلاَسُ(٢) نفضَ إقامَةٍ … واسْتَعْجَلَتْ نُزَّاعَهَا الأمصار
فاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوادي مُزْنَةٍ(٣) … أثْنَى عليها السَّهْلُ والأوعارُ(٤)
سلكت بِك العَرَبُ السَّبيل إلى العُلاَ … حتّى إذا سَبَق الرَّدَى(٥) بِك حَارُوا

[نفسه ص٢٦٢ ـ ٢٦٣]

* * *

فَتى لم يَمَلَّ النَّدى سَاعَة:

أنشدني أبو محمد عبدالله بن جعفر بن دَرَسْتَويه النَّحوي، قال: أنشدنا عبدالله بن جُوان صاحب الزيادي، ولم يسمّ قائلها، وأملاها علينا أبو سعيد السكري لأبي العتاهية في بعض إخوانه:

وقد كنت أغدو إلى قصره … فقد صرت أغدو إلى قَبْرِه
أخ طالما سَرَّني ذِكرُه … فقد صرت أَشْجَى(٦) لدى ذكره

(١) «قَصَرَ عن الأمرِ قُصُوراً، وأَقْصَرَ وقَصَّرَ وتقاصَرَ: انتهى» [القاموس المحيط: ٤٦٢].
(٢) «الحِلْسُ، بالكسر: كِسَاءٌ على ظَهر البَعِيرِ تَحت البَرْذَعَة، ويُبْسَط في البَيت تَحت حُرِّ الثِّيَابِ، ويُحرّكُ الجمع: أَحْلاَسٌ وحُلُوسٌ وحِلَسَةٌ» [نفسه، ص٥٣٨].
(٣) «المُزْنَةُ، بِالضَّمِّ: المَطْرَةُ» [القاموس المحيط: ١٢٣٤].
(٤) «الوَعْرُ: ضِدُّ السَّهْلِ، كالوَعِرِ والوَاعِرِ والوَعِيرِ والأَوْعَرِ» [نفسه، ص٤٩٢].
(٥) الرَّدَى: الهَلاكُ.
(٦) «شَجَاهُ: حَزَنَهُ، كأَشْجَاهُ فيهما» [القاموس المحيط: ١٢٩٨].

وكـنـت أرانـي غـنـيًّـا بِـه — عـن الـنّـاس لـو مُـدَّ فـي عُـمـره
وكـنـت إذا جِـئـت فـي حَـاجـة — فـأمـري يَـجـوز عـلـى أمـره
فـتـى لـم يَـمَـلَّ الـنَّـدَى سـاعـة — عـلـى عُـسـره كـان أو يُـسْـره
تَـظَـلُّ نـهـارَك فـي خَـيـره — وتـأمـن لـيـلـك مـن شَـرِّه
فـصـار عـلـيّ إلـى رَبِّـه — وكـان عـلـيّ فـتـى دَهْـرِه
أَتَـمَّ وأكْـمَـلَ مـا لـم يَـزَلْ — وأعـظـم مـا كَـان فـي قَـدره
أتـتـه الـمـنِـيَّـة مُـغـتـالـةً[1] — رُوَيْـداً تَـخَـلَّـلُ مِـن سِـتـره
فـلـم تُـغـن أجـنـاده حَـوْلَـه — ولا الـمُـزْمِـعُـون[2] عـلـى نَـصـره
وخَـلَّـى الـقُـصُـورَ الـتـي شـادَهَـا[3] — وحَـلَّ مـن الـقَـبـرِ فـي قَـعْـرِهِ[4]
وبُـدِّلَ بـالـفـرشِ بُـسْـطَ الـثَّـرَى — وطـيـب نَـدَى الأرضِ مـن عِـطْـرِهِ
وأصـبـح يُـهـدَى إلـى مَـنْـزِل — عـمـيـق تُـؤَنِّـقَ[5] فـي حَـفْـرِهِ
تُـغَـلَّـق بِـالـتُّـربِ أبـوابُـه — إلـى يَـوم يُـؤْذَنُ فـي حَـشْـرِهِ
أشَـدُّ الـجـمـاعـة وجـداً بِـهِ — أشَـدّ الـجـمـاعـة فـي طَـمْـرِه[6]
فَـلـسـت مُـشَـيِّـعـه غـازيـاً — أمـيـراً يَـسِـيـر إلـى ثَـغْـرِه[7]
ولا مُـتَـلَـقِّـيـه قـافِـلاً[8] — بِـقَـتْـل عَـدُوٍّ ولا أسـره
وتُـطـريـهِ[9] أيّـامُـنـا الـبـاقـيـات — لـديـنـا إذا نَـحـن لـم نُـطْـرِه

---

(١) «غَالَهُ: أهلكه، كاغْتَالَهُ» [القاموس المحيط: ١٠٤٠].
(٢) «أَزْمَعْتُ الأَمْرَ، وعليه: أجْمَعْتُ، أَو ثَبَتُّ عليه، كزَمَّعْتُ» [نفسه، ص٧٢٥].
(٣) «شَادَ الحَائِطَ يَشِيدُهُ: طَلاَهُ، بِالشِّيدِ، وهو: مَا طُلِيَ بِه حائِطٌ مِن جِصٍّ ونحوه» [القاموس المحيط: ٢٩٢].
(٤) «قَعْرُ كُلِّ شَيء: أَقْصَاهُ. الجمع: قُعُورٌ» [نفسه، ص٤٦٤].
(٥) أَنَّقَهُ: زَيَّنَهُ وأحكمه.
(٦) «الطَّمْرُ: الدَّفْنُ، والخَبْءُ» [القاموس المحيط: ٤٣١].
(٧) «الثَّغْرُ: ما يَلِي دَارَ الحَرْبِ، ومَوضعُ المخافَة من فُرُوج البُلدان» [القاموس المحيط: ٣٥٩].
(٨) راجعاً.
(٩) «أَطْرَاهُ: أحسنَ الثَّناءَ عَليه» [نفسه، ص١٣٠٦].

فلا يَبعَدَنَّ[١] أخِي ثاوِياً[٢] فَكُلٌّ سَيمضي على إثره

[نفسه ص٢٦٤ ـ ٢٦٥]

❋ ❋ ❋

◄ يُعَاتبني في الدِّين قَومي:

وقرأت على أبي بكر بن دُريد للمقنّع الكندي:

يُعَاتبني[٣] في الدَّينِ قَوْمِي وإنَّما ديُوني في أَشْيَاءَ تُكْسِبُهُم حَمْدَا

ألم يرَ قومي كيف أوسِر مَرَّة وأُعْسِرُ حتى تبلغ العسرة الجُهدا

فَمَا زادني الإقتار[٤] منهم تَقرُّباً ولا زادني فَضل الغِنى منهم بُعْدَا

أَسُدُّ به ما قد أَخَلُّوا وضَيَّعُوا ثُغور حُقوق ما أطاقوا لها سَدًّا[٥]

وفي جَفْنَةٍ[٦] ما يُغلق الباب دُونها مُكلَّلَةٍ لحماً مُدفقةٍ[٧] ثَرْدَا[٨]

وفي فَرَسٍ نَهْدٍ[٩] عَتيقٍ[١٠] جَعلته حِجَاباً لِبيتِي ثمّ أخدمته عَبدا

---

(١) «البُعْدُ: الموتُ، وفعلهما: ككَرُمَ وفَرِحَ، بُعْداً وبَعَداً، فَهو بَعيد وبَاعِدٌ وبُعَادٌ» [القاموس المحيط: ٢٦٨].

(٢) «ثَوَى المَكَانَ، وبِهِ يَثْوِي ثِوَاءً وثُوِيًا، بِالضَّمِّ، وأَثْوَى بِهِ: أطالَ الإقامَةَ بِهِ، أو نَزَل» [نفسه، ص١٢٦٨].

(٣) «العَتْبُ: المَلامَةُ، كالعِتَابِ والمُعَاتَبة والعِتِّبَى» [القاموس المحيط: ١١١].

(٤) «القَتْرُ والتَّقْتِيرُ: الرُّمْقَةُ منَ العَيْشِ. قَتَرَ يَقْتُرُ ويَقْتِرُ قَتْراً وقُتُوراً» [القاموس المحيط: ٤٥٩].

(٥) «سَدَّ الثُلْمَةَ، كمَدَّ: أصلحها، ووثَّقها» [نفسه، ص٢٨٧].

(٦) «الجَفْنَةُ: القَصْعَةُ الجمع: جِفَانٌ وجَفَنَات» [القاموس المحيط: ١١٨٦].

(٧) «تَدَفَّقَ: تَصَبَّبَ. دفَقَهُ يَدْفُقُه ويَدْفِقُهُ: صَبَّهُ» [نفسه، ص٨٨٣].

(٨) «ثَرَدَ الخُبزَ: فَتَّهُ، كاثَّرَدَهُ، واثْرَدَهُ، بِالثَّاءِ والتَّاءِ، على افتعله» [نفسه، ص٢٧٠].

(٩) «النَّهْدُ: الفَرَسُ الحَسَنُ الجَمِيلُ الجَسِيمُ اللَّحِيمُ المُشرفُ، وقد نَهُدَ، ككَرُمَ، نُهودة» [القاموس المحيط: ٣٢٣].

(١٠) «العَتِيقُ: الخِيارُ من كُلِّ شيء» [نفسه، ص٩٠٦].

وإنّ الذي بَيْنِي وَبَيْنَ بني أبِي ... وبين بَنِي عَمِّي لمُخْتَلِفٌ جِدًّا
أراهم إلى نصري بِطاءً[١] وإن هُمُ ... دعوني إلى نَصر أتيتهم شَدًّا
فإن يَأْكُلُوا لحمي وَفَرْتُ[٢] لُحُومَهم ... وإن يَهْدِمُوا مجدي بَنيتُ لهم مَجدا
وإنْ ضَيَّعُوا غَيْبي حَفظت غُيُوبَهم ... وإن هُمْ هَوُوا غَيِّي[٣] هَوِيت لهم رُشْدَا
وإن زَجَرُوا[٤] طَيراً بِنَحْس تَمُرُّ بي ... زَجَرْت لهم طَيراً تَمُرُّ بهم سَعْدَا
ولا أحملُ الحقد القَديم عَليهمُ ... وليس رئيس القوم مَن يَحمل الحِقدا
لهم جُلُّ مَالِي إنْ تَتابع لِي غِنَى ... وإنْ قَلَّ مَالِي لم أكَلِّفهمُ رِفْدَا
وإنِّي لعبدُ الضَّيْفِ ما دام نَازِلاً ... ومَا شِيمَةٌ لي غَيرُها تُشبه العَبْدَا

قال أبو علي: كان أبو بكر بن دُريد يقول: كسبتُ المالَ وكسبته غيري، ولا يجيز أكسبته. وغيره يقول: كسبت المال وأكسبته غيري. وهما عندي جَائزان كسبته وأكسبته.

[نفسه ص٢٦٧]

❊ ❊ ❊

البكاء على جَواد:

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر، قال: حدَّثنا أبو حاتم وعبدالرّحمٰن عن الأصمعي، قال: قدم مُتَمِّم بن نُويرة العراق فأقبل لا يرى قَبراً إلاَّ بَكَى

(١) «بَطُؤَ، ككَرُمَ، بُطْئاً، بِالضَّمِّ، وبِطَاءً، ككتابٍ، وأَبطَأ: ضدُّ أسرعَ» [القاموس المحيط: ٣٤].
(٢) «الوَفْرُ: الغِنَى، ومنِ المال والمَتَاعِ: الكثيرُ الواسِعُ، أو العامُّ مِن كُلِّ شيء الجمع: وُفُورٌ، وقد وَفَرَ المالُ، ككَرُمَ ووعَدَ» [نفسه، ص٤٩٣].
(٣) «غَوَى يَغْوِي غَيًّا، وغَوِيَ غَوَايَةً، ولا يُكْسَرُ، فهو غَاوٍ وغَوِيٌّ وغَيَّانُ: ضَلَّ» [القاموس المحيط: ١٣١٩].
(٤) «زَجَرَ الطَّيْرَ: تَفَاءَلَ بِهِ، فَتَطَيَّرَ، فَنَهَرَهُ، كازْدَجَرَه» [نفسه، ص٣٩٩].

عليه، فقيل له: يموت أخوك بِالمَلا[١] وتبكي أنت على قبر العراق! فَقال:

لقد لامني عند القُبور على البُكَا ... رَفيقي لِتَذْرَافِ[٢] الدُّموع السَّوَافِكِ[٣]
أمن أجل قَبر بالمَلاَ أنت نَائِحٌ ... على كُلِّ قَبر أو على كُلِّ هَالِكِ

ويروى هٰذا البيت:

فَقال أتبكي كُلّ قَبْرٍ رأيته ... لِقبرٍ ثَوَى بين اللِّوَى[٤] والدَّكَادِك[٥]
فقلت له إنَّ الشَّجَا يَبعث الشَّجَا ... فَدعني فهذا كُلُّهُ قبر مَالِكِ
ألم تَرَهُ فينا يُقَسِّم مَالَهُ ... وتأوي إليه مُرْمِلاَتُ[٦] الضَّرَائِكِ[٧]

[نفسه ص٢٧١]

❊ ❊ ❊

➢ جواد فَما يُبقي من المال بَاقيا:

قال أبو علي رحمه الله: قرأت على أبي عبدالله نفطويه ـ هٰذه الأبيات في قصيدة للنّابغة الجَعديّ وقت قِراءتي عليه شعر النَّابغة:

---

(١) «المَلاَ: الصَّحراءُ» [القاموس المحيط: ١٣٣٥].
(٢) «ذَرَفَ الدَّمْعُ يَذْرِفُ ذَرْفاً وذَرَفَاناً وذُرُوفاً وذَرِيفاً وتَذْرَافاً: سَالَ» [القاموس المحيط: ٨١١].
(٣) «سَفَكَ الدَّمَ يَسْفِكُهُ، فَهو مَسْفُوكٌ وسَفِيكٌ: صَبَّهُ، فانْسَفَكَ» [نفسه، ص٩٤٢].
(٤) «اللِّوَى، كإِلَى: ما الْتَوَى مِنَ الرَّمْلِ، أو مُسْتَرَقُّهُ. الجمع: أَلْوَاءٌ وأَلْوِيَةٌ» [القاموس المحيط: ١٣٣٢].
(٥) «الدَّكْدَاكُ من الرَّمْلِ: مَا تَكَبَّسَ واسْتَوَى، أو مَا الْتَبَدَ منه بِالأرض، أو هِي أَرض فيها غِلَظٌ. الجمع: دَكَادِكُ ودَكَادِيك» [نفسه، ص٩٣٩].
(٦) «أَرْمَلُوا: نَفِذَ زَادُهم، أَرْمَلُوه» [القاموس المحيط: ١٠٠٨].
(٧) «الضَّرِيكُ، كأَمِير: الزَّمِنُ، والضَّرِيرُ، والفقِيرُ السَّيِّئ الحال، الجمع: ضَرَائِك وضُرَكاء» [نفسه، ص٩٤٧].

ألم تعلمي أنّي رُزِئتُ[(١)] محاربا ... فما لك منه اليوم شَيء ولا لِيَا
ومِن قَبلِهِ مَا قَد رُزئتُ بِوَحْوَحٍ ... وكان ابن أُمّي والخَليل المُصَافِيا
فَتى كملت خيراته غير أنّه ... جَواد فَما يُبقي مِن المال بَاقيا
فتى تَمّ فِيه مَا يسُرُّ صَدِيقه ... على أنّ فِيه مَا يَسُوءُ الأعاديا

[نفسه ص٢٧٢]

❋ ❋ ❋

➤ سريع إلى الأضياف في ليلة الطَّوَى:

روى ابن الأنباري:

لنا جَانِبٌ مِنه يَلِين وجَانِبٌ ... ثَقِيل على الأعداء مَرْكَبُه صَعبُ
يُخَبِّرُني عَمَّا سألتُ بِهَيِّنٍ ... من القَول لا جَافِي[(٢)] الكَلامِ ولا لَغْبُ[(٣)]
ولا يبتغي أَمْناً وصاحب رحَله ... بخوف إذا مَا ضَمَّ صاحبه الجَنب
سريع إلى الأَضياف في لَيلة الطَّوَى[(٤)] ... إذا اجتمع الشَّفَّانُ والبَلد الجَدْبُ[(٥)]
وتأخذه عند المَكَارِم هِزَّةٌ[(٦)] ... كما اهتَزَّ تحت البَارِحِ الفَنَنُ[(٧)] الرَّطْبُ

[نفسه ص٢٧٣]

❋ ❋ ❋

(١) «رَزَأَهُ رُزْءًا ومَرْزِئَةً: أصابَ منه خَيراً. والشيء: نَقَصه» [القاموس المحيط: ٤١].
(٢) «رَجُلٌ جَافِي الخِلْقَةِ والخُلُقِ: كَزٌّ غَلِيظٌ» [القاموس المحيط: ١٢٧٠].
(٣) «لَغب لَغْباً ولَغُوباً ولُغُوباً، كمنَعَ وسَمِعَ وكَرُمَ، وهٰذه عن اللَّبْلِيّ: أَعْيَا أَشَدَّ الإعْيَاء» [نفسه، ص١٣٤].
(٤) الجُوع.
(٥) «الجَدْبُ: المَحْلُ. يَجْدُبُهُ ويَجْدِبُه» [القاموس المحيط: ٦٦].
(٦) «الهِزَّةُ، بالكسر: النَّشَاطُ، والارتياحُ» [القاموس المحيط: ٥٢٩].
(٧) «الفَنَنُ، محرّكة: الغُصْنُ. الجمع: أَفْنَانٌ. جمعُ الجمع: أَفَانِينُ» [نفسه، ص١٢٢٢].

➢ عليَّ الجمال وعليك الحِبال:

قال أبو علي رحمه الله: قرأت على أبي بكر بن دُريد: وقال سالم بن قُحفان العنبري ـ وكان صهره أخو امرأته أتاه فأعطاه بَعيراً مِن إبله وقال لامرأته: هاتي حبلاً يقرُن به ما أعطيناه إلى بَعيره، ثُمّ أعطاه آخر وقال: هاتي حبلاً آخر، ثمّ أعطاه ثالثاً وقال: هاتِي حَبلاً، فَقالت: ما بقي عندي حَبْلٌ، فقال لها: عليّ الجمال وعليك الحبال، ثمّ قال:

ولا تَعْذُلينِي[1] في العطاء ويَسِّرِي ... لـكـل بَـعـيـرِ جَـاء طـالـبُـه حَـبْـلاَ

وقبله:

لـقـد بَـكـرت أُمّ الـولـيـدِ تَـلـومُـنـي ... ولم أجْتَرِمْ[2] جُرماً فقلت لها مَهْلاَ

فـإنّـيَ لا تـبـكِـي عَـلَـيَّ إفَـالُـهَـا[3] ... إذا شَبِعَتْ مِن رَوْضِ أوطانها بَقْلاَ

فـلـم أرَ مـثـل الإبـل مـالاً لـمُـقْـتَـنٍ[4] ... ولا مِـثـل أيّـام الـحُـقـوق لـهـا سُـبْـلاَ

وزادني بعض أصحابنا، عن أبي الحسن الأخفش:

إذا سـمـعـت آذانُـهـا صـوتَ سَـائِـلٍ ... أصاخَتْ[5] فلم تأخُذ سِلاحاً ولا نَبْلا[6]

قال أبو علي: السِّلاح هاهنا جمالها، يقول: سِمَنُها يمنع صاحبها مِنْ أَنْ يَسْخُو بِها، ولكنَّه يُعطيها على كُلِّ حال لا يمنعه ذٰلك.

[نفسه ص٢٧٤]

---

(١) العَذْلُ: المَلامة.

(٢) «جَرَمَ فُلاَنٌ: أذنبَ، كأَجْرَمَ واجْتَرَمَ، فهو مُجْرِمٌ وجَرِيمٌ» [القاموس المحيط: ١٠٨٧].

(٣) «الأفِيلُ، كأمِيرٍ: ابنُ المَخَاضِ فَما فَوْقَه، والفَصيلُ، الجمع: إفالٌ، كجِمَالٍ، وأَفَائِل» [القاموس المحيط: ٩٦١].

(٤) «قَنَوْتُهُ قَنواً وقُنْوَاناً وقُنُوًّا: كَسَبْتُه، كاقتنيته» [نفسه، ص١٣٢٦].

(٥) «أصَاخَ له: اسْتَمَع» [القاموس المحيط: ٢٥٥].

(٦) «النَّبْلُ: السِّهَامُ بِلا واحِدٍ، أو نَبْلَةٌ، الجمع: أَنْبَالٌ ونِبَالٌ ونُبْلاَنٌ» [نفسه، ص١٠٦٠].

➢ سعي عمر بن أبي ربيعة في زواج حبيبين:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو عبدالله، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، عن الزّبير: أنّ عمر بن أبي رَبيعة نظر إلى فتى من قُريش يُكلّم جارية في الطّواف، فعاب ذٰلك عليه، فذكر أنّها ابنة عمِّه، فقال: ذٰلك أشنع لأمرك، فَقال: إنّي أخطبها إلى عَمّي، وإنّه زعم أنّه لا يزوّجني حتى أصدقها أربعمائة دِينار وأنا غير قادر على ذٰلك، وذكر مِن حاله وحُبّه لها وعشقه، فأتى عمر عمَّه فَكلّمه في أَمره، فقال: إنّه مُمْلِقٌ[1] وليس عندي ما أحتمل صلاح أمره، فَقال عمر: وكم الذي تريد منه؟ فقال: أربعمائة دينار، قال: فهي عليّ فَزَوِّجْهُ منها، فَفعل ذٰلك. وكان عمر حين أَسَنَّ حلف ألاّ يقول شعراً إلاّ أعتق رقبة، فانصرف إلى منزله يُحدِّث نفسه، فجعلت جاريته تُكلِّمه ولا يجيبها، فقالت: إنّ لك لشأناً، وأراك تريد أن تقول شعراً، فقال:

تـقـول وَلِـيـدَتِـي[2] لـمَّـا رَأَتـنِـي ... طَرِبْتُ[3] وكنت قد أقصرتُ[4] حِينا
أراك الـيـوم قـد أَحْـدَثْـتَ أَمْـراً ... وهَـاجَ[5] لـك الـهَـوَى دَاءً دَفِـيـنَـا[6]
وكُـنـتَ زَعـمـت أنَّـك ذُو عَـزَاءٍ[7] ... إذا مَـا شـئـت فَـارقـتَ الـقَـرِيـنـا

---

(١) «أَمْلَقَ: افْتَقَرَ» [القاموس المحيط: ٩٢٥].

(٢) «الوَلِيدُ: الصَّبِيُّ والعَبْدُ، وأُنْثاهما بِهاءٍ. الجمع: الولائِدُ والوِلْدَانُ» [القاموس المحيط: ٣٢٧].

(٣) «الطَّرَبُ، محركة: الفَرَحُ» [نفسه، ص١٠٩].

(٤) «قصَرَ عن الأمرِ قُصُوراً، وأَقْصَرَ وقَصَّرَ وتقاصر: انتهى» [نفسه، ص٤٦٢].

(٥) «هَاجَ يَهِيجُ هَيْجاً وهَيَجَاناً وهِياجاً؛ بِالكسرِ: ثَارَ، كاهْتَاجَ وتَهَيّج» [القاموس المحيط: ٢١١].

(٦) مَدْفُوناً.

(٧) «العَزَاءُ: الصَّبْرُ، أَو حُسْنُه، كالتَّعْزُوَة» [القاموس المحيط: ١٣١١].

لعمرُك هل رَأيتَ لها سَمِيًّا[١] فشَاقَكَ[٢] أَمْ رأيتَ لها خَدِينَا[٣]

ويُروى:

بِرَبِّكَ هَلْ أتاكَ لها رَسُولٌ فَشَاقَكَ ....
فقلتُ شَكَا إِليَّ أَخٌ مُحِبٌّ كبعضِ زَمَانِنا إذْ تَغْلَمِينا
فقصَّ عليّ مَا يلقى بِهندٍ فذكَّرَ بعض مَا كُنّا نَسِينا
وذُو الشَّوقِ القَديم وإن تَعزَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلقى العَاشِقينا
فكم مِن خُلَّةٍ[٤] أعرضت عنها لغيرِ قِلًى[٥] وكُنت بها ضَنينا[٦]
أردت بِعَادَها فصددتُ عنها وإنْ جُنَّ الفُؤادُ بِهَا جُنُونا

ثمّ دَعَا بتسعة من رقيقه فأعتقهم.

[نفسه ص٢٧٨]

❋ ❋ ❋

➢ موعظة بليغة للأحنف بن قَيس:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو بكر ـ رحمه الله تعالى ـ، قال:

---

(١) السَّمِيُّ: من اسْمُهُ اسْمُكَ.
(٢) «الشَّوْقُ: نِزاعُ النَّفس، وحركةُ الهَوَى، الجمع: أَشْوَاق. وقد شاقَنِي حُبُّها: هَاجَنِي، كَشَوَّقني» [القاموس المحيط: ٨٩٩].
(٣) «الخِدْنُ، بِالكسرِ وكَأمِيرِ: الصَّاحِبُ، ومَنْ يُخَادِنك في كُلِّ أمرِ ظَاهر وبَاطِن» [نفسه، ص١١٩٣].
(٤) «الخُلَّةُ، بِالضَّمِّ: الصَّدَاقة المختصَّةُ لا خَللَ فِيها، تَكون في عَفَافٍ، وفي دَعَارة، الجمع: خِلال» [القاموس المحيط: ٩٩٤].
(٥) «قَلاَهُ، كَرمَاهُ ورَضِيَهُ، قِلى وقِلاَءً ومَقْلِيَةً: أبغضه، وكرِهَهُ غايَةَ الكراهة فتركه» [نفسه، ص١٣٢٦].
(٦) بَخِيلاً.

أخبرنا أبو عثمان، عن التَّوزيّ، قال: أخبرني رجل مِن أهل البصرة، عن رجل مِن بني تميم، قال: حضرت مجلس الأحنف بن قيس وعنده قوم مجتمعون في أمر لهم، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنَّ الكَرَم مَنْع الحُرَم، ما أقرب النّقمة مِن أهل البغي، لا خير في لذَّة تُعقب نَدماً، لَنْ يَهْلِكَ مَن قَصد، ولن يفتقر من زَهد، رُبَّ هَزْلٍ قد عَادَ جِدًّا، . . . ، دَعُوا المِزَاح فإنَّه يُوَرِّثُ الضَّغائن[1]، وخير القَول مَا صَدَّقه الفعل، احْتَمِلُوا لمن أدلَّ عليكم، واقبلوا عُذر من اعتذر إليكم، أَطِعْ أخاكَ وإن عَصَاك، وَصِلْهُ وإنْ جَفاكَ، أَنْصِفْ[2] مِن نفسك قبل أَن يُنْتَصف منك، وإيّاكم ومُشاورة النِّساء، واعلم أنّ كُفر النِّعمة لُؤم، وصحبة الجاهل شُؤم، ومن الكرم الوفاء بِالذِّمَم[3]، ما أَقبح القطيعة بعد الصِّلة، والجفاء بعد اللُّطف، والعداوةَ بعد الوُدِّ، لَا تَكونَنَّ على الإساءة أقوى مِنك على الإحسان، ولا إلى البُخل أسرع منك إلى البَذل. واعلم أَنّ لَكَ من دُنياك ما أصلحت بِه مَثْوَاك[4]، فأنفق في حَقٍّ، ولا تَكونَنّ خازناً لِغيرك. وإذا كان الغَدرُ في النّاسِ مَوْجُوداً، فالثِّقة بِكلِّ أَحد عجز، اعرف الحقّ لمن عَرَفه لك. واعلم أنّ قطيعة الجَاهل، تَعدل صلة العاقل. قال: فما رأيت كلاماً أبلغ منه، فقمت وقد حفظته.

[نفسه ص٢٨٨]

❋ ❋ ❋

➢ نَصِيحة بليغة لعبدالملك بن مروان لبني أُميّة:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو بكر ـ رحمه الله ـ قال: حدَّثنا أبو عثمان، عن التَّوزيّ، عن أبي عُبيدة، قال: قال عبدالملك بن مروان

(١) «الضِّغْنُ: الحِقْدُ، كالضَّغِينَة، وقَد ضَغِنَ، كفَرِح» [القاموس المحيط: ١٢١١].

(٢) «الإنْصَافُ: العَدْلُ، والاسمُ: النَّصَفُ والنَّصَفَةُ، محرّكتين» [القاموس المحيط: ٨٥٦].

(٣) «الذِّمَّةُ، بِالكسرِ: العهدُ، والكفالَةُ، كالذَّمَامَة» [نفسه، ص١١١٠].

(٤) «المَثْوَى: المنزلُ. الجمع: المثاوِي» [القاموس المحيط: ١٢٦٨].

ـ رحمه الله ـ: يا بني أُميّة، ابذُلوا نَدَاكم[1]، وكُفُّوا أذاكُم، واعفُوا إذا قَدَرْتُم، ولا تبخلوا إذا سُئِلْتُم، فإنّ خير المال ما أفاد حمداً أو نفى ذَمًّا، ولا يقولنّ أحدكم ابداً بِمن تَعُولُ، فإنَّما النَّاس عِيال الله قد تَكفَّل الله بأرزاقهم، فمن وسَّع أخلف الله عليه، ومَنْ ضَيَّق ضَيَّق الله عليه.

[نفسه ص٢٩٦]

❋ ❋ ❋

➢ من كان جَواداً لم يعدم الشَّرف:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو بكر قال: حدّثنا أبو حاتم، عن الأصمعي، قال: قال بعض الحكماء: مَن كانت عنده سبع خصال لم يعدم سَبْعاً: مَنْ كان جَواداً لم يعدم الشَّرف، ومن كان ذَا وفاء لم يعدم المِقَة[2]، ومَن كان صدوقاً لم يعدم القَبول، ومَن كان شَكوراً لم يعدم الزيادة، ومَن كان ذا رعاية للحقُوق لم يعدم السُّؤدد، ومَن كان مُنصفاً لم يعدم العافية، ومَنْ كان متواضعاً لم يعدم الكرامة.

[نفسه ص٣٠٣]

❋ ❋ ❋

➢ أفضل العقل والعلم والمروءة والمال:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو بكر قال: حدّثنا السكن بن سعيد، عن العَبَّاس بن هشام، عن أبيه، قال: كان قُسُّ بن ساعدة يَفِد على قيصر ويَزُوره فقال له قيصر يَوماً: ما أفضل العقل؟ قال: معرفة المرء بنفسه،

---

(١) جُودكم وعطاءكم.

(٢) المَحبّة.

قال: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه، قال: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرَّجل ماءَ وجهه، قال: فما أفضل المال؟ قال: ما قُضِي به الحُقوق.

[نفسه ص٣٠٣]

❊ ❊ ❊

➤ شعر في اللِّئام:

قال أبو علي رحمه الله: أنشدنا أبو بكر بن الأنباري قال: أنشدنا أبو العبّاس:

إذا غابَ عنكم أسود العَين كُنتمُ ... كِراماً وأنتم ما أقام ألائِم
تَحَدَّث رُكْبَانُ الحَجيج بِلُؤمكم ... وتقري[1] بِهِ الضَّيف اللِّقاح العَوَاتم

أسوَدُ العين: جبل، يقول: لا تكونون كراماً حتى يغيب هٰذا الجبل، وهو لا يغيب أبداً.

وقوله: وتقري به الضَّيف اللّقاح العَواتم، يعني: أنّ أهل الأندية يتشاغلون بذكر لؤمكم عن حلب لقاحهم[2] حتى يُمْسُوا، فإذا طرقهم الضَّيف صادف الألبان بِحالها لم تُحلب فنال حاجته، فكأنّ لؤمكم قِرَى الأضياف والاشتغال بِوصفه.

[نفسه ص٣١٢]

❊ ❊ ❊

---

(١) «قَرَى الضَّيْفَ قِرًى، بِالكسرِ والقَصرِ والفتح والمَدّ: أضافَه، كاقْتَرَاه» [القاموس المحيط: ١٣٢٤].

(٢) «اللِّقَاحُ، ككتاب: الإبِلُ. واللَّقُوحُ، كصَبُورٍ: واحدتُها، والنَّاقةُ الحَلُوبُ، أو التِي نُتِجَتْ: لَقُوحٌ إلى شهرين أو ثَلاثة، ثُمّ هِيَ لَبُونٌ» [القاموس المحيط: ٢٣٩].

➢ قضاء الحوائج:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو بكر قال: أخبرنا عبدالرحمٰن، عن عمّه، قال: أعطى رجل أعرابيًا فأكثرَ له، فقال له الأعرابي: إن كُنت جَاوزت قَدري عند نفسي فقد بلغت أملي فيك.

وحدّثنا قال: أخبرنا عبدالرحمٰن، عن عَمّه، قال: سأل رجل رَجلاً حاجة فقضاها، فقال: وَضعتني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك.

وحدّثنا أبو بكر قال: حدّثني الرّياشي قال: حدّثنا الأصمعي، قال: سمعت أعرابيًا يمدح رجلاً فقال: كان والله سَاعِياً في طلب المكارم، غير ضَالٍّ في معارج طرقها، ولا متشاغل بغيرها عنها.

وحدّثنا أبو بكر قال: حدَّثني الرياشي، عن الأصمعي، قال: سمعت أعرابيًا يقول: شيَّعنا الحَيَّ وفيهم أدوية السَّقام فَقَرأن بِالحَدَقِ[١] السَّلام، وخَرِسَت[٢] الألسن عن الكلام.

[نفسه ص٣١٢]

❊ ❊ ❊

➢ خبر بعض الأعراب في سُؤال بعض الملوك:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو عبدالله قال: حدّثنا أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي قال: أتى أعرابيّ باب بعض الملوك فأقام بِه حَولاً

---

(١) «الحَدَقَةُ، محرّكة: سَوَادُ العين، كالحُنْدُوقَةِ والحِنْدِيقَةِ، الجمع: حَدَقٌ، وأَحْدَاقٌ وحِدَاقٌ» [القاموس المحيط: ٨٧٢].

(٢) «خَرِسَ: صَارَ أَخْرَسَ، بَيِّنَ الخَرَسِ مِن خُرْسٍ وخُرْسَانٍ، أي: مُنْعَقِدَ اللِّسانِ عن الكلام» [نفسه، ص٥٤٠].

ثمّ كتب إليه: الأمل والعدم أقدماني عليك. وفي السطر الثاني: الإقْلَال[١] لا صبر معه. وفي الثَّالث: الانصراف بِلا فائدة شماتة الأعداء. وفي السَّطر الرَّابع: إمّا نَعَمٌ سَرِيحٌ[٢]، وإمَّا يَأسٌ مُرِيح.

[نفسه ص٣٣٣]

❋ ❋ ❋

➢ دعاء أعرابي في الفقر والمعافاة والبطن والفَرَج:

وَقال أبو علي رحمه الله: حَدّثنا أبو بكر بن دُريد رحمه الله قال: أخبرنا عبدالرَّحمٰن، عن عَمِّه، قال: سمعت أعرابيًّا يدعو لرجل فقال: جَنَّبَكَ الله الأَمَرَّين، وكفاك شرَّ الأجوفين، وأذاقَك البردين.

قال أبو علي: الأَمَرّانِ: الفقر والعُري. والأَجوفانِ: البَطن والفَرج. والبَردان: بَردُ العَينِ، وبرد العافية.

[نفسه ص٣٣٣]

❋ ❋ ❋

➢ خصلتان من الكَرم:

وحدَّثنا قال: أخبرنا عبدالرَّحمٰن، عن عَمِّه، قال: سمعت أعرابيًّا يقول: خَصلتان من الكَرم: إنصاف النّاس من نفسك، ومواساة الإخوان.

[نفسه ص٣٣٣]

❋ ❋ ❋

(١) «الإقْلَالُ: قِلَّةُ الجِدَة» [القاموس المحيط: ١٠٤٩].

(٢) بِلا مَطْلٍ.

➤ يطعم ما هَبَّت الصَّبا:

كان لبيد بن ربيعة جَواداً شَريفاً في الجَاهلية والإسلام، وكان آلى[١] في الجاهلية أن يطعم ما هبّت الصَّبَا[٢].

ثُمّ أدام ذٰلك في إسلامه، وكان له جَفنتان يَغدو بهما ويَرُوح في كُلّ يَوم على مسجد قومه فيطعمهم، ونزل لبيد الكوفة، وأميرها الوليد بن عقبة، فبينا هو يخطب النّاس إذ هبَّت الصَّبا، فقال الوليد في خطبته على المنبر: قد علمتم حال أخيكم أبي عقيل، وما جعل على نفسه أن يطعم ما هبَّتِ الصَّبَا، وهذا يوم مِن أيّامه، وقَد هَبَّت رِيحها، فأعينوه، وأَنا أَوّل من فَعَل.

ثُمّ انصرف الوليد، فبعث إليه بِمائة من الجُزُر[٣] وبهذه الأبيات:

أرى الجَزَّارَ يَشْحَذُ[٤] شَفْرَتَيْهِ ... إذَا هَبَّت رِيَاحُ أَبِي عَقِيلِ
أَشَمُّ[٥] الأَنْفِ أَصْيَدُ عامِرِيٌّ ... طوِيل البَاع[٦] كالسَّيفِ الصَّقِيلِ[٧]
وفي ابن الجَعْفَرِيِّ بِما نَوَاه ... على العِلاَّتِ[٨] والمالِ القَلِيلِ
بِنَحْرِ الكُومِ[٩] إذ سحبت إليه ... ذُيول صَباً تَجَاذب بِالأَصِيلِ

---

(١) «آلَى وائتَلَى وتألّى: أقْسَم» [القاموس المحيط: ١٢٦٠].

(٢) «الصَّبَا: رِيحٌ مَهَبُّها مِن مَطلع الثُّرَيَّا إلى بنَات نَعْشٍ. وتثنّى صَبَوانِ وصَبَيَانِ. الجمع: صَبَوَاتٌ وأَصْبَاءٌ» [نفسه، ص١٣٠٢].

(٣) «الجَزُورُ: البَعيرُ، أَوْ خَاصٌ بِالنَّاقةِ المَجْزُورَة، الجمع: جَزَائِرُ وجُزُرٌ وجُزُرَاتٌ. ومَا يُذْبَحُ من الشَّاءِ، واحدتها: جَزْرَةٌ» [القاموس المحيط: ٣٦٤].

(٤) يَصْقَلُ.

(٥) «الشَّمَمُ، محرّكة: ارتفاع قصبة الأنف، وحُسْنُهَا، واستواء أعلاها... فهو أَشَمُّ» [القاموس المحيط: ١١٢٧].

(٦) «البَاعُ: قَدرُ مَدِّ اليدينِ، كالبَوْعِ، ويُضَمّ، الجمع: أبواعٌ» [نفسه، ص٧٠٥].

(٧) «صَقَلَهُ: جَلاَهُ، فهو مَصْقُولٌ وصَقِيلٌ، والاسمُ: ككتابٍ، وهو صَاقِلٌ، الجمع: ككَتبة» [نفسه، ص١٠٢٢].

(٨) «قولهم: على عِلاَّتِهِ، أي: على كُلِّ حال» [القاموس المحيط: ١٠٣٥].

(٩) «الكَوْمَاءُ: النَّاقة العَظِيمةُ السَّنام، وقَدْ كَوِمَتْ، كفَرِحَ» [نفسه، ص١١٥٧].

فلمّا وصلت الهدية إلى لبيد شُكره، وقال: إنِّي تركت الشِّعر منذ قرأت القُرآن: ثُمّ قال لابنته: أجيبيه، فلعمري لقد عشت دهراً وما أعْيَا بجواب[1] شاعر، فقالت:

إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ أبِي عَقِيلِ ... دعونا عند هبَّتها الوَلِيدَا
أَشَمَّ الأنفِ أَصْيَدَ عَبْشَمِياً[2] ... أعانَ على مروءَتِهِ لَبِيدا
بِأمثالِ الهِضَابِ كأنَّ رَكبا ... عليها مِن بَني حَامٍ قُعُودا
أَبَا وهبٍ جَزَاكَ الله خَيْراً ... نَحرناها وأطعمنا الوُفُودا
فَعُد إنَّ الكريمَ له مَعَادٌ ... وظَنِّي بابن أروى أَنْ يَعُودَا

فقال لَبِيد: أجبت وأحسنت، لولا أنَّك سألت في شعرك!

قالت: إنّه أمير، وليس بِسُوقه، ولا بأس بِسؤاله، ولو كان غَيره ما سألناه!

قال: أجل! إنّه على ما ذكرت، وأنت يا بنية في هٰذا أشعر.

[«مكارِمُ العرب» حسن مغنية ص٢٣ ـ ٢٦]

❋ ❋ ❋

➢ محرابُ الأجَاويد:

كان لمعن بن زائدة شاعر يغشى مجلسه في كُلِّ يَوم، فانقطع عنه أيَّاماً، فلمّا دخل عليه قال: ما أبطأك؟

قال: وُلِد ليَ مولودا!

قال: فَما سَمَّيته؟

---

(١) «عَيِيَ في المنطق، كرَضِيَ، عِيًا، بالكسرِ: حَصِرَ» [القاموس المحيط: ١٣١٦].
(٢) نسبة إلى عبد شمس.

قال:

سَمَّيته مَغناً بِمَعنٍ ثُمّ قُلت له: هٰذا سَمِيُّ عَقِيدِ[١] المجيدِ والجُودِ
سَمَا بِجُودك النّاس كلّهم فَصار جُودك محراب الأَجَاويد

قال: يا غُلام، أعطه ألف دِينار، وقُل بَيتاً آخر، فَقال:

أنتَ الجَوَاد ومنك الجُود أَوّلَه فَما فقدت فَما جُودٌ بِمَوجُودِ

قال: يا غُلام، أعطه ألف دِينار وقُل بَيتاً آخر، فَقال:

من نُور وَجهك تضحى الأرض مُشْرِقَةً ومِن بنَانِكَ يَجري الماء في العُودِ

قال: يا غُلام، أعطه ألف دِينار، وقل بيتاً آخر.

فَقال الغُلام، لا تَقُل شيئاً بعد ذٰلك، والله لم يَبق في بيت المال إلاّ مَا أخذت، ثمّ انصرف!

[نفسه ص٧٣ ـ ٧٤]

* * *

≺ سماحة المَنصُور:

قال أحمد بن إسماعيل بن علي: كان أبي ومشايخ أهلي يجلسون مع أبي جَعفر المنصور، وكان أحداثنا يَجلسون دون ذٰلك. وكان يتفقّد من أُمورنا، مَا كان يتفقّده مِن أمور ولده، حتّى يستقرئ[٢] أحدنا، ويسأله مَا بلغ من القرن، وكُنّا نَصِل الغَداة والعَشِيّ فنجلس في مجلسه، حتى يخرج إلينا.

(١) مُعاقد ومُحَالف.

(٢) يتَتبّعُ.

وإنَّا صِرنا في مَجلسه ذات يوم كعادتنا، فجلسنا ننتظر خروجه إذ أَفاضَ أبي وعمومتي في استبطائه واستئثاره عليهم، فأطنبوا[١] في ذٰلك، وكَان الموكّل بالباب ـ سليم الأسود ـ يرفع السِّتر إذا جَاءَ، فحانت من سليم غَفلة، وجاء أبو جعفر وهو يتسمّع عليهم، ففهم ما هم فِيه، ووثب سليم ليرفع السِّتر، فأمسك بِيده ومنعه من رفعه حتى استوعب سمعه جميع مَا كانُوا فِيه.

فلمّا انقضى كلامهم أمر برفع السِّتر ودخَل فقامُوا له كنَحو مَا كانوا يَفعلون، فقال: ما هٰذا؟ إنّما ينبغي أن تفعلوا هٰذا بحضرة العامة، لتشدّوا بذٰلك سلطانكم، فأمّا مَجالس الخلوة فنحن فيها إخوة. ثمّ أمرهم بِالجلوس، وأقبل عليهم، وقال: يا عمومتي، ويا إخوتي، قد سمعت مَا كنتم فِيه، وقولكم: استأثر علينا، ولعمري لقد كان ذٰلك، وما استئثاري عليكم إلا لكم، وإشفاقاً من ذَهاب سلطانكم، وزوال أموالكم، وإنّما أبكي لكم رقّة عليكم، فَكأنّي بالرّجل منكم ومِن أبنائكم، أو مِن أبناء أبنائِكم بين يدي الرَّجل مِن ولدي أو ولد ولدي، ينتسب له، فَلا يعرفه بَل لعلّه يبلغ علي بن عبدالله بن العبّاس! فذهبوا ليتكلَّمُوا، فَقال: أقسمت عليكم لمّا سكتم، أفيضوا بِنَا في غَير هٰذا الحديث!

قال أحمد: وضرب الدَّهر ضَرباته ومات المنصور، وولي المهدي ومات، وولي الهادي ثُمّ مات، وولي الرّشيد، وخرج إلى الرّقّة، ونالتنا جَفوة، ولزمني دَيْنٌ، فخرجت إِليه، فكان أوّل مَا لَقِيت، موكباً عَظيماً، فقلت: مَا هٰذا؟ فقيل لي: هذان وَليا العهد: الأمين والمأمون.

فترجّلت وسلّمت عَليهما، فَقالا: مَنْ أنت؟ قُلت: أحمد بن علي بن عبدالله بن العَبّاس بن عبد المطّلب، وبكيت!

(١) «أطْنَبَ الرَّجُلُ: أَتى بِالبَلاغَةِ في الوصفِ، مَدْحاً كَانَ أو ذَمًّا» [القاموس المحيط: ١١٠].

فانتهى الخَبر مِن ساعته إلى الرّشيد، فلم أصل إلى منزلي، حتى لقيني رسوله يدعوني.

فلمّا دخلت عليه، قال لي: ممّ بكيت؟

قلت: يا أمير المؤمنين، كان من القِصّة كيت وكيت، وسقت إليه خبر المنصور، فبكيت إذ كُنت المبتلي. بذٰلك دُون من حَضره.

فقال لي: هما ابنا أخيك، وهي عورة فاسترها، ولن تسأل عن نسبك ما أقدمك؟

قُلت: دين لزمني؟

قال: وكم هو؟

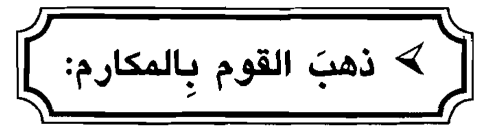
قلت: عشرون ألف دينار!

فقال: يا غلام، احملها إليه السَّاعة، واجعل معها خمسة آلاف دينار لحفظه الحديث عن المنصور، هل مِن حاجة لك غير ذٰلك؟

قلت: أودِّع أمير المؤمنين، وانصرفت.

[نفسه ص٨٣ ـ ٨٦]

❋ ❋ ❋



ذهبَ القوم بِالمكارم:

قال عمرو بن مسعدة:

رفعت قِصّة إلى المأمون، منسوبة إلى محمد بن عبدالله يمُتُّ فِيها بِحُرمة، ويزعم أنّه مِن أهل النِّعمة والقدر، وإنّه مولى ليحيى بن خالد، وإنّه كان ذا ضَيعة واسعة، ونعمة جَليلة، وإنَّ ضياعه قُبضت فِيما قُبض للبرامكة، وزوال نعمته بِحلول النِّقمة عليهم.

فرفعها المأمون إلى ابن أبي خالد، وأمره أن يضمّ الرّجل إلى نفسه،

وأن يجري عليه، ويحسن إليه. ففعل به ذٰلك، وصلحت حاله، وصار نديماً لابن أبي خالد لا يُفارقه.

فتأخّر عنه ذات يوم لمولود ولد له، فبعث إِليه، فاحتجب عنه، فغضب عليه ابن أبي خالد، وأمر بحبسه وتقييده، وإلباسه جبّة صوف، فمكث كذٰلك أيّاماً.

فسأله المأمون عنه، فقصّ عليه قصّته، وشكا مَا يَراه عليه، من التِّيه والصَّلَفِ[١] والافتخار بالبرامكة، والسُّموّ بآبائهم.

فأمر بإحضاره، فأحضر في صوفه، فأقبل عليه المأمون بِالتَّوبيخ مُصغِّراً لقدره مسفِّهاً لرأيه، وعظَّم في عينه إحسان ابن أبي خالد إليه، مع طعن على البرامكة، ووضع منهم، فأطنب في ذٰلك.

فقال محمد: يا أمير المؤمنين، لقد صَغَّرت من البرامكة غير مُصغَّر، وذممت منهم غير مذموم، ولقد كانوا شفاء أسقام[٢] دهرهم، وغياث أجادب عصرهم، وكانوا مفزعاً للملهوفين، وملجأ للمظلومين، وإنْ أذن لي أمير المؤمنين حدّثته ببعض أخبارهم، ليستدلّ بذٰلك على صدق قولي فيهم، ويقف على جميل أخلاقهم، ومحمود مذاهبهم في عصرهم، والأفعال الشَّريفة، والأيادي النَّفيسة!

قال: هات.

قال: ليس بإنصاف، محدّث مُقيّد، في جُبّه صُوف.

فأمر، فأُخذ قَيده.

فقال: يا أمير المؤمنين، ألم الجُبّة يحول بيني وبين الحديث.

فأمر، فَخُلع عليه، ثُمّ قال: هات حديثك!

---

(١) «الصَّلَفُ، بِالتَّحريك: التَّكَلُّم بِما يكرهه صَاحبك، والتَّمَدُّحُ بِما ليس عندك، أو مُجاوزة قدر الظَّرف، والادِّعَاءُ فَوق ذٰلك تَكَبُّراً» [القاموس المحيط: ٨٢٨].

(٢) أمراض.

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، كان ولائي وانقطاعي إلى الفضل، فقال لي الفَضل يوماً بِمحضر مِن أبيه وأخيه جعفر: ويحك يا محمد! إنّي أحبّ أن تدعوني دعوة كما يدعو الصَّديقُ صديقه، والخَلِيل خَليله!

فقلت: جعلت فِداك! شأني أصغر من ذٰلك، ومالي يعجز عنه، وباعي يقصر عن ذٰلك، وداري تضيق عنه، ومُنَّتِي[1] لا تقوم له!

قال: دع عنك ذٰلك! فَلا بُدَّ منه.

فأعدت عليه الاستعفاء، فرأيته جاداً في ذٰلك مقيماً عليه. وسأله أبوه وأخوه الإعفاء، وأعلماه قُصور يدي عن بلوغ مَا يَجب له ويُشبه مثله.

فقال لهما: لست بقانع منه دُون أَن يدعوني وإيَّاكما لا رابع معنا!

فأقبل عليّ يحيى، وقال: قد أبى أن يعفيك، وإن لم يكن غيرنا، فأقعدنا على أثاث بيتك فلا حِشمة منّا. وأطعمنا مِن طعام أهلك، فنحن به راضون، وعليه شاكرون.

فقلت: جعلت فداك! إن كنت قد عرضت عليّ ذٰلك، وأبيت إلاّ هتكي وفضيحتي فأرجو أن تؤجّلني حتّى أتأهّب.

فقال: استأجل لنفسك.

فقلت: سنة!

فقال: ويحك! أمعنا أمان من الموت إلى سنة؟!

فقال يحيى: أفرطت في الأجل، ولكنّي أحكم بينكما بِما أرجو ألاّ يردّه أبو العَبَّاس، واقبله أنت أيضاً.

فقلت: احكم وفَّقك الله للصَّواب، وتفضّل عليّ بالفسخ في المُدّة.

فقال: قد حكمت بشهرين.

---

(١) قُوّتي.

فخرجت من عندهم، وبدأت بِرَمّ[1] داري، وإصلاح آلتي، وشراء ما أتجمّل به من فرش وأثاث وغير ذٰلك، وهو في ذٰلك لا يزال يذكرني، ويعد الأيّام عليّ، حتى إذا كانت الجُمعة التي تجب فيها الدَّعوة قال لي: يا محمد، قد قرب الوقت، ولا أحسب أنّه قد بقي عليك إلا الطّعام؟

قلت: أجل يا سَيِّدي! فأمرتُ باتّخاذ الطَّعام على غاية ما انبسطت به يدي ومقدرتي.

وجاء في رسوله عَشيّة اليوم الذي في صبيحته الدعوة فقال لي: إلى أين بلغت؟ وهل تأذن بالرّكوب؟

قُلت: نعم! بَكِّرْ. فَبَكَّر هو ويحيى وجعفر، ومعهم أولادهم وفتيانهم.

فلمّا دخلوا أقبل عليّ الفضل، وقال: يا محمد! إنَّ أوّل ما أبدأ به النَّظر إلى نعمتك كلِّها صغيرها وكبيرها، فقم بنا إلى الدَّار حتى أدور فيها، وأقف عليها!

فقمت معه، وطاف في المجلس، ثُمّ خرج إلى الخزائن، وصار إلى الاصطبلات، ونظر إلى صغير نعمتي وكبيرها، ثمّ عدل إلى المطبخ، فأمر بكشف القُدور كلّها، وأبصر قدراً منها، فأقبل على أبيه وقال: هذه قدرتك التي تُعجبك، ولست أبرح دُون أن تأكل منها، فدعا برغيف فغمسه في القِدر، وناول أباه، ثمّ فعل ذٰلك بأخيه، ودعا بخلال، وخرج إلى الدَّار، ووقف في صحنها مسرحاً طرفه في فنائها، وبنائها وسقوفها وأروقتها، ثُمّ أقبل عليَّ وقال: مَنْ جيرانك؟

قلت: جعلت فداك، عن يميني فُلان ابن فُلان، وعن شمالي فلان ابن فُلان، وفي ظهر داري رجل كَبِير، لا يغترّ في بنائه ولا يُقصّر.

فقال لي: أو تعرفه؟

قُلت: لا.

---

(١) إصلاحها.

قال: ما كان ينبغي لك في قدرك ومحلك من هٰذه الدّولة ألا يجترئ أحد أَن يشتري شيئاً في جِوارك إلا بأمرك، وألاً ترضى بنفسك إلا بِجَار تعرفه!

فقلت: لم يمنعني من ذٰلك إلاّ مَا كنت فيه من الشّغل بهٰذه الدَّعوة المباركة.

فقال لي: فأين الحائط الذي يَتَّصل بداره؟ فأومأت إليه، فَقال: عليّ ببِنّاء؟ فأتي به، فقال: افتح هاهُنا باباً!

فأقبل عليه أبوه، وقال: نشدتك الله يا بنيّ ألاّ تهجم على قوم لا تعرفهم! وأقبل عليه أخوه بمثل ذٰلك، فأبى إلاً أَنْ يفتح الباب.

فلمّا رأيته قد رَدّ أباه وأخاه أمسكت عن مسألته، ففتح الباب ودخل، وأدخلني معه، فدخلت دار حَارَ بَصري فيها من حُسنها، وانتهينا إلى رواق فيه مائة مملوك في زيّ واحد، عليهم الأَقْبِية[1] مِن الدِّيباج، وإذ شيخ قد خرج فقبّل يَده، فقال له: مُرْ بنا ننظر في مرافق هٰذه الدّار، فَما دخلنا مجلسنا إلاّ رأيناه قد فرش بما لا يحيط به الوصف.

ثمّ قال للشّيخ: مُر بنا إلى مكان الدَّواب، فدخلنا اصطبلاً فيه أربعمائة من البغال وغيرها، فوجدت ذٰلك الاصطبل أحسن بناء من دارِي. ثمّ خرج نحو دُور النِّساء، والشَّيخ بين يَديه، فلمّا انتهى إلى الباب وقف الشَّيخ. ودخل الفضل، وأنا معه حتّى دخلت بعض تلك الدُّور، فإذا فيها مائة وَصِيفة[2] قد أقبلن في حُلِيِّهِنّ وحُلَلِهِنّ، فوقفن بين يَديه، فقال: يا محمد، هٰذه الدَّار أجَلُّ أم دارك؟

فقلت: يا سَيِّدي، وما أنا؟ ومَا دَارِي؟ هٰذه تصلح للأمير لا غيره!

فقال: يا محمد، هٰذه الدَّار بما فيها من الدَّواب والرَّقيق والفرش والأواني لك، ولك عندي زِيادة!

---

(١) «القَبَاءُ من الثِّيَاب. الجمع: أَقبِيَةٌ» [القاموس المحيط: ١٣٢٣].

(٢) خادِمَة.

فقلت في نفسي: يهب لك ملك غيره!

فعلم مَا في نفسي، فقال: يا محمد، إنِّي لمّا سألتك هٰذه الدَّعوة تقدّمت إلى القهرمان[١] بشراء هٰذا البَرَاح[٢] وأن يُعجّل الفراغ منه ومن بنائه، وحوّلت إلى الدَّار مَا تَرَى، فبارك الله لك فيها.

وانصرف بي إلى أبيه وأخيه، وحدّثهما بِما جَرى، فرأيت أخاه جعفر قد مَعِضَ[٣] من ذٰلك، وتغيّر وجهه تغيّراً عرفته، ثُمّ أقبل على أخيه يشكو الفَضل، ويقول: يتفرّد بمثل هٰذه المكرمة دوني، فَلو شاركني فيها لكانت يَداً أشكرها منه!

فقال: يا أَخي بقي لك منها قطبها!

قال: وما هو؟

قال: إنّ مولانا هٰذا لا يتهيّأ له ضبط الدَّار بِما فيها إلاّ بدخل جليل، فأعطه ذٰلك!

فقال: فرّجت عني يا أخ! فرّج الله عنك! فَدعا من وقته بِصِكاك لخمس قُرَيَّاتٍ، واحتمل عنّي خِراجها، فخرجوا عَنّي، وأنا أيسرُ أهل زماني! فهل تلومني يا أمير المؤمنين على ذكرهم والإشادة بفضلهم؟

فقال المأمون: ذهب القوم والله بِالمكارم! ثمّ أمر لمحمّد بمائة ألف درهم، وتقدَّم إلى ابن أبي خالد بِرَدّ مرتبته، وتَصييره في جُملة خواصه!

[نفسه ص٨٧ ـ ٩٦]

❋ ❋ ❋

(١) «القَهْرَمَانُ: الوَكِيلُ أوْ أمين الدّخل والخَرج. الجمع: قهارمة. فارسيٌّ مُعَرَّبٌ» [المنجد الأبجدي: ٨٢٠].

(٢) «البَرَاحُ، كَسَحَابٍ: المُتَّسِعُ منَ الأرض لا زَرْعَ بِها ولاَ شَجَرَ» [القاموس المحيط: ٢١٣].

(٣) «مَعِضَ مِنَ الأمرِ، كفَرِحَ: غَضِبَ، وشَقَّ عليه، فَهو مَاعِضٌ ومَعِضٌ» [القاموس المحيط: ٦٥٤].

➢ الفقر ظلوم غَشوم:

أتى رجلٌ عليَّ بن سُليمان، فقال له: بالذِي أسبغ عليك هٰذه النِّعم ـ مِن غير شفيع كان لك إليه، إلاّ تفضُّلاً منه عليك ـ إلاّ أنصفتني مِن خَصْمِي، وأخذت الحقّ منه، فإنّه ظلوم غَشُوم، لا يستحي من كَبير، ولا يلتفت إلى صَغير!

فقال له: أعلمني مَن هو؟ فإنْ يُنصِفْك وإلاَّ أخذت الذي فيه عَيناه! مَنْ هو؟

فقال: الفقر!

فأطرق إلى الأرضِ مَلِيًّا، ينكت[1] الأرض بأصبعه، ثمّ رفع رأسه، فأمر له بعشرة آلاف دِينار، فأخذها ومَضى، فلمّا سَارَ خارِجاً، قال: رَدُّوه! فَلمّا مثل بين يديه قال: يا ذَا الرَّجل! سألتك بِالله، متى أتاك خصمك مُتَعَسِّفاً[2] إلاَّ أتيت إلينا مُتَظَلِّماً[3].

[نفسه ص١٠٨ ـ ١٠٩]



➢ أكرمُ الأَحياءِ:

قال الأصمعي:

قصدت في بعض الأيّام رَجلاً كنت أغشاه لكرمه، فوجدت على بَابه بَوَّاباً، فمنعني من الدُّخول إليه، ثُمّ قال: والله يا أصمعي ما أوقفني على

(١) «النَّكتُ: أَنْ تَضرِب في الأرضِ بِقَضِيب فَيُؤَثِّرُ فِيها» [القاموس المحيط: ١٦٢].
(٢) «عَسَفَ عن الطَّريقِ يَعْسِفُ: مَالَ، وعَدَلَ، كاعْتَسَفَ وتَعَسَّفَ» [القاموس المحيط: ٨٣٦].
(٣) «تَظَلَّمَ منه: شَكَا مِن ظُلمه» [نفسه، ص١١٣٤].

بَابه لأمنع مثلك إلاّ لرقّة حاله، وقصور يَده، فكتبت رُقعة فيها:

إذَا كَانَ الكريم له حِجَابٌ فَما فَضْلُ الكَريمِ على اللَّئِيمِ

ثمّ قُلت له: أوصل رَقعتي إليه.

ففعل وعاد بِالرُّقعة، وقد وقَّع على ظهرها:

إذا كَان الكريمُ قَلِيلَ مَالٍ تَحَجَّبَ بالحِجَابِ عن الغَرِيم

ومع الرُّقعة صُرّة فيها خمسمائة دِينار.

فقلت: والله لأتحفنَّ المأمون بهذا الخَبر، فلمّا رآني قال: مِن أين يا أصمعي؟

قلت: من عند رَجُل من أكرمِ الأحياء حاشا أمير المؤمنين.

قال: ومَن هو؟

فدفعت إليه الورقة والصُرَّة، وأعدت عليه الخَبر. فلمّا رأى الصُّرّة قال: هٰذا من بيت مَالِي، ولا بُدَّ لي مِنَ الرَّجُل! فقلت: والله يا أمير المؤمنين، إنّي أستحي أن تُرَوِّعه[1] برسلك.

فقال لبعض خاصّته: امض مع الأصمعي، فإذا أراك الرّجل فقل له: أجب أمير المؤمنين من غير إزعاج.

فلمّا حضر الرّجل بين يدي المأمون قال له: أنت الذي وَقّعت لَنا بِالأمس، وشكوت رقّة الحال، وإنّ الزّمَان قد أناخ عليك بِكَلْكَلِهِ[2]، فدفعنا إليك هٰذه الصُّرّة لتصلح بِها حالك؟ فقصدك الأصمعيّ ببيت واحد، فدفعتها إليه!

(١) تُخوِّفه وتفزعه.
(٢) «الكَلْكَلُ والكَلْكَالُ: الصَّدْرُ، أو مَا بين التَّرقُوَتين، أَوْ بَاطِن الزَّوْرِ» [القاموس المحيط: ١٠٥٤].

فقال: نعم يا أمير المؤمنين! والله ما كذبت فيما شكوت لأمير المؤمنين من رقّة الحال. لكنّي استحييت من الله تعالى أن أعيد قاصدي إلاّ كما أعادني أمير المؤمنين.

فقال له المأمون: لله أنت، فما ولدت العرب أكرم منك!

[نفسه ص١١٠ ـ ١١٢]



➢ غاية الجُود:

قال الواقدي:

كان لي صديقان أحدهما هاشمي، وكُنّا كنفس واحدة، فنالتني ضيقة شَديدة، وحضر العيد، فقالت امرأتي: أمّا نحن في أنفسنا فنصبر على البُؤس والشِّدَّة. وأمّا صبياننا هؤلاء، فقد قَطعوا قلبي رحمة لهم، لأنّهم يرون صبيان الجِيران وقد تَزَيَّنوا في عِيدهم، وأصلحوا ثيابهم، وهم على هٰذه الحال من الثِّياب الرَّثَّة! فَلو احتلت بشيء تصرفه في كُسوتهم! فكتبت إلى صديقي الهاشميّ أسأله التَّوسعة، فَوجّه إليّ كيساً مختوماً، ذكر أنَّ فيه ألف درهم، فلمّا استقرّ قراري إذ كتب إليّ الصَّديق الآخر يشكو مثل مَا شكوت إلى صاحبي، فوجّهت إليه الكِيس بِحاله، وخرجت إلى المسجد، فأقمت فيه ليلي مُسْتَحيياً من امرأتي.

فَلمّا دخلت عليها استحسنت مَا كَان منّي، ولم تعنفني عليه.

فبينما أنا كذٰلك، إذْ وَافَى صديقي الهاشمي، ومعه الكيس كهيئته، فقال لي: أصدقني عمّا فعلته فيما وجهت إليك؟

فعرفته الخبر على وجهه، فقال: إنّك وجهت إِليّ وما أملك على الأرض إلاّ مَا بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة، فوجَّه إليَّ بكيسي فتواسينا الألف أثلاثاً.

ثمّ نَمى الخبر إلى المأمون فَدعاني فشرحت له الخبر، فأمر لنا بِسبعة آلاف دينار لكلِّ واحد ألفا دِينار، وللمرأة ألف دِينار.

[نفسه ص١١٩ ـ ١٢٠]

❋ ❋ ❋

➤ حقوق الرَّجَاء:

قال أبو العَيناء:

حصلت لي ضِيقة[١] شديدة، فكتمتها عن أصدقائي، فدخلت يوماً على يحيى بن أكثم فقال: إنّ أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم، فهل لك في الحضور؟

قلت: نعم، فمضيت معه إلى دار أمير المؤمنين، فَلمّا دخلنا عليه أجلسه وأجلسني، ثمّ قال: يا أبا العَيناء، ما الذي جاء بِك في هٰذه السَّاعة؟ فأنشدته:

لقد رجوتك دُون النّاس كلّهم ... وللرَّجاء حقوق كلها تَجب
إن لم تكن لي أسباب أعيش بها ... ففي العلا لك أَخلاف هي السبب

فقال: يا سلامة، انظر أيّ شيء في بيت مالنا دُون مال المسلمين؟

فقال: بقيّة مِن مال!

قال: فادفع إليه مائة ألف درهم، وابعث له مثلها في كلِّ شهر!

فلمّا كان بعد أحد عشر شهراً مات المأمون، فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرّحت أجفانه، فدخل عليه بعض أولاده، فقال: يا أبتاه! بعد ذهاب العين، ماذا ينفع البكاء؟

---

(١) سوء الحال.

فأنشأ أبو العيناء يقول:

شيئان لو بكت الدِّماء عَليهما   عيناي حتَّى يؤذنا بذهابِ
لم يَبلغا المعشار مِن حَقِّيهما   فقد الشَّباب وفرقة الأحباب

[نفسه ص١٧٣ ـ ١٧٤]

* * *

➤ خير البِرِّ عَاجِله:

أهدر أمير المؤمنين المنصور دم رجلٍ، كان يَسعى بِفساد دولته مع الخَوارج، من أهل الكوفة، وجعل لمن دلَّ عليه، أو جاء به، مائة ألف درهم.

ثُمّ إنّ الرَّجل ظهر في بغداد، فبينما هو يَمشي مختفياً في بعض نَواحيها، إذ بصر به رجل مِن أهل الكوفة، فعرفه، فأخذ بمجامع ثيابه، وقال: هذا بغية أمير المؤمنين.

فبينما الرّجل على هٰذه الحال إذ سمع وقع حوافر الخَيل، فالتفت فإذا معن بن زائدة، فاستغاث بِه، وقال له: أجرني أجارك الله.

فالتفت معن إلى الرّجل المتعلّق به، وقال له: ما شأنك وهذا؟

فقال له: إنّه بغية أمير المؤمنين الذي أهدر دَمه، وجعل لمن دَلَّ عليه مائة ألف درهم.

فقال: دعه، وقال لغُلامه: انزل عن دَابّتك، واحمل الرّجل عليها.

فصاح الرّجل المتعلّق به، وصرخ واستجار بِالنّاس، وقال: أيحال بيني وبين بغية أمير المؤمنين؟

فقال له معن: اذهب فقل لأمير المؤمنين، وأخبره أنّه عندي.

فانطلق الرّجل إلى المنصور وأخبره، فأمر المنصور بإحضار معن في السَّاعة.

فلمّا وصل أمر المنصور إلى معن، دعَا جميع أهل بيته ومواليه وأولاده وأقاربه وحَاشيته وجميع من يَلوذ بِه، وقال لهم: أقسم عليكم ألاً يَصلَ إلى هٰذا الرَّجل مكروه أبداً وفيكم عين تطرف.

ثُمّ إنّه سَارَ إلى المنصور، فَدخَل وسلَّم عليه، فلم يردّ عليه المنصور السَّلام.

ثمّ قال له: يا معن أتتجرّأ عليّ؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين!

فقال المنصور: ونعم أيضاً؟! وقد اشتدّ غضبه.

فقال معن: يا أمير المؤمنين، كم مِن مرّة تقدّم في دولتكم بلائي وحُسن غنائِي[1]؟ وكم من مرّة خاطرت بدمي؟ أفما رأيتموني أهلاً لأن يوهب لي رجل واحد استجار بِي بين النّاس، بوهمه أنّي عبد من عبيد أمير المؤمنين، وكذٰلك أنا! فَمر بِما شئت وها أنا ذا بين يديك!

فأطرق المنصور ساعة، ثمّ رفع رأسه، وقد سكن ما به من الغَضب، وقال له: قد أجرناه لك يا معن!

فقال له معن: إن رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الأجرين، فيأمر له بصلة، أحياه وأغناه.

فقال المنصور: قد أمرنا له بخمسين ألف درَهم.

فقال له معن: يا أمير المؤمنين إنّ صلات الخلفاء على قدر جنايات الرّعية، وإنّ ذنب الرّجل عظيم، فأجزل[2] له صلته.

---

(١) الغناء: الاكتفاء واليسار وما يغتنى بِه.

(٢) أَجْزَلَ له مِن العَطَاءِ أي: أكثر.

قال: قد أمرنا له بمائة ألف درهم.

فقال له معن: عَجّلها يا أمير المؤمنين، فإنّ خير البِرّ عاجِلُه، فأمر بتعجيلها.

فحملها وانصرف، وأتى منزله، وقال للرّجل: يا رجل خُذ صلتك، والحق بأهلك، وإيّاك مخالفة الخُلفاء في أمورهم بعد هٰذه.

[نفسه ص١٧٧ ـ ١٨٠]

❋ ❋ ❋

➢ بين ظُلم الحَجَّاج وكرم الوليد:

أخذ الحجّاج يزيد بن المهلّب، وعذّبه، وقصده، واستأصل موجوده وسجنه، فتوصّل يزيد بحسن تلطّفه، ودخل فيما جَعله الله نجاة مِن تَلفه، وأرغب السَّجّان، واستماله إليه، وهرب هو والسَّجّان، وقصد الشّام إلى سليمان بن عبدالملك بن مروان ـ وكان الخليفة في ذٰلك الوقت الوليد بن عبدالملك ـ.

فلمّا وصل يزيد بن المهلّب إلى سليمان بن عبدالملك أكرمه وأحسن إليه، وأقامه عنده، فكتب الحجّاج إلى الوليد يعلمه أنّ يزيد هرب من السجن وهو عند سليمان بن عبدالملك أخي أمير المؤمنين، وولي عهد المسلمين، وأمير المؤمنين أشمل رأياً.

فكتب الوليد إلى أخيه سليمان بِذٰلك، فكتب سليمان إلى أخيه: يا أمير المؤمنين، إنّي إنّما أجرت يزيد بن المهلّب لأنّه هو وأبوه وإخوته من صنائعنا قديماً وحَدِيثاً، ولم أجر عدوًّا لأمير المؤمنين، وقد كان الحجّاج قصده وعذّبه، وأغرمه أربعة آلاف درهم ظالماً، ثمّ طالبه بعدها بثلاثة آلاف درهم، وقد سَارَ هٰذا الرَّجل إليّ مستجيراً فأجرته، وأنا أغرم عنه ثلاثة آلاف

ألف الدرهم، فإن رأى أمير المؤمنين ألا يخزيني في ضيفي فعل، فإنّه أهل الفضل والكرم!

فكتب إليه الوليد: «لا والله، لا أؤمّنه حتى تبعث به إليّ في وثاق».

فكتب إليه سليمان: ولئن أنا بعثت به إليك لأجيئنَّ معه، فأنشدك الله ألاّ تفضحني ولا تُحقرني.

فكتب إليه الوليد: والله لئن جئتني لا أؤمّنه.

فقال يزيد: ابعثني إليه بي، وأَرسل معي ابنك واكتب إليه بألطف ما قدرت عليه.

فأحضر سُليمان ولده أيّوب، فقيّده، ودعَا بيزيد فَقيّده، ثُمّ شَدَّ قَيد هذا إلى قَيد هٰذا بسلسلة وغَلّهما بِغُلَّيْنِ[1] وحملهما إلى الوليد، وكتب إليه: أمّا بعد يا أمير المؤمنين، فإنّي قد وجهت إليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سُليمان، ولقد هممت أن أكون ثالثهما، فإن هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد، فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله، ثمّ اجعل يزيد ثانياً، واجعلني إذا شئت ثالثاً، والسَّلام».

فلمّا دخل يزيد بن المهلّب وأيوب بن سليمان عليه في سلسلة واحدة أطرق استحياءً، وقال: لقد أسأنَا إلى سليمان إذ بلغنا به هٰذا المبلغ...

فأراد يزيد أن يتكلّم ويحتجّ عن نفسه، فقال له الوليد: ما نحتاج إلى كَلام فقد قبلنا عذرك، وعلمنا ظلم الحجَّاج، ثمّ أحضر حَدَّاداً، وأزال عنهما الحديد، وأحسن إليهما، ووصل أيّوب ابن أخيه ثلاثين ألف درهم، ووصل يزيد بن المهلّب بعشرين ألف درهم، وردّهما إلى سليمان، وكَتب كتاباً إلى الحجَّاج يقول له: لا سبيل على يزيد بن المهلّب، فإيَّاك أن تعاودني فيه بعد اليَوم.

(١) «الغُلُّ، بِالضَّمّ: طَوْقٌ مِن حَدِيدٍ يُجْعَلُ في العُنُقِ. والجمع: أَغْلاَلٌ» [المصباح المنير: ١٧٢].

فصار يزيد إلى سليمان بن عبدالملك بن مروان في أعلى المراتب، وأفضل المنازل.

[نفسه ص١٥٢ ـ ١٥٥]

❋ ❋ ❋

مرثية سلمة بن يزيد في أخيه لأُمِّه قيس بن سلمة:

حدّثنا أبو بكر بن الأنباري رحمه الله: أنّ أباه أنشده، أحمد بن عبيد، عن ابن الكلبي لسلمةَ بن يزيد يَرثي أخاه لأُمِّه قيس بن سلمة:

أقول لنفسي الخلاء ألومها ... لكِ الويل ما هٰذا التَّجَلُّدُ[1] والصَّبْرُ

ألا تَفهمينَ الخُبر أَنْ لستُ لاقِياً ... أخي إذا أَتَى مِن دُون أكفانه القَبْرُ

وكُنت إذا ينأى[2] به بينُ ليلةٍ ... يظلُّ عَلى الأحشاء من بَينه الجَمْرُ

فهذا لِبَيْنٍ قد عَلمنا إِيَابَهُ[3] ... فَكيف لِبَيْنٍ كان مَوْعِدَهُ الحَشْرُ

وهَوَّنَ[4] وَجْدِي[5] أنّني سوف أَغْتَدي ... على إِثْرِه حَقًّا وإن نُفِّسَ العُمْرُ

فَلا يُبْعِدَنْكَ[6] اللّهُ إمَّا تَركتنا ... حَميداً وأَوْدَى[7] بَعْدَكَ المَجْدُ والفَخْرُ

---

(١) «الجَلَدُ، بفتحتين: الصَّلاَبَة والجَلاَدَة وبابه ظَرُفَ وسَهُلَ... التَّجَلُّدُ: تَكَلُّف الجَلاَدَة» [مختار الصِّحاح: ٤٥].

(٢) «ناَهُ ونَأَى عنه يَنْأَى بِالفتح نَأْياً بِوزنِ فَلْسٍ أَي بَعُدَ» [نفسه، ص٢٦٨].

(٣) «آبَ: رَجَعَ وبَابه قال. وأَوْبَةً وإِيَاباً أيضاً» [مختار الصِّحاح: ١٣].

(٤) «الهَوْنُ أيضاً مَصدرُ هَانَ عليه الشَّيءُ يَهون أي خَفَّ. وهَوَّنه الله عليه تَهويناً سَهَّلَهُ وخَفَّفَه» [نفسه، ص٢٩٣].

(٥) حُزني.

(٦) «أَبْعَدَهُ اللّهُ: نَحّاه عن الخَير، ولَعَنَه» [القاموس المحيط: ٢٦٨].

(٧) «أَوْدَى: هَلَكَ» [نفسه، ص١٣٤٢].

فتًى كَانَ يُعطي السَّيْفَ في الرَّوع[١] حَقَّهُ إِذْ ثوَّبَ[٢] الدَّاعي وتشقى بِه الجُزْرُ[٣]
فَتًى كَانَ يُدْنيهِ الغِنى من صَديقه إذا مَا هو استغنى ويُبعده الفَقْرُ
فتى لا يَعُدُّ المال رَبًّا ولا يُرَى له جَفْوَةٌ[٤] إن نَالَ مَالاً ولا كِبْرُ
فَنِعمَ مُنَاخُ الضَّيف كَانَ إذا سَرَتْ شَمَالٌ[٥] وأَمْسَتْ لا يُعَرِّجها سِتْرُ
ومَأْوَى اليتامَى المُمْحِلِينَ[٦] إذا انْتَهَوْا إلى بَابِه سُغْباً[٧] وقد قَحَطَ القَطْرُ

يُقال: قَحِطَ النَّاسُ بِكسر الحَاءِ وأقحطوا وقَحَطَ القَطْرُ بفتح الحَاء.

[«الأمالي» ص٣٣٥ ـ ٣٣٦]

❋ ❋ ❋

➤ وصية أمّ لابنها:

حدَّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حَدّثني أبِي، قال: حَدَّثني عبدالله بن محمّد بن رستم قال: حَدَّثني أبي، قال: حَدّثني عبدالله بن محمد بن رُستم، قال: حدّثني محمد بن قادم النَّحوي، قال: قال أبان بن تغلب، وكان عابِداً من عُبّاد أهل البَصرة: شهدتُ أعرابيّة وهي تُوصِي ولداً لها يُريد سفراً وهي تقول له: أي بُنَيّ! اجلس أمنحك وصيّتي وبِالله تَوفيقك، فإنّ

---

(١) الفَزَع.
(٢) «ثَوَّبَ الدَّاعِي تَثْوِيباً: رَدَّدَ صَوْتَهُ» [المصباح المنير: ٣٤].
(٣) «الجَزُورُ: البَعِيرُ، أَو خاصٌ بِالنَّاقَة المَجْزُورة، الجمع: جَزَائِرُ وجُزُرٌ وجُزُرَات» [القاموس المحيط: ٣٦٤].
(٤) «الجَفَاءُ: نَقيضُ الصِّلة، ويُقصَرُ، جَفَاهُ جَفْواً وجَفَاءً» [القاموس المحيط: ١٢٧٠].
(٥) «الشّمال، بالفتح ويُكسر: الرِّيحُ التِي تَهَبُّ مِن قِبَلِ الحِجْرِ، أو ما استقبلكَ عن يمينك وأنت مُسْتَقْبِل، والصَّحيح أنَّه مَا مَهَبُّه بين مَطلع الشَّمس وبَناتِ نَعْش» [نفسه، ص١٠٢٠].
(٦) أَمْحَلَ القومُ: أجْدَبُوا.
(٧) «سَغِبَ، كَفَرِحَ وكَنَصَرَ، سَغْباً وسَغَباً وسَغَابَةً وسُغُوباً ومَسْغَبَةً: جَاعَ» [نفسه، ص٩٧].

الوصيّة أجدى عليك من كَثير عقلك. قال أبان: فوقفت مستمعاً لكلامها مُستحسناً لوصيّتها، فإذا هي تقول: أيْ بُنَيَّ! إيَّاك والنَّميمة، فإنّها تزرع الضَّغينة[1] وتُفرِّق بين المُحِبِّين، وإيَّاك والتَّعرّض للعيوب، فَتُتَّخذ غَرضاً وخَلِيقٌ[2] ألاَّ يَثْبُتَ الغَرَض على كثرة السِّهَام، وقلّما اعْتَوَرتِ[3] السِّهام غَرضاً إلاَّ كَلَمَتْهُ[4] حتَّى يَهِيَ[5] ما اشْتَدَّ مِن قُوَّته، وإيَّاك والجُودَ بِدينك والبُخْلَ بمالك، وإذا هَزَزْت فاهزز كَرِيماً يَلِنْ لِهزّتك، ولا تَهزُز اللّئيم فإنَّه صخرة لا يَنفجر مَاؤُها، ومَثِّلْ لنفسك مِثال ما اسْتَحسنتَ مِن غيرك فاعمل به، وما استقبحت مِن غَيرك فاجتنبه، فإنّ المرءَ لا يَرَى عَيب نفسه، ومن كَانت مَودّته بِشْرَهُ وخالفَ ذلك منه فِعلُه كان صَدِيقه منه على مثلِ الرِّيح في تصرّفها، ثُمّ أَمسكَت فَدنوت منها فقلت: بِالله يا أعرابيّة، إلاَّ زِدْتِه في الوَصيّة، فَقالت: أَوَقد أعجبك كلام العرب يا عراقي؟ قُلت: نعم، قالت: والغَدرُ أقبح مَا تعامل بِه النَّاسُ بينهم، ومَن جَمع الحِلم والسَّخاء فقد أَجاد الحُلَّة رَيطَتَها[6] وسِرْبَالها[7].

[نفسه ص٣٤٠ ـ ٣٤١]

* * *

(١) «الضِّغْنُ، بِالكسر: الحِقْدُ، كالضَّغِينَة، وقَد ضَغِنَ، كَفَرِحَ» [القاموس المحيط: ١٢١١].

(٢) جَدِيرٌ.

(٣) «اعْتَوَرُوا الشَّيْءَ وتَعَوَّرُوه وتعاوَرُوهُ: تَدَاوَلُوه» [القاموس المحيط: ٤٤٦].

(٤) «الكَلْمُ: الجَرْحُ، الجمع: كُلُومٌ وكِلاَمٌ» [نفسه، ص١١٥٥].

(٥) يضعف.

(٦) «الرَّيْطَةُ: كُلُّ مُلاَءَة غيرِ ذَاتِ لِفقَيْنِ، كُلّها نَسْجٌ واحِدٌ، وقِطعة وَاحِدة، أو كُلّ ثَوب لَيِّن رَقيق، كالرَّائطة. الجمع: رَيْطٌ ورِيَاطٌ» [القاموس المحيط: ٦٦٨].

(٧) «السِّرْبَالُ، بِالكسرِ: القَمِيصُ، أو الدِّرْعُ، أَو كُلُّ مَا لُبِسَ، وقد تَسَرْبَلَ بِهِ، وسَرْبَلْتُه» [نفسه، ص١٠١٤].



➢ الصَّبر عند الجُودِ أخو الصَّبرِ عند اليَأسِ:

حدّثنا أبو بكر قال: أخبرنا عبدالرحمٰن، عن عَمِّه، قال: سمعت أعرابيًا يَقول: مَنْ لم يَضَنّ[1] بِالحَقّ عن أهله فهو الجَوَادُ. وسمعت آخَرَ يَقول: الصَّبْرُ عند الجُود أخو الصَّبر عند اليَأسِ، وسمعت آخر يقول: سَخَاء النَّفس عمّا في أيدي النّاسِ أكثر من سخاء البَذْلِ.

[نفسه ص٣٤١]

❊ ❊ ❊

➢ لله دَرُّ بنِي سُلَيم:

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، أَنّ عمرو بن معد يكرب أتَى مُجاشع بن مسعود بالبصرة يَسأله الصِّلَة، فقال له: اذكر حاجَتَك، فقال: حاجتي صِلَة مِثلي، فأعطاه عَشرة آلاف درهم وفَرساً مِن بَنات الغَبْراءِ وسَيْفاً قَلعِيًا[2]، وغُلاماً خَبَّازاً، فَلمّا خرج من عِنده، قال له أهلُ المجلس: كيف وجدت صاحبك؟ فَقال: لله دَرُّ بني سُلَيْم: ما أَشَدَّ في الهَيْجَاءِ[3] لقاءَها، وأكرم في اللَّزَبَاتِ[4]، وأثبتَ في المكرُمَاتِ[5] بِناءَها! والله لقد قاتَلْتُها فَما أجبنْتُها[6]، وسألتها فَما أبخلتها[7]، وهاجيتُها[8]

---

(١) يَبخل.

(٢) السَّيف القَلَعيّ: نسبة إلى القلعة وهو موضع بالبادية تُنسب إليه السُّيوف.

(٣) «الهَيْجَاءُ: الحَرْبُ، ويُقصرُ» [القاموس المحيط: ٢١١].

(٤) «اللَّزَبَةُ: الشِّدَّة، الجمع: لِزَبٌ ولَزْبَانٌ بِالتَّسكين» [نفسه، ص١٣٤].

(٥) «المَكرُمُ والمكرُمَة، بِضمّ رائهما، والأُكْرُومَة، بِالضَّمّ: فِعْلُ الكَرَمِ» [نفسه، ص١١٥٣].

(٦) وجدتها جَبَانة.

(٧) وجدتها بَخيلة.

(٨) «هَجَاهُ هَجْواً وهِجَاءً: شَتمه بِالشِّعرِ» [القاموس المحيط: ١٣٤٥].

فَما أفحمتها[١]! ثمّ قال:

وللهِ مَسْؤُولاً نَوَالاً ونَائِلاً[٢] ... وَصَاحِب هَيجا[٣] يومَ هَيجا مُجَاشعُ

[نفسه ص٣٧١]

❋ ❋ ❋

➢ شعر في الجُودِ والبُخلِ:

أنشدنا أبو عبدالله، قال: أنشدنا أحمد بن يَحيى النَّحوي:

قال لي القائلون زُرْتَ حُسَيْناً ... لا يُزارُ الكريمُ في جُرْجَانِ

خالِدٌ بِاللُّهَا يَجُودُ ويُعطي ... وحُسَيْنٌ يَجود بِالحرمانِ

ضاعَ مفتاحُ جُوده جَوفَ بَحرٍ ... حيث ظَلَّ البَحْرَانِ يَلْتقيانِ

فَسألنا الغُوَّاص عنه فَقالوا ... صِيغ منه قَلائِدُ الحِيتانِ

[نفسه ص٣٨٤]

❋ ❋ ❋

➢ كتاب كلثوم بن عمرو إلى صديق له يستجديه:

حدّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدّثنا مُوسى بن علي الخُتَّلي، قال: حَدَّثنا زكريا بن يَحيى السَّاجي، قال: حدّثنا الأصمعي، قال: حدَّثني بعض العَتّابِين، قال: كتب كلثوم بن عمرو إلى صديق له: أمّا بعد أطال الله بَقاءك وجعله يَمتدّ بك إلى رضوانه والجَنّة، فإنَّك كنت

---

(١) «المُفحَم، كمُكرَم: العَيِيُّ، ومَنْ لا يَقْدر يَقولُ شِعراً. وأفحمه الهَمُّ: مَنَعه قَولَ الشِّعر» [نفسه، ص١٤٤أ].

(٢) النّائِل: العَطاءُ.

(٣) صاحب حَرب.

عندنا روضة من رياض الكَرم، تبتهج النُّفوس بِها، وتَستريح القُلوب إليها، وكنّا نُعفيها من النُّجعة[1]، استئماماً لزهرتها، وشفقة على خضرتها، وادِّخاراً لثمرتها، حتى أصابتنا سَنَةٌ كانت عندي قطعة من سِني يُوسف، واشتدّ علينا كَلَبُهَا[2]، وغابت قطّتها، وكَذبتنا غُيومها، وأخلفتنا بُرُوقها، وفقدنا صالح الإخوان فيها، فانتجعتك[3]، وأنا بانتجاعي إيّاك شَديدُ الشَّفقة عليك، مع علمي بأنّك موضع الرَّائد، وأنَّك تُغطِّي عين الحَاسِد، والله يعلم أنّي ما أعُدّك إلاّ في حومة الأهل، واعلم أنّ الكريم إذا استحيا من إعطاء القَليل، ولم يمكنه الكثير لم يُعرف جُوده، ولم تظهر هِمَّته وأنا أقول في ذٰلك:

ظِلُّ اليَسَارِ[4] على العَبَّاسِ مَمْدُودُ ... وقلبه أبداً بِالبُخْلِ مَعْقُودُ
إنَّ الكَرِيمَ لَيُخْفي عنكَ عُسْرَتَهُ ... حتى تراهُ غنيًّا وهو مَجْهُودُ
وللبَخِيلِ على أمواله عِلَلٌ ... زُرْقُ العُيُونِ عليها أوجُهٌ سُودُ
إذَا تَكَرَّمْتَ عن بَذْلِ القَليل ولَمْ ... تقدر على سَعَةٍ لَم يَظهرِ الجُودُ
بُثَّ النَّوَالَ ولا يَمْنَعك قِلَّتُهُ ... فَكلّ مَا سَدَّ فَقْراً فَهو مَحْمُودُ

قال: فشاطَرَهُ مَالَهُ حتى أَعطاه إحدى نَعليه ونصف قيمة خاتمه.

[نفسه ص٣٨٩ ـ ٣٩٠]

❊ ❊ ❊

➢ أسبابُ السِّيَادَة:

قال أبو علي: أخبرنا عبدالرَّحمٰن، عن عَمِّه قال: قِيل لِعَرَابَة الأوسي:

---

(١) «النُّجعَةُ، بالضَّمِّ: طَلَبُ الكَلاَءِ في مَوْضِعِه» [القاموس المحيط: ٧٦٥].
(٢) «الكَلَبُ، بِالتَّحريك: الشِّدَّةُ» [القاموس المحيط: ١٣٢].
(٣) «انْتَجعَ: طَلبَ الكَلاَءَ في موضعه» [القاموس المحيط: ٧٦٥].
(٤) «اليَسَارُ واليَسَارَةُ والمَيْسَرَةُ، مثلّثة السِّين: الغِنَى» [القاموس المحيط: ٤٩٩].

بِمَ سُدْتَ قَومك؟ قال: بأربع، أَنْخَدِعُ لهم عن مَالِي، وأذِلُّ لهم في عِرْضِي، ولا أَحْقِرُ صَغِيرهم، ولا أحسدُ رفيعهم.

[نفسه ص٤٠٩]

❋ ❋ ❋

➤ ما يُبالي مَنْ مُدِحَ بهٰذين البيتَين ألاَّ يُمدح بغيرهما:

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا أبو حاتم، عن العُتبي، قال: قال عبدالملك بن مروان لأميّة بن عبدالله بن خالد بن أسيد: ما لك وَلحُرثان بن عمرو حيث يقول فيك:

إذا هَتَفَ[١] العُصفُورُ طارَ فُؤادُهُ وليثٌ حَدِيدُ النَّاب عند الثَّرائِدِ

فقال: يا أمير المؤمنين، وجبَ عليه حَدٌّ فأقمته، فقال: هَلاَّ دَرَأْتَ[٢] عنه بِالشُّبهات؟ فقال: كانَ الحَدُّ أَبْيَن، وكان زعمُه عليّ أهون، فقال عبدالملك: يا بني أميّة، أحسابكم أنسابكم لا تُعَرِّضُوها للهجاء، وإياكم ومَا سَارَ بِه الشِّعْرُ، فإنَّه بَاقٍ ما بَقِيَ الدَّهْرُ، والله مَا يَسُرُّني أنّي هُجِيت بهٰذا البَيت وأنَّ لي مَا طلعت عليه الشَّمْسُ:

يَبِيتُونَ في المَشْتَى مِلاءَ بُطُونُهم وجَاراتَهُم غَرْثَى[٣] يَبِتْنَ خَمَائِصَا[٤]

ومَا يُبالي مَن مُدح بهذين البيتين ألا يُمدح بِغيرهما:

---

(١) «هَتَفَتِ الحَمَامَةُ تَهْتِفُ: صَاحَتْ» [القاموس المحيط: ٨٦١].

(٢) «دَرَأَهُ، كَجَعَلَهُ، دَرْأً ودَرْأَةً: دَفَعَهُ» [القاموس المحيط: ٤٠].

(٣) «غَرِثَ، كفَرِحَ: جَاعَ، فَهو غَرْثَانُ مِن غَرْثَى وغَرَاثَى وغِرَاثٍ، وهي غَرْثَى من غِرَاثٍ» [القاموس المحيط: ١٧٣].

(٤) «المَخْمَصَةُ: المَجَاعَةُ، وقد خَمَصَهُ الجُوعُ خَمْصاً ومَخْمَصَةً. وخَمِصَ البَطْنُ، مُثلَّثة الميم: خَلاَ» [نفسه، ص٦١٨].

هُنالِكَ إنْ يُسْتَخْبَلُوا[1] المالَ يُخْبِلُوا ... وإنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وإنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا
على مُكثريهم رزقُ من يَعْتَرِيهم[2] ... وعندَ المقِلِّينَ السَّمَاحَةُ[3] والبَذْلُ

[نفسه ص٤١٠]

❋ ❋ ❋

➢ لا خَيْرَ في حُبِّ مَنْ تُرْجَى نَوَافِلُهُ:

أَمْلَى أبو العَهْدِ ـ صاحب الزَّجَّاج ـ قال: أنشدنا أبو خَلِيفة الفضل بن الحُبَاب الجُمَحيّ، قال: أنشدنا أبو عثمان المازني للفَرزدق:

لا خَيْرَ في حُبِّ مَنْ تُرْجَى[4] نَوَافِلُهُ ... فاسْتَمْطِرُوا مِنْ قُرَيْشٍ كُلَّ مُنْخَدِعِ
تَخالُ فِيهِ إذا مَا جِئْتَهُ بَلَهًا ... في مَالِه وهو وافي العَقْلِ والوَرَعِ

[نفسه ص٤١١]

❋ ❋ ❋

➢ فَوْتُ الحاجَة خير مِن طلبها من غير أهلها:

قال أبو علي: حدَّثنا أبو بكر رحمه الله قال: أخبرنا عبدالرَّحمٰن، عن عَمِّه، قال: سمعت أعرابيًا يَقول: فَوتُ الحاجَة خير مِن طلبها من غير أهلها. قال: وسمعت آخر يقول: عزُّ النَّزاهة أشرف من سرور الفائدة.

---

(١) «اسْتَخْبَلَني نَاقَةً فَأَخْبَلْتُها: اسْتَعَارَنِيها فأعرته، أو أعرتها لينتفع بلبنها ووبرها» [القاموس المحيط: ٩٩١].

(٢) اعْتَرَاه: غشيه.

(٣) «سَمُحَ، ككَرُمَ، سَمَاحاً وسَمَاحَةً وسُمُوحاً وسُمُوحَة وسَمْحاً وسِمَاحاً، ككتاب: جَادَ وكَرُمَ» [القاموس المحيط: ٢٢٥].

(٤) تُؤَخَّرُ.

قال: وسمعت آخر يقول: حَمْلُ المِنَنِ أَثْقَلُ من الصَّبْرِ على العُدْمِ.

وحدّثنا أبو بكر قال: أخبرنا أبو حاتم، عن العُتبي، أنّه قال: إنَّ الطَّالب والمطلوب إليه في الحاجة إذا قُضِيت اجتمعا في العِزِّ، وإذا لم تُقْضَ اجتمعا في الذُلِّ، فارغب في قَضاء الحاجة لِعِزِّكَ بها وخُروجك من الذُلِّ فيها.

[نفسه ص٤١٨]

❊ ❊ ❊

➢ شعر في المُبادرة للبذلِ والعَطاء عند السُّؤال:

قال أبو علي: وقرأت عليه أيضاً، قال: حدَّثنا أحمد بن يحيى أنّ ابن الأعرابي أنشدهم:

ولو كنت تُعطي حين تُسأل سامَحت ... لك النَّفس واحْلَوْلاَكَ[1] كلُّ خَلِيلِ

أَجَلْ لا ولٰكن أنت ألأَمُ مَن مَشَى ... وأسأل مِنْ صَمَّاءَ ذات صَلِيل

يعني: الأرض. وصَلِيلُها: صوتُ دخول الماء فيها.

وقرأت عليه قال: أنشدنا أحمد بن يحيى لابن الأعرابي:

تَرى فُضلاَنَهُم في الوِرْدِ هُزْلاً ... وتَسمن في المقاري والجِبَالِ

قال: لأنَّهم يسقون ألبان أُمَّهاتها على الماء. فإذا لم يفعلوا ذٰلك كان عَليهم عاراً، فإذا ذَبحوا لم يذبحوا إلاَّ سَمِيناً، وإذا وهبوا فَكذٰلك.

[نفسه ص٤١٩]

❊ ❊ ❊

(١) وَجدَك حُلواً.

➢ أدب مَن سأل حاجة ومَن سُئِلها:

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر ـ رحمه الله تعالى ـ قال: أخبرنا أبو حاتم، عن الأصمعي قال: بَلَغني أنّ ابن السَّمَّاك قال للمفضّل بن يحيى: وقَد سأله رجل حاجة: إنَّ هٰذا لم يَصُنْ وجهه عن مسألته إيَّاك، فأكرم وجهك عن رَدِّك إيّاه، فقضى حاجته.

قال: وحدَّثنا أبو بكر، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن العتبي، قال: سأل أعرابي عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: رجل مِن أهل البادية ساقته الحاجة، وانتهت به الفاقة، والله سائِلُك عن مَقامي هٰذا. فقال: والله ما سَمعتُ كلمة أبلغ من قائل ولا أوعظ لمقُول منها.

[نفسه ص٤٢٣]

❊ ❊ ❊

➢ خير السَّخاء ما وافَق حَاجة:

قال أبو علي رحمه الله: حدَّثنا أبو بكر، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن الأصمعي، قال: قال أكثم بن صيفي:

خير السَّخاء مَا وافق الحَاجَة، ومَن عرف قَدره لم يَهلك، ومَن صَبرَ ظفِر، وأكرم أخلاق الرِّجال العَفو.

[نفسه ص٤٢٣]

❊ ❊ ❊

➢ النّاس ثلاثة: غنيّ وفَقيرٌ وَمُسْتَزِيد:

قال: وحدّثنا أبو بكر، قال: حدَّثنا العُكْلي، عن أبي خالد، عن الهيثم، قال: قَدِم حكيم من حكماء أهل فارس على المهلّب فقال:

أصلح الله الأمير، مَا أشخصتني الحاجة، ومَا قَنِعت بِالمقام، ولا أرضى منك بِالنَّصف إذ قمت هٰذا المقام، قال: ولِمَ ذٰلك؟ قال: لأن النّاس ثلاثة: غَنيّ وفقير ومُستزيد، فالغَنيّ مَن أُعطي مَا يستحقّه، والفقير مَن مُنع حَقَّه، والمستزيد الذِي يطلب الفضل بعد الغِنى. وإنّي نظرت في أمرك فرأيت أنّك قد أدَّيت إليّ حَقّي فَتاقت نفسي إلى استزادتك، فإن منعتني فقد أنصفتني، وإن زدتني زادت نعمتك عليَّ، فأعجب المُهَلّب كلامه وقَضى حوائجه.

[نفسه ص٤٢٩]



➢ كفران المعروف:

قال: وأملى علينا أبو الحسن الأخفش قال: كتب محمد بن مكرم إلى أبي العَيناء: أمّا بعد، فإنّي لا أعرف للمعروف طريقاً أَوعر ولا أحزن من طريقه إليك، ولا مُستودعاً أقلّ زكاة وأبعد غُنماً من خير يَحِلّ عِندك، لأنّه يَصير منك إلى دِينٍ رَدِي، ولسان بَذِي، وجهلٍ قَد ملَكَ عليك طباعك، فالمعروف لديك ضائع، والصَّنيعة عندك غير مشكورة، وإنَّما غَرضك من المعروف أَن تُحرزه وفي مُواليه أَنْ تَكفره.

[نفسه ص٤٤١]

❋ ❋ ❋

➢ سُؤال أعرابيّ في المسجد:

قال أبو علي: وحدَّثنا أبو بكر رحمه الله قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عُبيدة، عن يُونس، قال: وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة

فقال: قَلَّ النَّيلُ[١]، ونَقص الكَيْلُ، وعَجِفَتِ[٢] الخيل، والله ما أصبحنا ننفخ في وَضح، وما لنا في الدِّيوان مِن وشمة، وإنّا لعيال جَرَبّة، فَهل من معين أعانه الله يُعين ابن سَبِيلٍ، ونِضوَ[٣] طريق، وفَلَّ سَنَة؟ فَلا قَلِيلَ من الأَجرِ ولا غِنَى عن الله، ولا عَمَلَ بعد الموت.

قال أبو علي: الوَضَحُ: اللَّبَنُ، وإنّما سُمّي وَضَحاً لبياضه، وقال الهُذلي:

عَقَّوْا بِسَهْمٍ فَلم يَشْعُرْ به أَحَدٌ ... ثُمّ استفاؤوا وقالُوا حَبَّذا الوَضَحُ

عَقَّوا: رَموه إلى السَّمَاءِ. واستفاؤوا: رَجَعُوا. والوَشْمَة مثلُ الوَشمِ في الذِّراع، يُريد الخَطَّ.

والجَرَبَّةُ: الجماعة. ويقال: الجَرَبَّة: المتساوون، ويقال: عِيَالٌ جَرَبَّة، أي: كِبَارٌ كُلُّهم لا صَغِير فيهم، قال الرّاجز:

جَرَبَّة كحُمُرِ الأَبَكّ ... لا ضَرَعٌ فِيهم ولا مُذَكّي

والفَلُّ: القَومُ المُنْهَزِمون، يَعني: أنّه انهزم مِن الجَدب، والفَلُّ: الأرض التي لم يصبها مَطر، وجَمعها أَفْلاَل.

[نفسه ص٤٤٣]

* * *

(١) العَطاءُ.

(٢) «العَجَفُ، محرّكة: ذَهابُ السِّمَن، وهو أَعْجَفُ، وهي عَجْفاءُ» [القاموس المحيط: ٨٣٥].

(٣) «النِّضْوُ، بِالكسرِ: المهزولُ منَ الإبلِ وغَيرها، كالنَّضِيِّ، وهي: بِهاء الجمع: أَنْضَاءٌ» [القاموس المحيط: ١٣٣٩].

➤ وَصيّة عبدالله بن شَدّاد عند موته:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: أخبرنا السَّكَن بن سَعِيد، عن محمد بن عبّاد، عن ابن الكلبي، عن أبيه، قال: لمّا حضرت عبدالله بن شَدّاد بن الهَادِ الوفاةُ دَعَا ابناً له يُقال له محمّد، فَقال: يا بُنَيَّ، إنِّي أرى داعِيَ الموت لا يُقلعُ. وأرى مَن مضَى لا يرجع، ومَن بقي فإليه يَنْزِع، وإنِّي مُوصِيك بِوَصيّة فاحفظها، عليك بِتقوى الله العظيم، وليكن أَولى الأمور بك شُكر الله وحسنَ النّية في السِّرّ والعِلانية، فإنّ الشَّكُور يَزداد، والتَّقوى خَير زَاد، وكُن كما قال الحُطيئة:

ولستُ أَرَى السَّعَادَةَ جمع مَالٍ ... ولكنَّ التَّقيَّ هو السَّعِيدُ
وتَقوى الله خَيرُ الزَّادِ ذُخْراً ... وعند الله للأَتْقَى مَزِيدُ
وما لا بُدَّ أَنْ يأتي قَرِيبٌ ... ولكنَّ الذي يَمضي بَعِيدُ

ثُمّ قال: أي بُنَيَّ، لا تَزهَدَنَّ في معروف، فإنّ الدَّهر ذُو صُرُوف، والأيام ذات نوائب، على الشاهد والغائب. فكم مِن راغب قَد كان مرغوباً إليه، وطالب أصبح مطلوباً ما لديه، واعلم أنّ الزَّمانَ ذُو ألوان، ومَن يصحب الزَّمَان يَرى الهَوَان، وكُنْ أَي بُنَيَّ كما قال أبو الأسود الدُّؤلي:

وَعُدّ مِن الرّحمٰن فَضلاً ونِعمة ... عليك إذا مَا جَاء للعُرفِ طالِبُ
وإنَّ امْرَأً لا يُرْتَجَى الخَيْرُ عِنده ... يَكُنْ هَيْناً ثِقلاً على مَنْ يُصَاحِبُ
فَلا تَمنعن ذا حاجَة جَاء طالِبا ... فإنَّك لا تدري متى أنت رَاغِبُ
رأيتُ التوا هذا الزّمان بِأهله ... وبينهمُ فِيه تكون النَّوائبُ[١]

ثُمّ قال: أي بُنيّ، كُن جَواداً بِالمال في موضع الحَقّ، بخيلاً بِالأسرارِ عن جميع الخَلق، فإنَّ أحمدَ جُود المرء: الإنفاق في وجه البَرّ، وإنّ أحمد بُخل الحُرّ: الضَّنُّ بمكتوم السِّرّ، وكُن كما قال قيس بن الخَطيم الأنصاري:

---

(١) المصائب.

أجـود بِـمـكـنـونِ الـتِّـلاد وإنَّـنِـي بِـسِـرِّكَ عـمَّـنْ سَـالَـنِـي لَـضَـنِـيـنُ
إِذَا جَـاوَزَ الاثـنـيـن سِـرٌّ فـإِنَّـهُ بِنَثٍّ[1] وتَكْثِيرِ الحَدِيثِ قَمِينُ
وعـنـدي لـه يَـومـاً إذا مـا ائـتَـمَـنْـتَـنِـي مـكـانٌ بِـسَـوْدَاءِ الـفُـؤَادِ مَـكِـيـنُ[2]

ثُمّ قال: أي بُنَيّ، وإن غُلِبت يَوماً على المال، فَلا تَدع الحِيلة على حال، فإنَّ الكريمَ يَحتال، والدَّنِيَّ عِيال، وكُنْ أحسنَ ما تكون في الظَّاهِرِ حَالاً، أَقلَّ ما تكون في الباطن مالاً، فإنّ الكريم مَن كَرُمَتْ طبيعته، وظهرت عند الإنفاد نعمته، وكُن كما قال ابن خَذّاق العَبدي:

وجـدتُ أبـي قَـد أَوْرَثَـهُ أَبُـوه خِـلالاً قَـدْ تُـعَـدّ مِـنَ الـمـعَـالِـي
فـأكـرمُ مـا تَـكـون عـلـيَّ نـفـسـي إِذَا مَـا قَـلَّ فـي الأزمـات مَـالِـي
فتحسن سِيرتي وأصونُ عِرضي ويَـجْـمُـل عـنـد أهـل الـرَّأي حَـالِـي
وإنْ نِـلْـتُ الـغِـنَـى لـم أُغْـلِ فـيـهِ ولـم أخصُصْ بجَفْوَتي[3] المـوَالِـي

ثُمّ قال: أيْ: بُنيّ، وإن سمعت كلمة مِنْ حَاسِدٍ، فَكن كأنَّك لست بِالشَّاهد، فإنَّك إن أمضيتها حيالها، رجع العَيب على مَن قالها، وكان يُقال: الأرِيبُ[4] العَاقِل، هو الفَطِن المتغافلِ، وكُنْ كَمَا قال حاتم الطَّائي:

ومَا مِنْ شِيمَتِي شَتْمُ ابنِ عَمِّي ومـا أنـا مُـخْـلِـفٌ مَـنْ يَـرْتَـجـيـنِـي
وكـلـمـة حَـاسَـد فـي غـيـر جُـرْمٍ سـمـعـت فَـقـلـتُ مُـرِّي فـانـقـذيـنـي
فـعـابُـوهـا عـلـيَّ ولـم تَـسُـؤنـي ولـم يـعـرَق لـهـا يـومـاً جَـبِـيـنـي
وذو الـلَّـوْنَـيـنِ يَـلـقـانـي طَـلِـيـقـاً ولـيـس إذَا تَـغَـيَّـب يَـأْتَـلِـيـنِـي

قال أبو علي: ما أَلَوْتُ: مَا قَصَّرْتُ، وما ألوت: ما استطعت.

---

(١) «نَثَّ الخَبَرَ يَنُثُّه ويَنِثُّهُ: أَفْشَاه» [القاموس المحيط: ١٧٧].
(٢) «مَكُنَ، ككَرُمَ، وتَمَكَّنَ، فَهو مَكِينٌ. الجمع: مُكَنَاءُ» [نفسه، ص١٢٣٥].
(٣) الجَفَاءُ: ضِدُّ الصِّلَة.
(٤) «أَرُبَ إِرَباً كصَغُرَ صِغراً، وأَرَابَةً، ككرامَة: عَقلَ» [القاموس المحيط: ٥٨].

سمعت بِعَيبه فصفحتُ عَنهُ مُحَافَظَةً[١] على حَسَبِي وَدِيني

قال أبو علي: ويُرْوَى: سمعت بِغيبة.

ثمّ قال: أي بُنَيّ، لا تُوَاخِ[٢] امرأً حتى تُعاشِرَهُ، وتَتفَقَّدَ مواردَهُ ومَصَادِرَهُ، فإذا استطعت العِشْرَةَ، ورَضِيت الخُبرة، فَوَاخِهِ على إقالة[٣] العَثْرة، والمواساةِ في العُسرة، وكُن كَمَا قال المُقنَّع الكِندي:

أُبْلُ[٤] الرِّجالَ إذا أردتَ إخاءَهُم وتَوَسَّمَنَّ فِعالهم وتَفَقَّدِ
فإذا ظَفِرت بِذي اللَّبَابة والتُّقَى فِيه اليَدَين قَريرَ عَينٍ فَاشْدُدِ
وإذا رأيتَ ولا مَحَالَةَ زَلَّةً فَعَلَى أخِيكَ بِفضلِ حلمك فازْدُدِ

ثُمّ قال: أيْ بُنَيَّ، إذا أحببتَ فَلا تُفرط، وإذا أبغضت فَلا تُشطِطْ[٥]، فَإنّه قد كان يُقال: أحبِبْ حبيبكَ هَوْناً مَا، وكُنْ كَمَا قال هُدْبَة بن الخَشْرَم العُذْرِي:

وكُنْ مَعْقِلاً للحلمِ واصْفَح عنِ الخَنَا[٦] فإنَّك راء مَا حَيِيتَ وسَامِعُ
وأحْبِبْ إذا أَحْبَبْتَ حُبًّا مقارِبا فإنَّك لا تَدري متى أَنْتَ نَازِعُ[٧]
وأبغض إذا أبغضت بُغْضاً مُقَارِباً فإنَّك لا تَدري متى أنت رَاجِع

وعَليك بِصُحبة الأَخيار وصِدق الحديث، وإيَّاك وصُحبة الأَشْرَار فإنَّه عَار، وكُنْ كَما قال الشاعر:

---

(١) «المُحَافَظَةُ: الذَّبُّ عن المَحَارِمِ، كالحِفَاظِ، والاسْمُ: الحَفِيظَةُ» [القاموس المحيط: ٦٩٥].
(٢) لا تُصَاحِب، ولا تُصَادِق.
(٣) «أقالَ اللَّهُ عَثرتك: أنهضك مِن سُقوطك» [المنجد الأبجدي: ١١٩].
(٤) اختَبِر.
(٥) «شَطَّ عليهِ في حُكمه يَشِطُّ شطِيطاً: جَارَ، كأَشَطَّ واشْتَطَّ» [القاموس المحيط: ٦٧٤].
(٦) الفحش.
(٧) «نَزَعَ عن الأُمورِ نُزُوعاً: انْتَهَى عَنْهَا» [القاموس المحيط: ٧٦٦].

اصْحَبِ الأَخْيَارَ وارْغَبْ فِيهِمُ ... رُبَّ مَنْ صاحبته مِثْلُ الجَرَبْ
ودَعِ النَّاسَ فَلاَ تَشْتُمْهُمُ ... وإذَا شاتَمْتَ فاشْتُمْ ذا حَسَبْ
إنَّ مَن شَاتَمَ وَغْداً[1] كَالذِي ... يَشْتَري الصُّفْرَ[2] بأعيان الذَّهَبْ
واصْدُقِ النَّاسَ إذَا حَدَّثْتَهُم ... ودَعِ النَّاسَ فَمَن شاءَ كَذَبْ

[نفسه ص٤٤٩ ـ ٤٥١]

❊ ❊ ❊

➢ شعر في نصر ابن العَمِّ:

قال أبو علي: قرأت على أبي بكر رحمه الله مِن كتابه قال: قرأت على الرِّياشي للأعور الشَّنِّي ـ قال أبو علي: ويُقال إنّها لابن خَذَّاق:

لقد علمتْ عميرةُ أنَّ جَارِي ... إذَا ضَنَّ[3] المُنَمِّي مِنْ عِيَالِي

قال أبو علي: قال أبو بكر: أَنْكَر الرِّياشي المُنَمِّي، وقال: لعلَّه حَرفٌ آخَرُ، ويُرْوَى: المُثَمِّرُ مِن عِيَالي. قال أبو علي: المُثَمِّرُ والمُنَمِّي واحد في المعنى، لأنَّه يُقَال: نَمَى المالُ يَنْمِي، ونَمَّيته أنَا وأَنْمَيْتُه.

فإنِّي لا أضَنُّ على ابنِ عَمِّي ... بِنَصْرِي في الخُطُوبِ[4] ولا نَوَالِي
ولستُ بِقائِلٍ قَوْلاً لأَحْظَى ... بِقول لا يُصَدِّقُه فَعَالِي
ومَا التَّقْصيرُ قَد عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... وأَخْلاقُ الدَّنِيَّةِ مِنْ خِلاَلِي[5]
وَجدتُ أبي قد اورَثَهُ أَبُوه ... خِلاَلاً قَدْ تُعَدُّ مِنَ المعَالِي

(١) «الوَغْدُ: الأحمق الضَّعيفُ، الرَّذْلُ الدَّنِيءُ» [القاموس المحيط: ٣٢٦].
(٢) «الصُّفْرُ، بِالضَّمِّ: مِن النُّحَاس. وصَانِعه: الصَّفَّار» [نفسه، ص٤٢٥].
(٣) ضَنَّ: بَخِل.
(٤) «الخَطْبُ: الشَّأْنُ، والأَمْرُ صَغُرَ أو عَظُمَ، الجمع: خُطُوبٌ» [القاموس المحيط: ٨٠].
(٥) «الخَلَّةُ: الخَصْلَةُ، الجمع: خِلاَلٌ» [القاموس المحيط: ٩٩٤].

فـأكـرمُ مـا تَـكـون عَـلـيَّ نَـفْـسِـي … إذا مَـا قَـلَّ فـي الأزَمـاتِ مَـالِـي
فَتَخْسُنُ سِيرَتي وأصونُ عِرضي … وتجمُلُ(١) عند أهل الرَّأيِ حَالِي
وإنْ نِـلْـتُ الـغِـنَـى لَـمْ أُغْـلِ فِـيـه … ولـم أخْـصُـص بـجـفـوتـيَ الـمـوالِـي
ولـم أقـطـع أخـاً لأخٍ طَـريـفٍ … ولـم يَـذْمُـمْ لِـطُـرْفَـتِـهِ وِصَـالِـي
وقد أصبحتُ لا أحتَاجُ فِيمَا … بَلَوْتُ مِن الأمُورِ إلى سُؤَالِ
وذٰلك أنَّني أدَّبْتُ نفسِي … ومَاحَلْتُ(٢) الرِّجَالَ ذَوِي المِحَالِ
إذا مَـا الـمـرء قَـصَّـرَ ثُـمَّ مَـرَّتْ … عـلـيـه الأربـعـونَ مـنَ الـرِّجـالِ

[نفسه ص٤٥٥]

❋ ❋ ❋

ذُمِمْتَ ولم تُحْمَدْ:

قال أبو علي رحمه الله: حدَّثنا أبو عبدالله قال: حَدَّثنا محمد بن عيسى الأنصاري، عن ابن عائشة، قال: سأل عبدالرَّحمٰن بن حسَّان رجلاً حاجة فَقَصَّر فيها فسألها غَيره فقضاها، فكتب عبدالرَّحمٰن إلى الأوَّل:

ذُمِمْتَ ولم تُحْمَدْ وأَدْرَكْتُ حَاجَتي … تَوَلَّى سِوَاكُم شُكْرَها واصْطِناعَهَا
أبَى لَكَ فِعْلَ الخَيْرِ رأيٌ مُقَصِّرٌ … ونَفْسٌ أضَاقَ اللَّهُ بالخيرِ بَاعَهَا
إذا هي حَثَّتْهُ على الخَيْرِ مَرَّةً … عَصَاها وإنْ هَمَّتْ بِسُوءٍ أطاعَها

[نفسه ص٤٦٨]

❋ ❋ ❋

(١) تحسن.

(٢) «المِحَالُ، ككِتَابٍ: المُعَادَاةُ، كالمُمَاحَلَة» [القاموس المحيط: ١٠٥٦].

➤ فضل المال والغِنى:

قال أبو علي: أنشدنا أبو عبدالله، قال: أنشدنا أحمد بن يَحيى:

أتَيتُ بني عَمّي ورهطي فلم أجِد ... عليهم إذا اشتدّ الزَّمانُ مُعَوَّلاَ
ومَنْ يفتَقِرْ في قَومه يَحْمَدِ الغِنَى ... وإن كَان فيهم مَاجِدَ العَمِّ مُخْوِلا[1]
يَمُنُّون إنْ أعْطَوا ويبخلُ بَعْضُهم ... ويَحسبُ عَجْزاً سَمْتَهُ إن تَجَمَّلا[2]
ويُزْرِي[3] بِعقلِ المَرْءِ قِلَّةُ مالِهِ ... وإن كَان أقوى من رِجَالٍ وأخْوَلاَ
فإنَّ الفَتَى ذا الحَزْمِ رَامٍ بنفسه ... حَوَاشِيَ هٰذا اللَّيل كي يَتَمَوَّلا[4]

[نفسه ص٤٦٩]

❊ ❊ ❊

➤ فضل الغِنى وآثار الفَقر:

أنشدنا أبو بكر لعُروة بن الورد:

قُلتُ لركبٍ في الكنِيفِ[5] تَرَوَّحُوا[6] ... عَشِيَّةَ بِتنا عندَ مَاوَانَ رُزَّحِ
تَنَالُوا الغِنَى أو تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكم ... إلى مُسْتَرَاحٍ مِن عَنَاءٍ مُبَرِّحِ
ومَنْ يَكُ مِثلِي ذا عِيَالٍ ومُقْتِراً ... يُغَرِّرْ ويَطْرَحْ نفسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ

---

(١) «رَجُلٌ مُعمٌّ مُخْوَلٌ، كمُحْسِنٍ ومُكْرَمٍ، ومُخَالٌ مُعَمٌّ، بضمّهما: كَرِيمُ الأعْمَامِ والأخْوَالِ» [القاموس المحيط: ٩٩٦].

(٢) «تَجمَّلَ: تَزَيَّنَ» [القاموس المحيط: ٩٧٩].

(٣) يعيب.

(٤) «مُلْتَ تَمَالُ ومِلْتَ وتَمَوَّلْتَ واستَمَلْتَ: كَثُرَ مَالُكَ» [القاموس المحيط: ١٠٥٩].

(٥) «الكنِيفُ: حَظِيرَةٌ مِن شَجَرٍ للإبِلِ» [القاموس المحيط: ٨٥٠].

(٦) «الرَّوَاحُ: العَشِيُّ، أو مِن الزَّوال إلى اللَّيلِ. ورُحْنَا رَوَاحاً، وتَرَوَّحْنَا: سِرْنَا فِيه» [نفسه، ص٢٢١].

لِيُبْلِغَ عُذراً أو يُصِيبَ رَغِيبَةً ... ومُبلغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مثلُ مُنْجِحِ

قال أبو علي: مَاوَانُ: مَاءٌ لبني فَزارة. والرَّازح: الذي قَد سقط من الهُزَال والإعياء، والجَميعُ رُزَّحٌ.

[نفسه ص٤٧٩]

❋ ❋ ❋

➢ وأُوثِرُ ضَيفي ما أقام على أهلي:

قال أبو علي رحمه الله: أنشدنا أبو بكر، قال: أنشدنا أبو عُثمان، عن التَّوزِي، عن أبي عُبيدة لمعن بن أوس:

لعمرُكَ ما أَهْوَيتُ كفِّي لريبَةٍ ... ولا حَمَلَتْني نَحوَ فاحِشَةٍ رِجْلِي
ولا قادَني سَمعي ولا بَصري لها ... ولا دَلَّنِي رَأيي عليها ولا عَقْلي
وأعلمُ أنِّي لم تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ ... منَ الدَّهرِ إلاَّ قد أصابَتْ فتًى قَبْلِي
ولستُ بِمَاشٍ مَا حَيِيتُ بِمُنْكَرٍ ... منَ الأمرِ مَا يَمْشي إلى مِثْلهِ مِثْلِي
ولا مُؤْثِراً نَفْسِي على ذِي قَرَابَتِي ... وأُوثِرُ ضَيْفِي ما أقام على أهلِي

[نفسه ص٤٧٩]

❋ ❋ ❋

➢ بذل المعروف والإنصاف:

قال أبو علي رحمه الله: حدَّثنا أبو بكر بن الأنباري رحمه الله قال: حَدّثني أبي، قال: حدَّثنا أحمد بن عبيد، عن سهل بن محمد، قال: اجتمع الشُّعراء بباب الحجّاج وفيهم الحكم بن عَبدل الأسدي فقالوا: أصلح الله الأمير، إنّما شعر هٰذا في الفأر ومَا أشبهه، قال: ما يقول هؤلاء يا ابن عبدل؟ قال: اسْمَع أيّها الأمير، قال: هَاتِ، فأنشده:

وإنّي لأَسْتَغْنِي فَما أَبْطَرُ[١] الغِنَى ... وأغرِضُ مَيسُورِي[٢] لمن يَبْتَغي عِرْضي
وأُعْسِرُ أَحياناً فَتشتدُّ عُسْرَتِي ... فَأدرِكُ مَيسورَ الغنى ومعي عِرضِي
وما نالني حتَّى تَجَلَّتْ فأَسْفَرَتْ ... أَخُو ثِقةٍ فيها بِقَرْضٍ ولا فَرْضِ
ولكنَّه سَيْبُ الإلٰهِ وحِرْفَتِي ... وشَدِّي حَيَازِيمَ[٣] المَطِيَّةِ[٤] بِالغَرْضِ
لأُكْرِمَ نَفْسِي أَنْ أَرَى مُتَخَشِّعاً ... لِذِي مِنَّةٍ يُعْطِي القَلِيلَ على النَّحْضِ
قَدَ امْضَيْتُ هٰذا في وَصِيَّةِ عَبْدَلٍ ... ومِثْلَ الذي أَوْصَى بِهِ وَالِدي أُمْضِي
وأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وتَصْفُو خَلِيقَتِي ... إذَا كُدِّرَتْ أَخْلاَقُ كُلِّ فَتًى مَحْضِ[٥]
وَأَقْضِي على نَفْسِي إذا الحَقُّ نَابَنِي[٦] ... وفي النَّاسِ مَن يُقْضَى عليه ولا يَقْضِي
وأُمْضِي هُمُومِي بِالزَّمَاعِ[٧] لِوَجْهِها ... إذا مَا الهمومُ لم يكَدْ بعضُها يمضِي
وأستنقِذ المولَى منَ الأَمْرِ بَعدَما ... يَزِلُّ كمَا زَلَّ البَعِيرُ عن الدَّحْضِ
وأَمْنَحُهُ مَالِي وَوُدِّي ونُصْرَتِي ... وإنْ كَان مَحْنِيَّ الضُّلُوعِ على بُغْضِي
ويَغمره سَيْبِي[٨] ولو شِئْتُ نَالَهُ ... قَوارِعُ تَبري العَظْمَ مِنْ كَلِمٍ مَضِّ
ولستُ بِذِي وَجْهَينِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ ... ولا البُخْلُ فاعْلَمْ مِن سَمَائي ولاَ أَرْضِي

قال: فلمّا سمع الحجّاج هٰذا البيت:

ولستُ بذي وَجْهَينِ فِيمن عَرَفْته ... .

---

(١) «البَطَرُ، محرّكة: الأَشَرُ، وقِلَّةُ احْتِمَال النِّعمة» [القاموس المحيط: ٣٥٢].
(٢) «المَيْسُورُ: مَا يُسِّرَ، أو هو مصدر على مَفعول» [نفسه، ص٥٠٠].
(٣) «الحَزِيمُ، كأمِير: الصَّدْرُ، أو وَسطه، كالحَيْزُوم فِيهما، الجمع: أَحْزِمَةٌ وحُزُمٌ» [القاموس المحيط: ١٠٩٣].
(٤) الرّاحلة.
(٥) خَالِص.
(٦) أصابَني.
(٧) «الزَّمِيعُ، كأمِير: السَّرِيعُ، والشُّجاع يزمَعُ بالأمرِ ثُمّ لا ينثَنِي، والجَيِّدُ الرَّأي المُقْدِمُ على الأمورِ، والاسم منهما: كسَحَاب» [القاموس المحيط: ٧٢٥].
(٨) «السَّيْبُ: العطاءُ» [القاموس المحيط: ٩٨].

فَضَّله على الشُّعَراء بجائزة ألف درهم في كُلِّ مَرَّة يُعطيهم.

قال أبو علي: الغَرْضُ والغُرْضةُ والسَّقِيفُ والبِطَانُ والوَضِينُ: حِزَام الرَّحْلِ.

والنَّحْضُ: اللَّحْمُ، ونَحَضْتُ اللَّحْمَ عن العَظمِ نَحْضاً إذا عَرقته.

والدَّحْضُ: الزَّلَقُ. والمَضُّ: مصدر مَضَّهُ يَمُضُّهُ مَضًّا فأقام المصدر مقام الفاعل، كما قالوا: رَجلٌ عَدْلٌ، أي: عَادِلٌ.

[نفسه ص٥٠٣]

* * *

ولستُ أَرى السَّعادة جمع مَالٍ:

قال الحُطيئة:

ولستُ أَرَى السَّعَادَةَ جمعَ مَالٍ ... ولٰكنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ

وأنشد ابن الأعرابي:

المالُ يغشى رِجَالاً لا طَبَاخَ[1] لَهُمْ ... كالسَّيْلِ يَغْشَى أُصُولَ الدِّنْدِنِ البَالي

وهذا البيت في شعر لعمَّار الكلبي أوّله:

قِفْ بِالعُوَيْرِ على أَبْلاءِ أَطْلالِ[2] ... كأنَّها حُلَلٌ أو خَطُّ تِمْثَالِ

الفَقْرُ يُزْرِي بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ ... ورُبَّمَا سَادَ جِبْسُ القومِ بِالمالِ

وفيه يقول:

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لا أُدَنِّسُهُ ... لا باركَ الله بَعْدَ العِرْضِ في المالِ

(١) «الطَّبَاخُ، كسَحاب، ويُضمّ: الإحكامُ، والقُوَّة» [القاموس المحيط: ٢٥٥].

(٢) جمع طَلَلٍ وهو مَا شَخص من آثار الدَّار.

أحتالُ للمال إنْ أَوْدَى فأَجْمَعُهُ ... ولستُ للعرضِ إنْ أودى بِمُحْتَالِ

الجِبْسُ: اللَّئيمُ. وقوله: لا طباحَ لهم: أي: لا قُوّة ولا طاقَة، قاله الخَلِيلُ.

وقال فضالة بن زَيد العدواني:

وَمَا العَيْشُ إلاَّ المالُ فَاحْمَدْ فُضُولَهُ ... ولا تُهْلِكَنْهُ مِنَ الضَّلاَلِ فَتَنْدَمِ
إذَا جَلَّ[1] خَطْبٌ[2] صُلْتَ[3] بِالمالِ حَيثما ... تَوَجَّهْتَ مِنْ أَرضٍ فَصيح وأَعجمِ
وهابَكَ أقوام وإنْ لم تُصِبْهُمُ ... بنفع ومَنْ يَسْتَغْنِ يُحْمَدْ ويُكْرَمِ
ويُعْطَى الذِي يَبغِي وإِنْ كَانَ بَاخِلاً ... بِما في يَدَيْهِ مِنْ مَتَاعٍ ودِرْهَمِ

وقال لعبيد:

وَمَا البِرُّ إلاَّ مُضْمَراتٌ منَ التُّقَى ... ومَا المالُ إلا مُضمراتُ وَدَائِع

وقال حاتم الطّائي:

لعمرُكِ مَا يُغني الثَّرَاءُ عنِ الفَتَى ... إذَا حَشْرَجَت[4] يوماً وضاقَ بِها الصَّدْرُ
أَمَاوِيَّ إنَّ المالَ غَادٍ ورائِحُ ... ويَبْقَى مِنَ المالِ الأَحَادِيثُ والذِّكْرُ

وقال الشّماخ:

لمالُ المرءِ يُصلحه فيُغْنِي ... مَفَاقِرَهُ أعَفُّ مِنَ القُنُوعِ

وقال المتلمس:

---

(١) عَظُمَ.
(٢) «الخَطْبُ: الشأْنُ، والأَمْرُ صَغُرَ أَوْ عَظُمَ. الجمع: خُطُوبٌ» [القاموس المحيط: ٨٠].
(٣) صَالَ عَلَىٰ قِرْنِهِ صَوْلاً: سَطَا واسْتَطَال.
(٤) «الحَشْرَجَةُ: الغَرْغَرَةُ عندَ الموت، وتَرَدُّدُ النَّفَسِ» [القاموس المحيط: ١٨٤].

لَحِفْظُ المَرْءِ أَيْسَرُ مِنْ بغاه وضربك في البلادِ بِغيرِ زَادِ
قَلِيلُ الماء يُصلحه فيبقى ولا يَبقى الكَثيرُ مع الفَسَادِ

. . . وقال آخر:

إذَا قَلَّ مَالُ المرءِ قَلَّ صَفَاؤُهُ وضاقَتْ عليهِ أَرْضُهُ وسَمَاؤُهُ
وأصبحَ لا يَدْرِي وإن كَان حَازِماً أَقُدَّامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ
إذَا قَلَّ مَالُ المرءِ لم يَرْضَ عَقْلَهُ بَنُوهُ ولم يَغْضَبْ لَهُ أولِياؤه
فإنْ مَاتَ لم يُفْقَدْ ولم يَحْزَنُوا لَهُ وإنْ عَاشَ لم يَسْرُرْ صَدِيقاً بَقَاؤُهُ

وقال أبو اليقظان: ما سَاد في الجَاهلية مُمْلِقٌ[1] إلاَّ عتبة بن رَبيعة.

. . . وقال المعلوط:

ومَا سَوَّدَ المالُ الدَّنيءَ ولاَ دَنَا لِذَاكَ ولكنَّ الكرِيمَ يَسُودُ

وقال عروة بن الورد:

ومَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيالٍ ومُقْتِراً[2] مِنَ المالِ يَطْرَحْ نفسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ
لِيَبْلُغَ عُذراً أو يُصِيبَ غَنِيمَةً ومُبْلِغُ نَفسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ[3]

هذان البيتان أنشدهما ابن قتيبة لأوس بن حجر، وخالفه حبيب وغيره فأنشدهما لعروة.

وقال عروة بن الورد:

إذَا المرءُ لم يَطْلُبْ مَعَاشاً لِنَفْسِهِ شَكَا الفَقْرَ أَوْ لاَمَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا

---

(١) فَقِيرٌ.

(٢) ضَيِّقُ المعيشة.

(٣) «أَنْجَحَ زَيْدٌ: صَارَ ذَا نُجْحٍ (فَوْز)» [القاموس المحيط: ٢٤٣].

وصَارَ عَلى الأَدْنَيْنَ كَلاً[١] وأَوْشَكَتْ صِلاتُ ذَوِي القُرْبَى لَهُ أَنْ تَنكَّرَا

وقال منصور الفقيه:

إذَا المرءُ لم يَطْلُبْ مَعَاشاً لِنَفْسِهِ وَهَى[٢] نَعْلُهُ أَوْ بَاعَ في السُّوقِ خُفَّهُ
ولم يَكُ مَأْمُوناً على مَالِ جَارِهِ إذا ما رآه خَالِياً أَنْ يَلُفَّهُ

وقال الفرزدق:

والمالُ بَعْدَ ذَهَابِ المالِ يُكْتَسَبُ

قال إبراهيم النَّخعي: إنّما أهلك النّاس فُضول الكلام وفُضول المال.

ولِعُبيدالله بن عبدالله بن عتبة الهذلي الفقيه:

أَعاذِلُ عَاجِلُ ما أَشْتَهِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الرَّائِثِ[٣]
سَأَحْبِسُ مَالِي عَلى حَاجَتِي وأُوثِرُ نَفْسِي عَلى الوَارِثِ

وقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جَعفر:

أَرَى نَفْسي تَتُوقُ إلى أُمُورٍ ويَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي
فنفسي لا تُطاوعني لِبُخلٍ ومَالِي لا يُبَلِّغُني فعَالِي

وقال أعرابيّ:

إذا مَا الفَتَى لم يَبْغِ إلاّ لِبَاسَهُ ومَطْعَمَهُ فالخَيْرُ مِنْهُ بَعِيدُ
يُذَكِّرُنِي صَرْفَ الزَّمَانِ ولَمْ أَكُنْ لأَهْرُبَ مِمَّا ليسَ مِنهُ مَحِيدُ
فَلو كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقُرِّبَ مَجْلِسِي وقِيلَ إذا أخطأتُ: أنتَ رَشِيدُ

---

(١) الثَّقِيلُ لا خَيرَ فيه.
(٢) تَخرَّق وانْشَقَّ.
(٣) البَطِيءُ.

فَذَرْنِي أُجَوِّلُ فِي البِلادِ لَعَلَّهُ ... يُسَرُّ صَدِيقٌ أَوْ يُسَاءُ حَسُودُ

وقال آخر:

أَنْتَ لِلْمَالِ إذا أَمْسَكْتَهُ ... فإذا أنفقتَهُ فالمَالُ لَكْ

وقال قَيس بن عاصم:

سَأُودِعُ مَالِي الحمدَ والأَجْرَ كُلَّهُ ... فَلاَ أَجْرُ في الدُّنْيَا ولا الحمدُ دَائِمُ
فَرِحْتُ بِمَا قَدَّمْتُ مِنْهُ وإِنَّنِي ... على حُسْنِ ما أَخَّرْتُ منهُ لَنَادِمُ

كان يُقال: شَرُّ مَالِك مَا لَزمك إثمُ مكسبك، وحُرِمت لذّة إنفاقه.

قال الشاعر:

ذَهَابُ المال في حَمْدٍ وأَجْرٍ ... ذَهَابٌ لا يُقَالُ له ذَهَابُ

وقال آخر:

وحِفْظُكَ مَالاً قَدْ عُنِيتَ بِجَمْعِهِ ... أَشَدُّ مِنَ المالِ الذي أنتَ طَالِبُهْ

...قال محمود الوَرَّاق:

هَاكَ الدَّلِيلَ لِمَنْ أَرَا ... دَ غِنَى يَدُومُ بغيرِ مَالِ
وأَرَادَ عِزًّا لم تُوَطِّـ ... ـدْهُ العَشَائِرُ بالقِتَالِ
ومَهَابَةً مِنْ غَيْرِ سُلْـ ... ـطَانٍ وجَاهاً في الرِّجَالِ
فَلْيَعْتَصِمْ بِدُخُولِهِ ... في عِزِّ طَاعَةِ ذِي الجَلاَلِ
وخُرُوجِهِ مِنْ ذِلَّةِ الـ ... ـعَاصِي لَهُ في كُلِّ حَالِ

وقال النَّمر بن تولب:

خَاطِرْ بِنَفسك كَيْ تُصيبَ رَغِيبةً ... إنَّ الجُلُوسَ مَعَ النِّسَاءِ قَبِيحُ
فالمَالُ فِيهِ تَجِلَّةٌ ومَهَابَةٌ ... والفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وفُضُوحُ

وقال آخر:

ويُزْري بِعَقْلِ المرءِ قِلَّةُ مَالِهِ ... تُحَمِّقُهُ الأقوامُ وَهْوَ لَبِيبُ

وقال حسَّان بن ثابت الأنصاري رَضي الله عنه:

رُبَّ حِلْمٍ أضاعَهُ عَدَمُ المَا ... لِ وجَهْلٍ غَطَّى عَليهِ النَّعِيمْ

وقال الخريمي وهو أبو يعقوب:

العَيْشُ لا عَيْشَ إلاَّ مَا قَنِعْتَ بِهِ ... قَدْ يَكْثرُ المالُ والإنسانُ مُفْتَقِرُ

وقال أميّة بن أبي الصَّلت:

إذا اكتسب المالُ الفتى مِنْ وُجوهِهِ ... وأحسنَ تَدْبيراً لهُ حِينَ يَجْمَعُ
ومَيَّزَ في إنفاقِهِ مَا بين مُصْلِحِ ... مَعِيشَتَهُ فِيمَا يَضُرُّ ويَنْفَعُ
وأَرْضَى بِهِ أَهلَ الحُقوقِ ولَمْ يُضِعْ ... به الذُّخْرُ زَاداً للتِي هي أنفَعُ
فذَاكَ الفتى لا جَامِعُ المالِ ذَاخِراً ... لأولادِ سُوءٍ حَيْثُ جَاؤُوا وأرْضَعُوا

وقال كُثَيِّرٌ:

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عَطاءَهُ ... صَنِيعَةُ نُعْمَى أَو خَلِيلٌ تُوَامِقُهُ[1]
بَخِلْتَ وبَعْضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ ... فَلَم يَفْتلتك المالَ إلاَّ حَقائِقه

وقال محمود الورّاق:

ولَمْ أَرَ مِثْلَ الفَقْرِ أَوْضَعَ للفَتَى ... ولَمْ أَرَ مِثْلَ الماءِ أَرْفَعَ للنَّذْلِ
ولم أَرَ عِزًّا لامْرِئٍ كَعَشِيرَةٍ ... ولم أرَ ذُلاً مثلَ نَأْيٍ[2] عن الأَهْلِ
ولم أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ على الفَتَى ... إذا عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ العَقْلِ

---

(١) تُحِبُّه.

(٢) بُعْد.

وقال آخر:

الفَقْرُ يُزْرِي بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ ... وقَدْ يُسَوِّدُ غَيرَ السَّيِّدِ المَالُ

. . . كان يُقال: خَصلتان مذمومتان: الاستطالَةُ[١] مع السَّخَاءِ، والبَطر[٢] مَعَ الغِناء.

قال أعرابيّ مِن بَاهلة:

سَأُعْمِلُ نَصَّ[٣] العِيسِ[٤] حَتَّى يَكُفَّنِي ... غِنَى المال يَوْماً أَو غِنَى الحَدَثانِ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا ... على الحُرِّ بالإقلالِ وَسْمُ هَوَانِ
كأنَّ الغِنَى في أهلِهِ بُورِكَ الغِنَى ... بِغيرِ لِسَانٍ ناطِقٌ بِلِسَانِ

وقال يَحيى بن حكم الغَزال وتُروى لغيره ابن المعتزّ أو غيره:

إذا كُنْتَ ذا ثَرْوَةٍ مِنْ غِنًى ... فأنتَ المُسَوَّدُ في العَالَم
وحَسْبُكَ مِنْ نَسَبٍ صُورَةٌ ... تُخَبِّرُ أنَّك مِنْ آدمِ

وللغزالِ أيضاً:

إنِّي حَلَبْتُ الدَّهرَ[٥] أصْنَافَ الدِّرَرْ[٦] ... فَمَرَّةً حُلْوٌ وأَحْيَاناً مِقَرْ[٧]
وعَلْقَماً[٨] حِيناً وأَحْيَاناً صَبِرْ[٩] ... وجُلُّ مَا يَسْقِيكَهُ الدَّهرُ كَدَرْ

---

(١) تَفضَّلَ.
(٢) التَّكَبُّرُ.
(٣) «نَصَّ نَاقَتَهُ: اسْتَخْرَجَ أَقصى ما عِندها من السَّيْرِ» [القاموس المحيط: ٦٣٢].
(٤) الإبل.
(٥) الزمن.
(٦) «الدِّرَّة بِالكسر: كثرةُ اللَّبن وسَيلانه. والجمع: دِرَرٌ» [مختار الصحاح: ٨٥].
(٧) مُرٌّ.
(٨) «العَلْقَمُ: الحَنظَلُ، وكلُّ شيء مُرٌّ» [القاموس المحيط: ١١٤٠].
(٩) «الصَّبِرُ: عُصَارَة شَجَرٍ مُرٌّ» [نفسه ص٤٢٢].

فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً مِنَ الفَقْرِ أَمَر ... أَلاَ تَرَى أكثر مَن فِيها يَفِر
مخافة الفقرِ إلى نارِ سَقَر

وقال آخر:

لعمرُك إنَّ القَبْرَ خَيْرٌ مِن الفَقْرِ ... لِمَنْ كَان ذَا يُسْرٍ وعَادَ إلَى عُسْرِ

ولعروة بن الورد:

دَعِيني للغنى أَسْعَى فإنِّي ... رأيت النَّاسَ شَرُّهُمُ الفَقِيرُ
وأحقرُهم وأهونهم عَلَيهم ... وإنْ أمسى لهُ كَرَمٌ وخِيرُ
يُباعِدُهُ الخَلِيلُ وتَزْدَرِيهِ[1] ... حَلِيلَتُه[2] ويَنْهَرُهُ[3] الصَّغِيرُ
وتَلْقَى ذَا الغِنَى ولهُ جَلاَل ... يَكادُ فُؤَادُ صَاحِبهِ يَطِيرُ

وقال آخر:

رأيتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالِي ... وأكثرت الغَرَامَةَ[4] ودَّعُوني
فَلمَّا أَنْ غَنِيتُ وثَابَ[5] وَفْرِي[6] ... إذَا هُمُ ـ لا أبَ لَكَ ـ رَاجَعُوني

وقالوا: بقدر ما يُعطى الغنِيُّ من الإيسار، يُعطى من الإجلال، وبقدر ما ينزل بِالفقير من فقر يذهب بَهاؤه[7] وتَتَّضع[8] منزلته، حتى يَتّهمه مَن كان يأمنه، ويسيء بِه الظَّنّ مَن كَان يَثق بِه.

---

(١) تعيبه.
(٢) زوجته.
(٣) زَجَره.
(٤) الغَرَامَةُ: ما يَلزمُ أَدَاؤُهُ كالغُرْمِ.
(٥) رَجع.
(٦) الوَفْرُ: الغِنَى.
(٧) جَمَالُه.
(٨) تَنحَطُّ.

ومحاسن الغنيّ مَساوئ الفقير، إذا كَان جواداً قالوا: مُبَذِّر، وإنْ كَان لَسِناً[١] قالوا: مِهْذَارٌ[٢]، وإن كَان شُجاعاً، قَالُوا: أهوج[٣]، وإن كَان حَليماً صموتاً، قالوا: عَيِيّ[٤] بَليد، وكلّ شيء هو للغنيّ مدح هو للفقير ذَمٌّ.

قال الشاعر:

لعمرُكَ إنَّ المالَ قَد يَجعلُ الفَتَى ... سَنِيًا[٥] وإنَّ الفَقْرَ بالمرءِ قَدْ يُزْرِي
فَمَا رَفَعَ النَّفْسَ الدَّنِيئَةَ كَالغِنَى ... ولا وَضَعَ النَّفْسَ الكَرِيمَةَ كَالفَقْرِ

وقال حبيب:

لا تُنكري عَطَلَ[٦] الكريمِ منَ الغِنَى ... فالسَّيلُ حَرْبٌ للمكانِ العَالِي

[«بهجة المجالس وأنس المجالس» للقُرطبي، تحقيق: محمد مرسي الخُولي، ج١/١٩٦ - ٢١٠]

❋ ❋ ❋

➤ البَخيلُ تَعَجَّلَ فَقْراً!!

قال أسماء بن خارجة، لو لَمْ يدخُل على البُخلاء في بُخلهم إلاَّ سُوءُ ظنّهم بِرَبِّهم في الخَلَفِ لكان ذٰلك عَظيماً.

قال زُهير:

ومَنْ يَكُ ذَا فَضلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ ... على قَومِهِ يُسْتَغْنَ عنهُ ويُذْمَمِ

(١) فَصيحًا.
(٢) كثير الكلام.
(٣) أحمق.
(٤) الذي لا يُفصح.
(٥) السَّنَاءُ: الرِّفعة.
(٦) عَطِلَتِ المرأةُ: إذا لم يكن عليها حَلْيٌ.

وقال محمد بن يَسير:

كم مَانِع نفسه لذّاتها حذرا ... للفقرِ ليس له مِن مَالِهِ ذُخْرُ
إنْ كانَ إمْسَاكُه للفَقرِ يَحْذَرُهُ ... فقد تَعَجَّل فَقْراً قبل يَفْتَقرُ

وقال آخر:

ما أعلم النَّاسَ أنَّ الجُودَ مَدْفَعَةٌ ... للبُخلِ لكنَّهُ يأتِي على النَّشَبِ[١]

وقال ابن مُطير الأسدي:

ومَا الجُود عن فقر الرِّجَال ولا الغِنى ... ولكنّه خِيمُ الرِّجال وخِيرُها

وقال آخر:

إنّي امرُؤٌ أَجْزِي الكريمَ بِوُدِّهِ ... وأصدُّ عن وصلِ اللّئيمِ وأَقْطَعُ

وقال منصور الفقيه:

جَهِلُوا القِياسَ لِلُطْفِهِ فَتوهَّمُوا ... أنّ البَخِيلَ وكَلْبِهِ مِثْلاَنِ
والكلب يَحفظ أهله ويَقِيهُمُ ... ويَكُفُّ طَارِقَهمْ[٢] عن العُدْوَانِ
والنَّذْلُ يُوحِشُ أَهلَهُ ويُجِيعُهُم ... ويحضُّ ناصرهم على الخِذْلاَنِ

قال أردشير: احْذَرُوا صولة الكريم إذا جَاعَ، واللَّئيم إذا شبع، واعلموا أنّ الكِرام أصبرُ نُفُوساً، واللّئام أصبرُ أجساماً.

قال الشاعر:

إنَّ ذا اللُّؤم إذا أَكْرَمتَهُ ... حسب الإكرام حَقًّا لَزِمَكْ
وأخا الفَضلِ إذا أكرمته ... لم يُصَغِّرك ولكن عَظَّمَكْ

---

(١) «النَّشَبُ والنَّشَبَةُ، محرّكتين، والمَنْشَبَةُ: المالُ الأصِيلُ منَ النَّاطِقِ والصَّامِتِ» [القاموس المحيط: ١٣٨].
(٢) الطَّارق: الذي يأتي لَيْلاً.

قال أبو الطَّيِّب المتنبِّي:

إذا أنت أكرمتَ الكريم مَلَكته ... وإن أنت أكرمتَ اللئيمَ تَمَرَّدَا

وقال آخر:

أراك تُؤَمِّلُ حسن الثَّنا ... ءِ ولم يرزُق الله ذَاكَ البَخِيلاَ

وقال آخر:

تُريدين أَنْ أرضَى وأنت بَخِيلَةٌ ... ومَنْ ذا الذي يُرضي الأَخِلاَّءَ بِالبخلِ

وقال آخر:

نَدَبْتُكُمْ لِنفعِي أَنْ قَدَرْتُم ... فَلم أَرَ فِيكم حُرًّا كَرِيما
وما لِيَ عندكم ذَنبٌ أَرَاه ... سِوَى أنّي عرفتكمُ قَدِيمَا

وقال زيد بن عمرو النَّخعي:

لقد كذب المعاشِرُ حين قَالُوا ... عليٌّ والمخارِقُ سَيِّدَانِ
هُمَا حَجَرانِ مِن جَبلٍ صَلُودٍ ... إذا قِيلَ ارْشَحَا لا يَرْشَحَانِ
فَلولا البُخلُ إنّ البُخْلُ عَارٌ ... أبا عمرٍو إذاً أعجبتمَانِي

وقال ابن أبي فَنَن:

وإنَّ أحَقَّ النَّاسِ بِاللُّومِ شاعِرٌ ... يَلُومُ على البُخلِ الرِّجالَ ويَبْخَلُ

قال الحُطيئة:

سُئلت فَلم تَبخل ولم تُعْطِ طائِلاً ... فَسِيَّان لا ذَمٌّ عليك ولا حَمْدُ

وقال منصور الفَقيه:

زَاد البَخِيلِ إذا مَضَى لِسَبِيلِهِ ... ذَمُّ العِدَا وقطيعة الوزّاث
وأخو السَّمَاح فَحَظُّه مِن أهْلِه ... ومِن الغَرِيب مَدَائِحٌ ومَرَاثِ

. . . ولمنصور الفقيه أيضاً:

إذا تَغَدَّوا ربطوا قِطَّهُم[١] بُخْلاً بِما تَطرحُه المائِدَهْ
مَا عرضت قَطُّ لهم تُخْمَةٌ ولا تَشَكَّوْا مَعِدَةً فاسِدَهْ

قال الحسن بن هانئ:

وباخلٍ جئتُه فَقدّم لِي كِسرةَ خبز وعَينُه عَبْرَى
فقال: ما تَشتهي فقلت له: قِطعةَ جُبنٍ وكسرة أُخْرَى

وله أيضاً:

على خُبزِ إسماعِيلَ واقِيةُ البُخلِ فَقد حَلَّ في دَارِ الأمانِ منَ الأَكْلِ
ومَا خُبزُه إلاّ كآوى يُرَى ابْنُهُ ولَمْ يُرَ آوى في الحزونِ ولا السَّهْلِ
ومَا خُبزُهُ إلاّ كعَنقَاءِ مُغرِبٍ تُصَوَّرُ في بُسْطِ[٢] المُلوكِ وفي المُثْلِ
يُحَدِّثُ عنها النَّاس مِنْ غَيرِ أَنْ يَرَوا سِوَى صُورةٍ مَا إنْ تَمِرُّ ولا تَغْلِي
ومَا خبزُه إلاّ كُليبُ بن وائِلٍ ليالي يَحمي عِزُّهُ مَنْبِتَ البَقْلِ
وإذْ هُو لا يَسْتَبُّ خَصمانِ عِنْدَهُ ولا الصَّوْتُ مرفُوعٍ بِجِدٍّ ولا هَزْلِ
فإنْ خُبزُ إسماعِيلَ حَلَّ بِهِ النَّدَى أصابَ كُلَيْباً لم يكُن ذاكَ عَنْ بَذْلِ
ولكن قَضَاءٌ ليسَ يُسْطَاع دَفْعُهُ بِحيلَةِ ذي ذهن ولا فكر ذي عَقل

قُلت: أَراد بِقوله: وإذا هو لا يَستبّ خَصمان عنده قول مُهَلْهِل:

أَوْدَى[٣] الخيارُ من المعاشر كُلُّهُم واسْتَبَّ بَعدَكَ يَا كُليبُ المَجْلِسُ
وتنازعوا في أَمْرِ كُلِّ عَظِيمةٍ لو قَد تَكونُ شَهِدْتَهُم لم يَنْبِسُوا[٤]

---

(١) القِطُّ: السِّنَّوْرُ.
(٢) جمع بِسَاطٍ.
(٣) أهلكَ.
(٤) «نَبَسَ يَنْبِسُ نَبساً ونُبْسَةً، بِالضَّمّ: تَكلَّم فأسرعَ، وتَحَرَّكَ، وأكثر مَا يُستعملُ في النَّفي» [القاموس المحيط: ٥٧٦].

وكليب هٰذا هو الذي أَراده النَّابغة الجعدي بِقوله:

كليبٌ لعمري كَان أَكْثَرَ ناصِراً وأيسَرَ جُرْماً منكَ ضُرِّجَ[١] بِالدَّمِ

قال عبيدالله بن عكراش، ويُرْوى لأبي يَعقوب الخريمي:

وإنِّي لأرثي للكريم إذا غَدَا على طمَعٍ عند اللَّئيم يُطالِبُهْ
وأَرْثِي له من وَقْفَةٍ عندَ بَابِهِ كَمَرْثِيَتي للطِّرْفِ[٢] والعِلْجُ[٣] راكِبُهْ

❋ ❋ ❋

◄ أيا جُود معن نَاجِ مَعْناً بِحَاجتي:

كان معن بن زائدة من الأجواد، وكان عاملاً على العراق بالبصرة. قِيل: إنّه أتى إليه بعض الشُّعراء فأقام ببابه مدّة يريد الدُّخول عليه فلم يتهيّأ له ذٰلك. فقال يَوماً لبعض الخَدم. إذا دخَل الأمير البستان فعرفني، فلمّا دخل أعلمه بِذٰلك. فكتب الشاعر بيتاً ونقشه على خشبة، وألقاها في الماء الذي يدخل البستان، وكان مَعن جَالساً على القناة فلمّا رأى الخشبة أخذها وقرأها فإذا فيها بيت مُفرد:

أيا جُودُ معنٍ نَاجِ[٤] مَعْناً بِحاجتي فَليسَ إلى مَعْنٍ سِوَاكَ شَفِيعُ

فَقال: مَنِ الرَّجل صاحب هٰذه؟ فإنني به إليه. فَقال: كيف قُلت؟ فأنشده البَيت، فأمر له بِعَشر بِدَرٍ[٥] فأخذها وانصرف. ووضع معن الخشبة

(١) «ضَرَجَهُ: لَطَخَهُ فَتضَرَّجَ» [القاموس المحيط: ١٩٧].
(٢) «الطِّرْفُ، بالكسر: الكريمُ من الخَيلِ» [نفسه، ص٨٣١].
(٣) «العِلْجُ، بالكسر: الرَّجُلُ من كُفّارِ العَجَم، الجمع: عُلوجٌ» [نفسه، ص١٩٩].
(٤) «نَاجَاهُ مُناجَاةً ونِجَاءً: سَارَّه» [القاموس المحيط: ١٣٣٧].
(٥) «البَدْرُ: كِيسٌ فِيه ألف أَو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دِينار. الجمع: بُدُورٌ وبِدَرٌ» [نفسه، ص٣٤٨].

تحت بساطه، فلمّا كان في اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال: عليّ بالرّجل صاحب هٰذه فأتي بِهِ إليه. فقال له: كيف قُلت؟ فأنشده البَيت. فأمر له بعشر بدر فأخذها. وتفكّر في نفسه، وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بِما معه، فلمّا كان اليوم الرّابع طلب الرّجل فلم يَجده. فقال معن: لقد ساءَ والله ظنّه، ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يَبقى في بيت مالي دِرهم ولا دِينار وفيه يقول القائل:

يقولون مَعْنٌ لا زكَاة لمَالِهِ ... وكَيف يُزَكّي المالَ مَنْ هُو بَاذِلُهْ
إذا حَالَ حَوْلٌ لم تَجِدْ في دِيَارِه ... مِنَ المالِ إلا ذِكْرُهُ وجَمَائِلُهْ
تَرَاه إذا مَا جِئتَه مُتَهَلِّلاً ... كأنّك تُعطيه الذي أنت نَائِلُهْ
تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفّ حتى لو أنَّهُ ... أرادَ انْقِبَاضاً لم تُطِعْهُ أنَامِلُهْ
فلو لم يكنْ في كَفِّهِ غَيرُ نفسه ... لجَادَ بِها فَلْيَتّقِ اللّهَ سَائِلُهْ

ومِن قول معن:

دَعِيني أَنهب الأموالَ حتّى ... أعفّ الأكرمينَ عن اللِّئَامِ

[«المستطرف في كُلِّ فَنٍّ مُسْتَظْرَف» للأبشيهي، تحقيق: محمد خير طعمة الحلبي ٢٣٥ ـ ٢٣٦]

❋ ❋ ❋

وقالَ ذَوُو الحَاجَاتِ أين يَزِيد؟

حدث أبو اليقظان عن أبيه قال: حجّ يزيد بن المهلّب فطلب حلاّقاً يحلق رأسه، فجاؤوه بِحلاّق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم. فتحيّر الحلاّق ودهش، وقال: آخذ هٰذه الخمسة آلاف وأمضي إلى أُمّ فُلان، وأخبرها أني قد استغنيت. فقال: أعطوه خمسة آلاف أخرى. فقال: امرأتي طالق إن حلّقت رأس أحد بَعدك.

وقيل: إنَّ الحجّاج حبسه على واجب عليه، مقدار مائة ألف ألف

درهم، فجمعت له وهو في السّجن، فَجاءه الفرزدق يَزوره، فقال للحاجب: استأذن لي عليه. فقال: إنّه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه. فقال الفرزدق: إنّما أتيت مُتوجِّعاً لما هو فِيه، ولم آت مُمتدحاً فأذن له، فلمّا أبصره:

أبا خالد ضاقَت خُرَاسَان بَعدكُم وقال ذَوُو الحاجات: أين يزيد؟
فَما قَطَرَتْ بِالشَّرْقِ بَعدكَ قَطْرَةٌ ولا اخْضَرَّ بِالمَرْوَيـنِ بَعدك عُودُ
ومَا لِسُرُورٍ بعدَ عِزِّكَ بَهْجَةٌ ومَا لِجَوَادٍ بَعدَ جُودِكَ جُودُ

فقال يزيد للحاجب: ادفع إليه المائة ألف ألف درهم، التي جمعت لنا، ودع الحجّاج ولحمي يفعل فيه مَا يشاء. فقال الحاجب للفرزدق: هٰذا الذي خفت منه لمّا منعتك من دخولك عَليه، ثُمّ دَفعها إليه فأخذها وانصرف. ومَرَّ يزيد بن المهلّب عند خُرُوجه من سجن عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه بِعجوز أعرابية فذبحت له عَنزاً فَقالَ لابنه: ما معك مِنَ النفقة؟ قال: مائة دِينار. قال: ادفعها إليها. فقال: هٰذه يرضيها اليَسير وهي لا تعرفك. قال: إنْ كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى إلاّ بِالكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

وقال مروان بن أبي الحبوب الشّاعر: أمر لي بمائة وعشرين ألفاً، وخمسين ثَوْباً، ورواحل كَثيرة.

فقلت أبياتاً في شُكره فلمّا بلغت قَولي:

فَأَمسِكْ نَدى[1] كَفَّيْكَ عنّي ولا تَزِدْ فقد خِفْتُ أَنْ أَطْغَى وأَنْ أَتَجَبَّرَا

فَقال: والله لا أمسك حتى أغرقك بِجُودي، وأمر له بضياع بِألف ألف.

[نفسه ص٢٣٧]

(١) جُود.

➢ بُثَّ النَّوَال ولا تمنعك قِلَّتَهُ:

كتب كُلثوم بن عمر إلى بعض الكرماء رُقعة فيها:

إذا تَكَرَّهْتَ أَنْ تُعْطِي القَلِيلَ ولَمْ ... تقدر على سَعَةٍ لم يظهر الجُودُ
بُثَّ النَّوَالَ ولا تمنعك قِلَّتَهُ ... فَكُلُّ مَا سَدَّ فَقْراً فَهو محمودُ

فشاطره مَالَهُ حتى بَعث إليه بنصف خاتمه، وفردة نعله.

[نفسه ص٢٣٩]

* * *

➢ الجُود على باب نصر بن سَيَّار:

وفد أبو عطاء السّدي على نصر بن سيّار بِخُراسان مع رفيقين له فأنزله، وأحسن إليه وقال: ما عندك يا أبا عطاء. فقال: وما عسى أن أقول وأنت أشعرُ العرب غير أنّي قلت بيتين. قال: هات ما قلت فقال:

يَا طالِبَ الجُود أَمّا كُنت تطلبه ... فاطلُبْ على بَابه نصرَ بن سَيَّارِ
الواهب الخَيْلَ تَغْدُو في أَعِنَّتها[1] ... مع القِيَانِ[2] وفيها ألفُ دِينارِ

فأعطاه ألف دِينارٍ، ووصائف[3]، وكساه كسوة جميلة، فَقسّم ذٰلك بين رَفيقيه ولم يأخذ منه شَيئاً، فَبلغ ذٰلك نَصراً فقال: يا لَهُ، قاتله الله من سيِّد ما أضخم قَدره، ثُمّ أَمر له بِمثله.

[نفسه ص٢٤١]

---

(١) «العِنَانُ، ككتاب: سَيرُ اللّجام الذي تُمْسَك به الدَّابة. الجمع: أَعِنَّةٌ وعُنُنٌ» [القاموس المحيط: ١٢١٦].

(٢) «القَيْنُ: العَبْدُ الجمع: قِيَانٌ» [نفسه، ص١٢٢٦].

(٣) «الوَصِيفُ، كأمِير: الخادِمُ والخادِمَةُ، الجمع: وُصَفاء، كالوصِيفَةِ، الجمع: وَصَائِفُ» [نفسه، ص٨٦٠].

➢ أرسلوني إليك وانتظروا:

قال العتبي: أشرف عمرو بن هَبيرة يوماً من قَصره فإذا هو بأعرابي يُزقل[١] قَلُوصه[٢]، فَقال عمرو لحاجبه: إنْ أرادني هذا الأعرابي فأوصله إلَيَّ. فَلمّا وصل الأعرابي سأله الحاجب، فقال: أردت الأمير، فدخل بِه عليه فَلمّا مثل بين يَديه قال له: ما حاجتك فأنشده الأعرابي يَقُول:

أصلحك الله قُلْ ما بِيَدِي ولا أُطيق العِيالَ[٣] إذا كثروا
أَناخَ[٤] دَهْرِي علَيَّ كَلْكَلَهُ[٥] فأرسلوني إِليكَ وانتَظَرُوا

فأخذت عُمر الأريحية فَجعل يَهتزّ في مجلسه، ثُمّ قال: أرسلوك إِليّ وانتظروا، إِذن لا تجلس حتى ترجع إليهم، ثمّ أمر له بألف دِينار.

وقيل: أَراد ابن عامر أن يكتب لرجل بخمسين ألف درهم فَجرى القلم بخمسمائة ألف. فراجعه الخازن في ذٰلك فَقال: انفذه ما بقي إلا نفاذه، وإنّ خروج المال أحبّ إليّ من الاعتذار فاستشرفه الخازن. فقال: إذا أَراد الله بعبد خيراً صرف القلم عن مجرى إرادة كاتبه إلى إرادته. وأنا أَردت شيئاً، وأراد الجواد الكريم أن يعطي عبده عشرة أضعافه، فكانت إرادة الله الغالبة وأمره النّافذ.

ووقف أعرابي على ابن عامر فقال: يا قمر البصرة، وشمس الحِجاز، ويا ابن ذروة العرب، وابن بطحاء مَكّة، بَرّحَت[٦] بي الحاجة،

---

(١) «أزقَلَ: أسْرَعَ، والمفازَةَ: قَطعها» [القاموس المحيط: ١٠٠٧].
(٢) القَلُوصُ منَ الإبِلِ: الشّابَّةُ، أو الباقِيةُ على السَّيْرِ.
(٣) «عِيَالُ الرَّجُلِ: مَن يَعُولُه. وواحِدُ العِيالِ عَيِّلٌ كجَيِّدٍ. والجمع: عَيَائِلُ مِثْلُ جَيَائِدَ» [مختار الصِّحاح: ١٩٥].
(٤) «أَنَاخَ الذُّلُّ بِفُلاَنٍ: أقام عليه» [المنجد الأبجدي: ١٤٩].
(٥) «الكَلْكَلُ والكَلْكَالُ: الصَّدْرُ، أو ما بَينَ التَّرْقُوَتَيْنِ، أَوْ بَاطِنُ الزَّوْرِ» [القاموس المحيط: ١٠٥٤].
(٦) «بَرَّحَ بِهِ الأمرُ تَبْرِيحاً أي: جَهده» [مختار الصِّحاح: ١٩].

وأَكْدَت[١] بي الآمال إلا بِفنائك فامنحني بقدر الطاقة لا بقدر المجد، والشَّرف، والهمَّة، فأمر له بمائتي ألف.

[نفسه ص٢٤١]

❋ ❋ ❋

➤ الجُودُ أفلسهم!!

وفد أبو الشّمقمق إلى مدينة سَابُور يريد محمد بن عبدالسَّلام فَلمّا دخلها تَوجّه إلى منزله فوجده في دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجَّع له فَلمّا رآه محمد فَقال:

ولقد قَدمت على رجال طَالَمَا | قدم الرِّجَال عليهم فَتَمَوَّلُوا[٢]
أَخْنَى[٣] الزَّمَانُ عليهم فَكَأَنَّما | كانوا بأرضٍ أَقْفَرَتْ فَتَحَوّلوا

فقال أبو الشَّمقمق:

الجُودُ أَفْلَسهم وأذهبَ مالهم | فاليَوم إنْ رامُوا السَّماحةَ[٤] يبخلوا

قال: فخلع محمد ثوبه وخاتمه وذمهما إليه. فكتب بذلك مستوفي الخَراج إلى الخَليفة. فَوقّع إلى عامله بإسقاط الخَراج عن محمد بن عبدالسَّلام في تلك السَّنة، وإسقاط ما عليه مِنَ البَقايا، وأمر له بِمائة ألف درهم معونة له على مروءته.

[نفسه ص٢٤٣]

❋ ❋ ❋

(١) «أَكْدَى الرَّجُلُ: قَلَّ خَيْرُهُ» [نفسه، ص٢٣٦].
(٢) «تَمَوَّلَ الرَّجُلُ: صَارَ ذَا مَالٍ» [مختار الصِّحاح: ٢٦٦].
(٣) «أَخْنَى عليه الدَّهْرُ: أَتَى عَليه وأهلكه» [مختار الصِّحاح: ٨٠].
(٤) «السَّمْحُ والسَّمَاحَةُ: الجُودُ» [نفسه، ص١٣١].

➢ لقد رجوتك دُون النّاس كُلِّهم:

قال أبو العيناء: حصلت لي ضِيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائي فدخلت يَوماً على يحيى بن أكثم القاضي فقال: إنّ أمير المؤمنين المأمون جَلس للمظالم، وأخذ القصص فهل لكَ في الحضُور. قلت: نعم فمضيت معه إلى دار أمير المؤمنين، فلمّا دخلنا عليه أجلسه وأجلسني، ثمّ قال: يا أبا العَيناء بالإلفة والمحَبّة، ما الذي جاء بِك في هٰذه السَّاعة فأنشدته:

لقد رَجَوتُك دُون النَّاسِ كُلّهم ... وللرَّجَاء حقوق كُلّها تَجب
إن لم يكُن لي أسبابٌ أعيش لها ... ففي العلا لك أَخْلاَق هي السَّبَبُ

فقال: يا سلامة، انظر أيَّ شيء في بيت مالنا دُون مال المسلمين. فقال: بَقيّة من المال. قال: فادفع له منها مائة ألف درهم، وابعث له بمثلها في كلِّ شَهر. فلمّا كَان بعد أحد عَشر شَهراً مات المأمون فبكى عليه أبو العَيناء حتى تَقرّحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فَقال: يا أبتاه بعد ذَهاب العَين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول:

شيئانِ لو بَكَتِ الدِّماءُ عَليهما ... عَيناي حتّى يُؤذنَا بِذهاب
لم يبلغا المِعشارَ من حقّيهما ... فَقدُ الشبابِ وفرقة الأَحْبَابِ

[نفسه ص٢٤٣]

❋ ❋ ❋

➢ حَلِيفُ النَّدَى:

قِيلَ: إنَّ شاعِراً قصد خالد بن يزيد فأنشده شعراً يقول فيه:

سَأَلتُ النَّدَى والجُودَ حُرَّانِ أنتما ... فَقال يَقيناً إنَّنَا لعبِيدُ
فقلت ومَن مولاكُما فتطاوَلاَ ... إليّ وقالاَ خالِدٌ ويَزِيدُ

فقال: يا غُلام أعطه مائة ألف درهم. وقل له: إنْ زدتنا زِدناك فأنشد يقول:

كَريمٌ كَريمُ الأُمهَاتِ مُهَذَّبٌ ... تُدَفِّقُ يُمناه النَّدَى وشَمَائِلُهْ
هو البحرُ مِن أيِّ الجهات أَتيته ... فَلُجَّتُهُ[1] المعروفُ والجُودُ سَاحِلُهْ
جَوادٌ بَسِيطُ الكَفِّ حتَّى لَوَ انَّهُ ... دعاهَا لقبضٍ لم تُجبهُ أَنَامِلُهْ

فقال: يا غلام أعطه مائة ألف درهم، وقال له: إن زدتنا زدناك فأنشد يَقول:

تَبَرَّعْتَ لي بِالجُودِ حتى نعشتني ... وأعطيتني حتى حَسِبتُكَ تَلْعَبُ
وأَنْبَتَ رِيشاً في الجناحَيْنِ بَعْدَمَا ... تَساقَطَ منِّي الرِّيشُ أَو كَاد يَذْهبُ
فأنت النَّدَى وابن النَّدَى وأخو النَّدَى ... حَلِيفُ النَّدَى ما للنَّدَى عنكَ مَذْهَبُ

فقال: يا غُلام أعطه مائة ألف درهم.

وقل له: إن زدتنا زدناك. فقال: حسب الأمير ما سَمع، وحسبي مَا أخذت وانصرف.

[نفسه ص٢٤٥]

❊ ❊ ❊

◄ أعرابي والحجّاج بن يُوسف:

خرج أعرابي قد ولاّهُ الحجّاج بعض النَّواحي فأقام بها مُدّة طويلة، فَلمّا كان في بعض الأيَّام ورد عليه أعرابي من حَيِّهِ فَقدّم إليه الطَّعام. وكان إذا ذاك جَائعاً فَسأله عن أهله وقال: مَا حال ابني عمير؟ قال: على مَا تُحب قَد مَلأ الأرض والحَي رِجَالاً ونساء. قال: فَما فعلت أمّ عُمير؟ قال:

(١) «لُجَّةُ الماءِ بِالضَّمّ: مُعْظَمُهُ. وكَذا اللُّجُّ ومنه بَحْرٌ لُجِيٌّ» [مختار الصِّحاح: ٢٤٧].

صالحة أيضاً. قال: فَما حال الدَّار؟ قال: عامرة بأهلها. قال: وكلبنا إيقاع؟ قال: ملأ الحيّ نَبْحاً. قال: فَما حال جملي زُريق؟ قال: على مَا يَسُرُّك. قال: فالتفت إلى خادمه، وقال: ارفع الطَّعام فَرفعه، ولم يشبع الأعرابي، ثُمّ أقبل عليه ليسأله، وقال: يا مُبارك النَّاصِية[1] أعِدْ عليّ ما ذكرت. قال: سَلْ عمّا بَدا لك. قال: فَما حَال كلبي إيقاع؟ قال: مات. قال: وما الذي أماته؟ قال: اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فَمات. قال: أَوَمَاتَ جملي زريق؟ قال: نَعم قال: ومَا الذي أماته؟ قال: كَثرة نقل الماء إلى قبر أم عمير. قال: أومَاتَت أمّ عمير؟ قال: نعم. قال: وما الذي أماتها؟ قال: كثرة بكائها على عمير. قال: أَوَمَاتَ عُمير؟ قال: نَعم: قال: ومَا الذي أماته؟ قال: سقطت عليه الدَّار. قال: أَوَسقطت الدَّار؟ قال: نَعم. قال: فقام له بالعصي ضارِباً فَولّى من بين يَديه هارباً.

[نفسه ص٢٥٥ ـ ٢٥٦]

❋ ❋ ❋

◄ غَلبَ على كُلِّ طبع أهله:

حكى بعضهم قال: كنت في سَفرٍ فضللت عن الطَّريق، فرأيت بيتاً في الفَلاة، فأتيته فإذا به أعرابية، فلمّا رأتني قالت: مَنْ تَكون؟ قُلت: ضَيف. قالت: أهلاً ومرحباً بِالضَّيف، انزل على الرَّحب والسَّعة. قال: فنزلت فقدّمت لي طعاماً فأكلت، وماء فشربت، فَبينما أنا على ذٰلك إذ أقبلَ صاحب البيت. فَقال: مَنْ هٰذا؟ فقالت: ضَيف. فَقال: لا أهلاً ولا مَرحباً، ما لنا وللضَّيف. فلمّا سمعت كلامه ركبت من سَاعتي وسرت، فَلمّا كان من الغَد رأيت بيتاً في الفَلاة فقصدته فإذا فِيه أعرابية فلمّا رأتني قالت: مَن تكون؟ قُلت: ضَيف. قالت: لا أهلاً ولا مرحباً بِالضَّيف، ما لنا وللضّيف. فَبينما هي تُكَلّمني إذ أقبل صاحب البَيت. فلمّا رآني قال: من هذا؟ قالت:

(١) النَّاصِيَةُ: مُقَدّم الرَّأْسِ.

ضيف. قال: مرحباً وأهلاً بِالضَّيف. ثُمَ أتى بطعام حسن فأكلت، وماء فشربت، فتذكرت مَا مَرَّ بِي الأمس فتبسَّمت. فَقال: مِمَّ تَبسّمك؟ فقصصت عليه ما اتّفق لي مع تلك الأعرابية وبعلها، وما سمعت منه ومن زوجته، فقال: لا تعجب، إنّ تلك الأعرابيّة التِي رأيتها هي أختي، وإنّ بَعلها أخو امرأتي هذه. فغلب على كُلِّ طبع أهله.

[نفسه ص٢٥٦]

❋ ❋ ❋



بخيل وأولاده:

قال رجل من البخلاء لأولاده:

اشتروا لي لحماً، فاشتروه، فأمر بطبخه فلمّا استوى أكله جميعه حتى لم يَبق في يده إلا عَظمة، وعيون أولاده تَرْمُقُه[١]. فقال: ما أعطي أحداً منكم هٰذه العظمة حتى يُحسن وصف أكلها. فَقال ولده الأكبر: أُمشمشها[٢] يا أَبت وأمصّها حتى لا أدع للذَّرِّ[٣] فيها مَقيلاً. قال: لست بصاحبها. فقال الأوسط: ألوكها[٤] يا أَبتِ وألحسها حتى لا يدري أَحد لعام هي أم لعامين، قال: لست بصاحبها. فقال الأصغر: يا أبت أمصّها، ثمّ أدقّها، وأسفّها[٥] سَفًّا. قال: أنت صاحبها وهي لك زَادك الله معرفة وحَزْماً.

[نفسه ص٢٥٥]

❋ ❋ ❋

(١) «رَمَقَهُ: نَظر إليه وبابُه نَصَرَ» [مختار الصِّحاح: ١٠٨].
(٢) «المَشُّ: مَصُّ أطرافِ العِظَام، كالتَّمَشُّشِ» [القاموس المحيط: ٦٠٥].
(٣) «الذَّرُّ: صِغَارُ النَمْلِ، ومِئَةٌ مِنها زِنَةُ حَبَّةِ شَعير، الواحدة: ذَرَّةٌ» [نفسه، ص٣٩٦].
(٤) «اللَّوْكُ: أَهْوَنُ المَضْغِ، أو مَضغُ صُلْبِ، أو عَلْكُ الشَّيء» [نفسه، ص٩٥٢].
(٥) «سَفَّ الدَّوَاءَ يَسَفُّهُ بِالفَتْحِ سَفًّا واسْتَفَّهُ أيضاً: إذا أَخَذَه غيرَ مَلْتُوتٍ وكَذا السَّوِيقُ» [مُختار الصِّحاح: ١٢٧].

➢ غِنى النَّفس كُلُّ الغنى:

قال أبو العتاهية:

أَشَدُّ الجِهَادِ جِهَادُ الهَوَى ... ومَا كَرَّمَ المَرْءَ إلاَّ التُّقَى

وأَخْلاَقُ ذِي الفَضْلِ معروفَةٌ ... بِبذلِ الجَميلِ وكَفُّ الأَذَى

وكُلُّ الفُكَاهاتِ(١) مَمْلُولَةٌ ... وطُولُ التَّعَاشُرِ فِيهِ القِلَى(٢)

وكُلُّ طَرِيفٍ(٣) لَهُ لَذَّةٌ ... وكُلُّ تَلِيدٍ(٤) سَرِيعُ البِلَى(٥)

ولا شَيءَ إلاَّ لَهُ آفَةٌ ... ولا شَيءَ إلاَّ لَهُ مُنْتَهَى

ولَيسَ الغِنَى نَشَبٌ(٦) في يَدٍ ... ولٰكِنْ غِنَى النَّفْسِ كُلُّ الغِنَى

وإنَّا لَفِي صُنُعٍ ظَاهِرٍ ... يَدُلُّ على صَانِعٍ لا يُرَى

[«ديوان أبي العتاهية» شرح: د. وفاء الباني قمر. بإشراف: حنَّا الفَاخُوري، ص١٣ ـ ١٤]

❋ ❋ ❋

➢ جزى الله صَالِحاً:

الصَّداقة الصَّحيحة أثمن ما يحرص عليه أبو العتاهية، وقد تغنَّى بها

---

(١) «فَكَّهَهُمْ بِمُلَحِ الكلام تَفْكِيهاً: أَطْرَفَهُمْ بها، والاسمُ: الفَكِيهَةُ والفُكَاهَةُ، بِالضَّمّ» [القاموس المحيط: ١٢٥٠].

(٢) «قَلاَهُ، كَرَمَاهُ ورَضِيَهُ، قِلًى وقِلاَءً ومَقْلِية: أبغضه، وكَرِهَهُ غايَةَ الكراهَة فتركه» [نفسه، ص١٣٢٦].

(٣) «الطُّرْفَةُ، بِالضَّمّ: الاسْمُ مِنَ الطَّريفِ والمُطْرِفِ والطَّارِفِ: للمال المُسْتَحْدَث» [القاموس المحيط: ٨٣١].

(٤) المالُ القَدِيمُ الأَصْلِيُّ الذِي وُلِدَ عندك وهو ضِدُّ الطَّارِف.

(٥) بَلِيَ الثَّوْبُ بِلًى وبَلاَءً: رَثَّ.

(٦) «النَّشَبُ وَالنَّشَبَةُ، محرّكتين، والمَنْشَبَةُ: المالُ الأَصِيلُ من النَّاطِق والصَّامت» [القاموس المحيط: ١٣٨].

كَثيراً في شعره، واعتبر أَنّ فقدانها مِن النَّقائص الخلقية. وهٰذه الأبيات قالها في صديق له وفيٍّ يُدعى صَالِحاً الشَّهرزوري، وكان هٰذا قد قَضى حاجَة له عند الفضل بن يَحيى.

جَزَى اللَّهُ عَنِّي صَالِحاً بِوَفائِهِ ... وأَضْعَفَ أضعافاً له في جَزَائِهِ
بَلَوْتُ[1] رِجَالاً بَعْدَهُ في إخَائِهم ... فما ازددتُ إلاَّ رَغْبَةً في إخَائِهِ
صَدِيقٌ إذا مَا جِئتُ أَبْغيهِ حَاجَةً ... رجعتُ بِما أبغي ووجهي بِمَائِهِ[2]

وقال:

كم مِن صَديقٍ لي أُسَا ... رِقُهُ البُكَاءَ مِنَ الحَيَاءِ
فإذا تأَمَّلَ لامَنِي ... فأقول مَا بِي مِنْ بُكَاءِ
لكنْ ذَهَبْتُ لأَرْتَدِي ... فَطَرَفْتُ[3] عَيْنِي بِالرِّدَاءِ

[نفسه ص١٣]

❊ ❊ ❊

➤ احْذَرْ عَلَيْكَ اللِّئَام:

لقد ذكَر أبو العتاهية الحرص على أَنّه مُظهر من مظاهر التّكالب على الدُّنيا، وعلى أَنّه عَيب من جُملة العيوب التِي أصيب بِها مُجتمعه.

ما اسْتَعْبَدَ الحِرْصُ مَنْ لَهُ أَدَبُ ... لِلمَرْءِ في الحِرْصِ هِمَّةٌ عَجَبُ

(١) بَلاَهُ: جَرَّبَهُ وامتحنه.
(٢) ماء الوجهِ: رونقه ونضارته، ويقصد هُنا أنّه يرجع بِكرامته.
(٣) «طَرَفَ عَيْنَهُ: أصابَها بِشيء فَدَمَعَتْ» [القاموس المحيط: ٨٣١].

لِلَّهِ عَقْلُ الحَرِيصِ كَيْفَ لَهُ ... فِي كُلِّ مَا لا يَنَالُهُ أَرَبُ[(١)]
ما زَالَ حِرْصُ الحَرِيصِ يُطْمِعُهُ ... في دركه الشَّيْءَ دُونَهُ الطَّلَبُ
ما طابَ عَيْشُ الحَرِيصِ قَطّ وَلاَ ... فارَقَهُ التَّعَسُ[(٢)] مِنْهُ والنَّصَبُ[(٣)]
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالكَفَافِ مُقْتَنِعاً ... لم تَكْفِهِ الأَرْضُ كُلُّهَا ذَهَبُ
مَنْ أَمْكَنَ الشَّكَّ مِنْ عَزِيمَتِهِ ... لم يَزَلِ الرَّأْيُ مِنْهُ يَضْطَرِبُ
مَنْ عَرَفَ الدَّهْرَ لم يَزَلْ حَذِراً ... يَحْذَرُ شِدَّاتِهِ ويَرْتَقِبُ
مَنْ لَزِمَ الحِقْدَ لَمْ يَزَلْ كَمِداً[(٤)] ... تُغْرِقُهُ في بُحُورِهَا الكُرَبُ[(٥)]
المَرْءُ مُسْتَأْنِسٌ بِمَنْزِلَةٍ ... تُقْتَلُ سُكَّانُهَا وتُسْتَلَبُ
والمَرْءُ في لَهْوِهِ وبَاطِلِهِ ... والموتُ في كُلِّ ذَاكَ مُقْتَرِبُ
يا خائِفَ المَوْتِ زَالَ عَنْكَ صِباً ... والعُجْبُ واللَّهْوُ مِنك واللَّعِبُ
دارُكَ تَنْعَى[(٦)] إِليك سَاكِنَهَا ... قَصْرُك تُبْلي جَديدَه الحِقَبُ[(٧)]
يَا جَامِعَ المالِ مُذْ كَانَ غَداً ... يَأتِي على مَا جَمَعْتَهُ الحَرَبُ[(٨)]
إِيَّاكَ والظُّلْمَ إِنَّهُ ظُلَمٌ ... إِيَّاكَ والظَّنَّ إِنَّهُ كَذِبُ
بَيْنَا تَرَى القَوْمَ في مَحَلَّتِهِمْ ... إِذْ قِيلَ بَادُوا وَقِيلَ قَدْ ذَهَبُوا
إِنِّي رَأَيْتُ الشَّرِيفَ مُعْتَرِفاً ... مُضْطَبِراً لِلحُقُوقِ إِذْ تَجِبُ
وقَدْ عَرَفْتُ اللِّئَامَ لَيْسَ لَهُمْ ... عَهْدٌ ولاَ خِلَّةٌ ولاَ حَسَبُ
احْذَرْ عَلَيْكَ اللِّئَامَ إِنَّهُمُ ... لَيسَ يُبَالُون مِنكَ مَا رَكِبُوا

---

(١) الأَرَبُ: الحاجة.
(٢) التَّعَسُ: الهلاك.
(٣) النَّصَبُ: التَّعَبُ.
(٤) الكَمِدُ: الحَزِينُ.
(٥) الكُرَبُ: جمع كُربة، وهي الحُزن والمَشَقَّة.
(٦) «نَعَاهُ له نَعْياً ونَعِيًّا ونُعْيَاناً، بالضَّمِّ: أخبره بموته» [القاموس المحيط: ١٣٣٩].
(٧) «الحِقْبَةُ بالكسرِ وسُكون القاف واحِدَةُ الحِقَبِ وهي السِّنُون» [مختار الصِّحاح: ٦١].
(٨) «حَرَبَهُ حَرَباً، كطَلَبَهُ طَلَباً: سَلَبَ مَالَهُ، فَهو مَحْرُوبٌ وحَرِيب» [القاموس المحيط: ٧٣].

فَنصفُ خَلْقِ اللِّئام مُذ خُلِقُوا ... ذُلٌّ ذَليلٌ ونِصْفُهُ شَغَبُ[١]
فِرَّ مِنَ اللُّؤمِ واللِّئامِ وَلاَ ... تَدْنُ إِليهم فإنَّهُمْ جَرَبُ

[نفسه ص٢٥]

* * *

≺ الغِنى في الصَّبْرِ:

حدَّث موسى بن عبدالملك قال: كان أحمد بن يوسف أبو جعفر صديقاً لأبي العتاهية، فلمّا خدم المأمون وخَصّ به رأى منه أبو العتاهية جَفْوَة[٢]، فكتب إليه:

أبا جَعْفَرٍ إنَّ الشَّريفَ يَشِينُهُ ... تَتَايُهُهُ[٣] على الأخِلاَّءِ في الوَفْرِ[٤]
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الغِنَى ... وأَنَّ الغِنَى يُخْشَى عَليهِ من الفَقْرِ
فإن نِلْتَ تيهاً بالذِي نِلتَ مِن غِنًى ... فإنَّ غِنَايَ في التَّجَمُّلِ والصَّبْرِ

فبعث إليه بألفي درهم وكَتب إليه يعتذر ممّا أنكره.

[نفسه ص١١٨]

* * *

≺ جُزِي البَخيلُ:

وقال:

جُزِيَ البَخِيلُ على صَنَائِعِهِ ... عَنِّي بِخِفَّتِهِ على ظَهْرِي

---

(١) «الشَّغْبُ، ويُحرّك، وقِيل لا: تَهييجُ الشَّرِّ، كالتَّشْغِيبِ» [القاموس المحيط: ١٠٢].
(٢) الجَفاءُ: ضِدُّ الصِّلَةِ.
(٣) الكِبْرُ.
(٤) الغِنَى.

أُغـلِـي وأُكْـرِمُ عَـنْ نَـدَاهُ[1] يَـدِي ... فَـعَـلَـت ونَـزَّهَ قَـدْرُهُ قَـدْرِي
ورُزِقْـتُ مِـنْ جَـدْوَاهُ[2] عَـارِفَـةً[3] ... ألاَّ يَـضِـيـقَ بِـشُـكْـرِهِ صَـدْرِي
وظَـفِـرْتُ مِـنـهُ بِـخَـيْـرِ مَـكْـرُمَـةٍ[4] ... مِـنْ بُـخْـلِـهِ مِـنْ حَـيْـثُ لا يَـدْرِي
مَـا فَـاتَـنـي خَـيْـرُ امـرِئٍ وَضَـعَـتْ ... عَـنِّـي يَـدَاهُ مـؤُونَـةَ الـشُّـكْـرِ

[نفسه ص١١٩]

❊ ❊ ❊

➢ يا ابنَ القَرْمِ مِرْدَاس:

قال في عمرو بن العلاء وكان قد مَدحه فَلم يصله بِشيء:

يا ابْنَ العَلاَءِ ويا ابْنَ القَرْمِ[5] مِرْدَاسِ ... إنِّي امْتَدَحْتُك في صحبِي وجُلاَّسِي
أُثْنِي عَلَيكَ ولِي حَالٌ تُكَذِّبُنِي ... فِيما أقولُ فأَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ
حتى إذَا قِيلَ مَا أَوْلاَكَ مِنْ صُفُرٍ[6] ... طَأْطأتُ مِنْ سُوءِ حَالِي عندها رَأْسِي

[نفسه ص١٢٦]

❊ ❊ ❊

➢ غَيْرُ بَديع مَنْعُ ذِي البُخْلِ مَالَهُ:

قال يَذُمُّ الفضل بن مَعْنِ بن زائدة:

---

(١) جُودِهِ.
(٢) عطاءه.
(٣) «العَارِفَةُ: المعروفُ، كالعُرْفِ، بِالضَّمِّ، الجمع: عَوَارِفُ» [القاموس المحيط: ٨٣٦].
(٤) المَكْرُمَةُ: فِعْلُ الكَرَم.
(٥) «القَرْمُ: السَّيِّدُ» [القاموس المحيط: ١١٤٨].
(٦) «الصُّفْرُ، بِالضَّمِّ: نُحَاسٌ يُعملُ منه الأواني» [مختار الصِّحاح: ١٥٣].

فَرَرْتُ مِنَ الفَقْرِ الذِي هو مُدْرِكي … إلى بُخْلِ مَحْظُورِ النَّوَالِ مَنُوعِ
فأعقبني الحِرْمَانَ غِبَّ[1] مَطامِعِي … كذلك مَنْ يَلقاه غيرَ قَنُوعِ
وغيرُ بَديعٍ مَنْعُ ذِي البُخلِ مَالَهُ … كَما بَذْلُ أَهْلِ الفَضْلِ غَيْرُ بَدِيعِ
إذا أنت كَشَّفتَ الرِّجَالَ وَجَدْتَهم … لأعراضهم من حافِظٍ ومُطِيعِ

[نفسه ص١٥٠]

❋ ❋ ❋

➢ إنْ كُنتَ مُتَّخِذاً خَلِيلاً:

وَقال أبو العتاهية رحمه الله:

إنْ كُنْتَ مُتَّخِذاً خَلِيلاً … فَتَنَقَّ[2] وانْتَقِدِ الخَلِيلاَ
مَنْ لم يَكُنْ لَكَ مُنْصِفاً … في الوُدِّ فابْغِ لَهُ بَدِيلاَ
ولَرُبَّمَا سُئِلَ البَخِيـ … ـلُ الشَّيءَ لا يَسْوَى فَتِيلاً[3]
فَلِذَاكَ لا جَعَلَ الإلـ … ـهُ لَهُ إلى خَيْرٍ سَبِيلاَ
فاضْرِبْ بِطَرْفِكَ[4] حَيْثُ شِئْـ … ـتَ فَلَنْ تَرَى إلاَّ بَخِيلاَ

[نفسه ص٢٠٧]

❋ ❋ ❋

➢ أَبَغْلِيَ هٰذا بِالرَّحَى المُتَقَاعِسُ!

قال أبو العَبَّاس: ممَّا يُستحسن ويُستجاد قول أعرابيّ مِن بني سعد بن

(١) «غِبُّ كُلِّ شيء بِالكسر: عَاقبته» [نفسه، ص١٩٦].
(٢) «أَنْقَاهُ وتَنَقَّاهُ وانْتَقَاهُ: اخْتَارَهُ» [القاموس المحيط: ١٣٤٠].
(٣) لا يَسْوَى شَيْئاً.
(٤) «الطَّرْفُ: العَيْنُ» [مختار الصِّحاح: ١٦٤].

زيد مناة بن تميم، وكَان مُمْلَكاً[١]، فنزل بِه أضياف، فقام إلى الرّحَى فَطحن لَهم، فَمرّت به زوجته في نِسوة، فقالت لهنّ: أهٰذا بَعلي؟ فأعلم بذٰلك فَقال:

تقولُ وقَدْ صَكَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِينها ... أَبَعْلِيَ هٰذا بِالرَّحى المتقاعِسُ!

فَقلتُ لها: لا تَعجبي وتَبَيَّنِي ... بَلائي إذا التَقَّتْ عليَّ الفَوَارِسُ

ألستُ أَرُدُّ القِرْنَ[٢] يَرْكَبُ رَدْعَهُ[٣] ... وفِيه سِنَانٌ[٤] ذُو غِرَازَيْنِ[٥] يَابِسُ

إذَا هَابَ أَقْوَامٌ تَجَشَّمْتُ[٦] هَوْلَ مَا ... يَهَابُ حُمَيَّاهُ[٧] الألَدُّ[٨] المُدَاعِسُ[٩]

لعمرُ أَبيكَ الخَيْرِ إنّي لَخَادِمٌ ... لِضَيْفِي وإنِّي إنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ

[«الكاملُ في اللُّغة والأدب» لأبي العبّاس المُبرّد، علَّقَ عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم. ج١/٣٢ ـ ٣٣]

❋ ❋ ❋

قال: وحدثني أبي، قال: بعث سليمان المهلَّبي إلى الخليل بن أحمد بمائة ألف درهم وطالبه لصحبته فردّ عليه المائة الألف وكتب إليه:

أبلغ سُليمانَ أنّي عَنهُ في سَعَةٍ ... وفي غِنًى غَيْرَ أنّي لَسْتُ ذَا مَالِ

شُحّي بِنَفْسِيَ أنّي لا أَرَى أَحَداً ... يَمُوتُ هُزْلاً ولا يَبْقَى على حَالِ

---

(١) من الإملاك، وهو عقد النّكاح.

(٢) «القِرْنُ، بِالكسرِ: كُفُوُك في الشَّجَاعة، أو عَامٌّ» [القاموس المحيط: ١٢٢٣].

(٣) «رَكِبَ رَدْعَهُ: خَرَّ لوجهه على دَمِهِ» [نفسه، ص٧٢١].

(٤) «السِّنَانُ: نَصْلُ الرُّمحِ. الجمع: أَسِنَّةٌ» [نفسه، ص١٢٠٧].

(٥) «الغِرَارُ، بالكسر: حَدُّ الرُّمح والسَّهم والسَّيْفِ» [نفسه، ص٤٥٠].

(٦) «جَشِمَ الأَمْرَ، كسَمِعَ، جَشْماً وجَشَامَةً: تَكلَّفَهُ على مَشَقَّة، كَتَجَشَّمَهُ» [القاموس المحيط: ١٠٨٨].

(٧) «الحُمَيَّا: شِدَّة الغَضَب، وأَوَّلُه» [نفسه، ص١٢٧٧].

(٨) «الألَدُّ: الخَصْمُ الشَّحِيحُ الذي لا يَزِيغُ إلى الحَقّ، كالأَلَنْدَدِ واليَلَنْدَدِ، الجمع: لُدٌّ ولِدَادٌ» [نفسه، ص٣١٧].

(٩) المُطَاعِنُ.

الـرِّزْقُ عَـنْ قَـدَرٍ لا الـعَـجْـزُ يَـنْـقُـصُـهُ ... ولا يَـزِيـدُكَ فِـيـه حَـوْلُ مُـخْـتَـالِ
والفَقْرُ في النَّفسِ لا في المالِ تَعرفُه ... ومِثْلُ ذَاكَ الغِنَى في النَّفسِ لا المَالِ

[«الأمالي» للقالي، ص٥١١ ـ ٥١٢]

* * *

➢ أحَقُّ النَّاسِ بِالمَقْتِ والمَنعِ والمعروف:

قال أبو علي رحمه الله: حدَّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال: حدَّثنا أبو حاتم قال: حدَّثني أبو عُبيدة قال: حَدَّثني غير وَاحد مِنْ هوازنَ مِنْ أُولي العِلمِ وبعضهم قد أدركَ أبُوه الجَاهلية أو جَدُّه، قال: اجتمع عامرُ بن الظَّرِب العَدْوانيُّ وحُمَمَةُ بن رافع الدَّوسِي ـ ويَزعم النُّسَّابُ أنّ ليلى بنتَ الظَّرب أُمُّ دَوْسِ بن عدنان وزَيْنَب بنت الظَّرب أُمُّ ثَقيف وهو قَيسي ـ قال: اجتمع عامر وحُمَمَة عند مَلِك من مُلوك حِميرَ فقال: تَساءَلا حتى أسمع ما تقولان، قال: قال عَامِر لحُمَمة: أين تُحبّ أن تكون أياديك[1]؟ قال: عند ذِي الرَّثْيَة العَدِيم، وذِي الخَلَّةِ، والمُعْسِر الغرِيم[2]، والمُسْتَضْعَف الهَضِيم[3]. قال: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالمَقْتِ؟ قال: الفَقيرُ المُخْتَال، والضَّعيفُ الصَّوَّال، والعَيِيُّ[4] القَوَّال.

قال: فَمن أحَقُّ النّاس بِالمنعِ؟ قال: الحَرِيصُ الكَانِد، والمُسْتَمِيدُ الحاسد، والمُلْحِفُ[5] الوَاجِدُ.

---

(١) اليَدُ: النِّعْمَةُ، والإحسانُ تَصطنعه.
(٢) «الغَرِيمُ: المديون» [القاموس المحيط: ١١٤٢].
(٣) «اهْتَضَمَهُ: ظَلمه فَهو هَضِيمٌ ومُهْتَضَمٌ أي: مَظلوم وتَهَضَّمَه مثلُه» [مختار الصِّحاح: ٢٩٠].
(٤) العِيُّ: ضِدُّ البَيَانِ.
(٥) «أَلْحَفَ السَّائِلُ: أَلَحَّ يُقَالُ لَيسَ للمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ» [مختار الصحاح: ٢٤٧].

قال: فَمَن أجدرِ النّاسِ بِالصَّنِيعة[١]؟ قال: مَنْ إذا أُعْطِيَ شَكَر، وإذَا مُنِعَ عَذَر، وإذا مُوطِلَ[٢] صَبَر، وإذا قَدُم العَهْدُ ذَكَر.

قال: مَنْ أكرم النَّاسِ عِشْرَةً؟ قال: مَنْ إنْ قَرُبَ مَنَحَ. وإنْ بَعُدَ مَدَحَ، وإن ظُلِمَ صَفَحَ، وإنْ ضُويق سَمَحَ.

قال: مَنْ ألأَمُ النَّاس؟ قال: مَنْ إذَا سألَ خَضَعَ، وإذا سُئِلَ مَنَعَ، وإذَا مَلَكَ كَنَعَ، ظاهره جَشَع، وبَاطِنه طَبَع، قال: فَمن أحلم النّاس؟ قال: مَنْ عَفَا إذا قَدَر، وأَجملَ إذا انْتَصَرَ، ولم تُطْغِه عِزَّةُ الظَّفَرِ.

قال: فَمن أحزمُ النَّاسِ؟

قال: مَنْ أخَذَ رِقَابَ الأمور بِيَدَيْه، وجَعل العَواقب نُصْبَ عَينَيْه، ونَبَذَ التَّهَيُّبَ دَبْرَ أُذْنَيْهِ.

قال: فَمَنْ أَخْرَقُ النَّاسِ؟ قال: مَنْ رَكِبَ الخطار، واعْتَسَفَ العِثَار، وأسرع في البِدَار، قَبل الاقتدار.

قال: فمن أجودُ النّاس؟ قال: مَنْ بَذَلَ المجهودُ، ولم يَأسَ على المعهود.

قال: فمن أبلغ النّاسِ؟ قال: مَنْ جَلَّى المَعْنَى للمَزِيزِ بِاللَّفظِ الوَجيز وطَبَّقَ المِفْصَلَ[٣] قَبل التَّحْرِيزِ.

قال: مَنْ أَنْعَمُ النّاسِ عَيشاً؟ قال: مَنْ تَحَلَّى بِالعفافِ، ورَضِيَ الكَفَاف، وتَجَاوَز مَا يَخافُ إلى ما لاَ يَخَافُ. قال: فَمن أشقى النّاسِ؟ قال: مَن حَسَدَ على النِّعَمِ، وتَسَخَّط على القِسَم، واسْتَشْعَرَ النَّدَم، على فَوْت ما لم يُخْتَم.

قال: مَنْ أَغْنَى النّاس؟ قال: مَن اسْتَشْعَر اليَأس، وأَبْدَى التَّجَمُّلَ

---

(١) «الصَّنِيعُ: الإحْسَانُ، كالصَّنِيعَة، الجمع: صَنَائِعُ» [القاموس المحيط: ٧٣٩].

(٢) المَطْلُ: التَّسْوِيفُ بالعِدَة والدَّيْن.

(٣) «الفَصْلُ: كُلُّ مُلتقى عَظْمَينِ مِنَ الجَسَدِ، كالمَفصِل» [القاموس المحيط: ١٠٤٢].

للنَّاسِ، واسْتَكْثَرَ قَليلَ النِّعَم. ولم يَسْخَط على القِسَم.

قال: فَمَن أحكم النَّاسِ؟ قال: مَنْ صمتَ فادَّكَرَ، ونَظَرَ فاعْتَبَرَ، ووُعِظَ فازْدَجَرَ. قال: مَنْ أجهلُ النَّاسِ؟ قال: مَنْ رَأى الخُرْقَ[(١)] مَغْنَماً[(٢)]، والتَّجاوُزَ مَغْرَماً.

قال أبو علي: الرَّثْيَةُ: وَجَعُ المفاصِلِ واليَدين والرِّجلين، قال أبو عُبيدة: أنشدت يونس النَّحوي:

ولِلْكَبِيرِ رَثَيَاتُ أَرْبَعُ ... الرُّكْبَتَانِ والنَّسَا[(٣)] والأَخْدَعُ[(٤)]

فَقال: إي والله، وعِشرون رَثية. والخَلَّةُ: الحَاجة. والخُلَّةُ: الصَّداقة. يُقال: فُلان خُلَّتِي، وفُلانَةُ خُلَّتِي، الذَّكر والأنثى فيه سَوَاءٌ. وخِلِّي وخَلِيلِي.

والخَلُّ: الطَّريق في الرَّمْلِ.

والخَلُّ: الرَّجل الخَفِيف الجِسم.

قال: وقرأت على أبي بكر بن دُريد رحمه الله:

فاسْقِنِيها يا سَوَادُ بن عَمْرٍو ... إنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ

والخَليلُ أيضاً: المُحتاج، قال زُهير:

وإنْ أتاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ ... يَقُولُ لا غائِبٌ ما لي ولا حَرِمُ[(٥)]

---

(١) «الخَرَقُ، بفتحتين: مَصْدَرٌ. الأَخْرَقُ وهو ضِدُّ الرَّفِيقِ وبَابه طرِبَ. والاسْمُ: الخُرْقُ، بِالضَّمِّ» [مختار الصِّحاح: ٧٣].

(٢) المَغْنَمُ والغَنِيمةُ بِمَعنًى وقَد غَنِمَ بِالكسرِ غُنْماً.

(٣) «النَّسَا: عِرْقٌ منَ الوَرِكِ إلى الكَعب، ويُثنَّى: نَسَوَانِ ونَسَيَانِ» [القاموس المحيط: ١٣٣٨].

(٤) «الأَخْدَعُ: عِرْقٌ في المَخْجَمَتين، وهو شُعبة من الوَرِيدِ، الجمع: أخادِعُ» [نفسه، ص٧١٢].

(٥) ممنوعٌ.

وقد استقصينا هٰذا الباب فيما مَضَى منَ الكتاب.

والكَائِدُ: الذي يكفر النِّعمة.

والكَنُودُ: الكَفُورُ، ومنه قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العَادِيات: ٦] وامرأَةٌ كَنُودٌ: كَفُورٌ للمُوَاصَلة.

والمُسْتَمِيدُ مثلُ المُسْتَمِيرُ وهو المُسْتَعْطي، ومنه اشتقاق المائدة، لأنّها تُمَادُ، ولا تُسمّى مائدة حتى يكون عليها طَعام، فإذا لم يكن عليها طعام فهي خِوَان وخُوَانٌ، وجَمعُ خِوَانٍ خُونٌ.

وكَنَعَ: تَقبَّض، يُقال: قَدْ تَكنَّع جِلده إذا تَقَبَّضَ يُريد أنّه مُمْسِك بَخِيل.

والجَشَعُ: أسوأُ الحِرص.

والطَّبَعُ: الدَّنَسُ. ويُقال: جَعلت الشَّيء دَبْرَ أُذُني إذا لم ألتفت إليه.

والاعْتِسَافُ: رُكوبُ الطَّريق على غير هِداية ورُكُوب الأمر على غير معرفة.

والمَزِيزُ: مِن قولهم: هٰذا أَمَزُّ مِن هٰذا، أي: أَفْضَلُ منه وأَزْيَدُ.

قال: حدَّثني أبو بكر بن دُريد، قال: سأل أعرابيٌّ رجلاً دِرهماً، فقال: لقد سألت مَزِيزاً، الدّرهم: عُشْرُ العَشْرَةِ.

والعشرة: عُشر المائة، والمائة: عُشْرُ الألف، والألف: عشر دِيَتِكَ. والمُطَبِّقُ من السُّيُوف: الذِي يُصيب المفاصِلَ فيفصلها لا يُجَاوزها.

[نفسه ص٥١٨ ـ ٥١٩]

❃ ❃ ❃

➢ بَكَرَتْ تَلُومُك بَعْدَ وَهْنٍ في النَّدَى:

قال: وقرأت على أبي بكرٍ بن الأنباري في كتابِه ـ وقُرئ عليه في المعاني الكبير ليعقوب بن السِّكِّيت وأنا أسمع. قال: وقرأت بعض هٰذه الأبيات على أبي بكر بن دُريد في كتاب النَّوادر لابن دُريد ـ قال ضَمرة بن ضَمرة:

بَكَرَتْ تَلُومُك بَعدَ وَهْنٍ في النَّدَى ... بَسْلٌ عليك مَلامَتي وعِتَابِي
ولقد علمتِ فَلاَ تَظُنِّي غَيْرَهُ ... أَنْ سَوْفَ تَخْلِجُنِي سَبِيلُ صِحَابِي
أأصُرُّها وبُنَيُّ عَمِّي سَاغِبٌ ... فَكَفَاكِ مِنْ إِبَةٍ عَلَيَّ وعَابِ
أرأيتِ إنْ صَرَخَتْ بِلَيلٍ هَامَتِي[1] ... وخَرجتُ منها بَالِياً أثْوَابِي
هَلْ تَخْمِشَنْ[2] إِبِلِي عَلَيَّ وُجُوهَهَا ... أَمْ تَعْصِبَنَّ رُؤوسَها بِسلاَبِ

قال أبو علي: بَكَرَتْ: عَجِلَتْ، ومِنه بَاكُورَة الرُّطب والفَاكهة وهو المُتَعَجّل منه، ولم يُرِد الغُدُوَّ، ألا تراه قال: بَعْدَ وَهْنٍ، أي: بَعد نَوْمَه، والعرب تقول: أنا أُبَكِّر إليك العَشِيَّة، أي: أُعَجِّلُ ذٰلك وأُسرعه، والبَسْلُ: الحَرَامُ هاهُنا، قال زُهير:

بِلادٌ بِهَا نَادَمْتُهُمْ[3] وأَلِفتهم ... فإن تُقويا منهم فإنَّهما بَسْلُ

أي: حَرَام، وقال أبو حاتم يُقال: للواحد والاثنين والجماعة والمؤنَّث والمذكَّر بَسْلٌ بلفظ الواحد، كما يُقال: رَجل عَدْلٌ وقوم عَدْلٌ.

والبَسْلُ في هٰذا: الحَلاَلُ وهو من الأضداد.

---

(١) «الهَامَةُ: رأسُ كُلِّ شيء، الجمع: هَامٌ» [القاموس المحيط: ١١٧٢].

(٢) «خَمَشَ وَجْهَه يَخْمِشُهُ ويَخْمُشُهُ: خَدَشَه، ولَطَمَهُ» [نفسه، ص٥٩٣].

(٣) نادَمَهُ مُنَادَمَةً ونِدَاماً: جَالَسَهُ على الشَّرَابِ هذا هو الأَصل، ثم استعمل في كُلِّ مُسَامرة.

قال: أنشدني أبو بكر بن دُريد رحمه الله قال: أنشدنا أبو حاتم عن أبي زيد:

زيادتنا نُعمانُ لا تحرِمَنَّنا تَقِ اللّهَ فِينا والكتابَ الذي نَتْلُو
أيثبُتُ ما زِدْتُم وتُلْغى زِيادَتِي دَمِي إنْ أُسِيغَتْ هٰذه لَكُمُ بَسْلُ

أي: حَلال.

وتَخْلِجُنِي: تَجْذِبُنِي، ومنه قِيل للماء: خَلِيج، لأنّه انجذب إلى جهة من الجِهات، ومنه قِيل للّجام: خَلِيج، لأنّه يَجذِبُ الدّابّة ويمكن أن يكون فَعِيلاً في معنى مفعول، لأنّه يُخْلَجُ أي: يُجذب.

والسَّغَبُ: الجُوعُ، والمَسْغَبَةُ: المَجَاعَةُ، والسَّاغِب: الجَائِعُ.

والإبَةُ: الحَيَاء، يُقال: أَوْأَبْتُه فَاتَّأَبَ مثل اتَّعَدَ.

[نفسه ص٥٢٠]

* * *

➢ فاصبر لعادتنا التي عَوَّدتنا:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو بكر قال: حدّثنا الرِّياشي، قال: حَدّثنا مسعود بن بِشر، عن رجل مِن ولد عمرو بن مرّة الجُهني. ولعمرو بن مرّة صُحبة. قال: قال رجل من بني ضِنَّة ـ أو قال: وفد رجل من بَنِي ضِنَّة ـ وبنو ضِنّة من سعدِ هُذيم. وفي العرب ضِنّتان: ضِنّة هذا، وضِنّة بن عبدالله بن نمير ـ قال: فوفد هٰذا الضّنيّ إلى عبدالملك بن مروان، فَقال:

والله ما ندري إذا مَا فَاتَنا طَلَبٌ إليك من الذِي نَتَطَلَّبُ
فَلقد ضَرَبنا في البِلادِ فَلم نَجِدْ أَحَداً سِوَاكَ إلى المكارِمِ يُنْسَبُ

فـاصـبـر لـعـادتـنـا الـتِـي عـوَّدتـنـا أَو لا فـأرشـدنـا إِلـى مَـنْ نَـذْهَـبُ

فَقال عبدالملك: إلَيَّ إلَيَّ! وأمر له بألف دِينار، ثمّ أتاه في العام المقبل فَقال:

يَرُبُّ(١) الذِي يأتي منَ الخَيرِ إنَّهُ إذَا فَـعَـلَ الـمـعـروفَ زَادَ وتَـمَّـمَـا
ولـيـسَ كَـبَـانٍ حـيـنَ تـمَّ بِـنـاؤه تَـتـبَّـعه بِـالـنَّـقـضِ حـتّـى تَـهَـدَّما

فأعطاه ألفي دِينار، ثُمّ أتاه في العام الثالث فَقال:

إذا اسْتُمْطِرُوا(٢) كَانوا مغازيرَ(٣) في النَّدَى(٤) يَجُودُونَ بِالمعروفِ عَوْداً على بَدْءِ

[نفسه ص٥٢٤]

❋ ❋ ❋

➤ شِعرٌ في غياب السَّادة الكِرام:

قال أبو علي رحمه الله: أنشدنا علي بن سُليمان لأبي علي البصير:

لَـعَـمْـرُ أَبِـيـكَ مَـا نُـسِـبَ الـمُـعَـلَّـى إِلَـى كَـرَمٍ وفـي الـدُّنْـيَـا كَـرِيـمُ
ولـكـنَّ الـبِـلادَ إذا اقْـشَـعَـرَّتْ وصَوَّحَ(٥) نَبْتُـها رُعِيَ الـهَـشِـيمُ(٦)

[نفسه ص٥٢٧]

❋ ❋ ❋

(١) رَبَّ: زَادَ.
(٢) «المُسْتَمْطِرُ: الطَّالِبُ للخَيْر» [القاموس المحيط: ٤٧٦].
(٣) أَغْزَرَ المعروفَ: جَعله غَزِيراً.
(٤) النَّدَى: الجُودُ.
(٥) «التَّصْوِيحُ: التَّجْفِيف» [القاموس المحيط: ٢٣٠].
(٦) «الهَشِيمُ: نَبتٌ يابِسٌ مُتَكَسِّرٌ، أو يابِس كُلِّ كَلأ وكُلِّ شَجر» [نفسه، ص١١٧٠].

➢ وصيّة أبي جعفر لعمر بن عبدالعَزيز:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو بكر بن دُرَيد، قال: حدَّثنا أحمد بن عِيسى أبو بِشر العُكْليّ، قال: حَدّثني أو حُدِّثت عن أسدِ بن سعيد. الشَّكّ مِن أبي بَكر. قال: حدَّثني أبي، عن جَدِّي، عن عُفير، قال: دخل أبو جعفر محمد بن علي بن الحُسَين على عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فقال: يا أبا جَعفر أوصني! قال: أوصِيكَ أنْ تَتَّخِذ صَغِيرَ المسلمين وَلَداً، وأوسطهم أَخاً، وكبِيرَهم أباً، فارْحَمْ وَلدَكَ، وصِلْ أخَاكَ، وبِرَّ أباكَ، وإذَا صَنعت معروفاً فَرَبِّهْ.

قال أبو علي: قَوله فَرَبِّه أي: أدمه، يقال: رَبَّ بِالمكانِ وأرَبَّ، أي: أقامَ بِه ودَامَ.

قال بِشرٌ:

أرَبَّ عَلى مَغانِيها مُلِثٌّ هزيم وَدْقُه حتى عَفَاها

[نفسه ص٥٤٧]

* * *

➢ إتيان ما يستطاع وإجابة المسألة:

قال أبو علي: أنشدنا أبو عبدالله إبراهيم بن محمّد بن عرفة قال: أنشدنا أحمد بن يَحيى، عن ابن الأعرابي لكعب الغنوي يقول لابنه عَلي:

أعَلِيُّ إنْ بَكَرَتْ تُجَاوِبُ هَامَتِي هَاماً بِأغْبَرَ نازِح الأركَانِ
وعلمت ما أنا صَانِع ثُمّ انْتَهى عُمْرِي وذلك غَايَةُ الفِتيانِ
وإذا رأيت المرءَ يَشْعَبُ[1] أَمْرَهُ شَعْبَ العَصَا ويَلِجُّ في العِصْيَانِ

(١) «شَعَبَ الشَّيءَ: فَرَّقَه» [مختار الصِّحاح: ١٤٢].

فاغمِدْ[١] لما تَعْنُو[٢] فَما لَكَ بِالَّذِي لا تَستطيع مِنَ الأُمورِ يَدَانِ
وإذا سُئِلْتَ الخَيرَ فاعْلَم أنَّهُ نُعمى تُخَصُّ بِها مِنَ الرَّحمٰن
شِيَمٌ[٣] تَعَلَّقُ بِالرِّجَالِ وإنَّما شِيَمُ الرِّجالِ كهيئَةِ الألوانِ

[نفسه ص٥٥٠]

❋ ❋ ❋

➢ أجوادُ البِلاد:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو بكر قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عُبيدة، قال: أجوادُ أهل الحِجاز ثَلاَثة: عبدالله بن جَعفر، وعبيدُالله بن العَبّاس وسعيدُ بنُ العاص. وأجواد أهل الكُوفة ثلاثة: عَتَّابُ بن ورقاء، وأسماء بن خارجة، وعكرمة بن رِبعيّ. وأجواد أهل البصرة ثلاثة: عبيدالله بن أبي بكرة، وعُبيدالله بن معمر، وطَلحة بن عبدالله الخُزَاعي.

[نفسه ص٥٨٠]

❋ ❋ ❋

➢ قصّة حاتم الطَّائي مع البرجمي صاحب الحمالة:

قال أبو علي رحمه الله: أخبرنا أبو حاتم قال: أخبرنا السَّكن بن سعيد قال: أخبرنا العَبّاس بن هشام بن محمد بن السَّائب قال: كان أبو جُبَيل عبد قَيس بن خُفاف البُرجمي أتى حاتم طيّء في دماء حملها عن قَومه،

(١) عَمَدَ للشَّيء قَصَدَ له أي: تَعَمَّدَ.
(٢) «عَنَاهُ الأَمْرُ يَعْنِيه ويَعْنُوه عِنايَةً وعَنَايَة وعُنِيًا: أهَمَّه» [القاموس المحيط: ١٣١٦].
(٣) الشِّيمَةُ، بِالكسر: الطَّبيعة.

فأسلموه فِيها وعجز عنها، فقال: والله لآتينَّ مَن يَحملها عنّي وكان شَريفاً شاعراً، فَلمّا قدم عليه قال: إنّه وقعت بيني وبين قومي دِمَاءٌ فَتواكلوها، وإنّي حملتها في مَالي وأَمَلي فقدّمت مالي وكُنت أَمَلِي، فإن تَحْمِلها فرُبَّ حَقٍّ قد قضيته، وهَمٍّ قد كفيته، وإنْ حَالَ[1] دُون ذٰلك حَائِل لم أذمُمْ يَوْمَكَ وَلم أَيأَسْ مِنْ غدِكَ، ثُمّ أنشأ يقول:

حَمَلْتُ دِمَاءً لِلبَرَاجِم جَمَّةً[2] ... فجئتك لمّا أسلمتني البَرَاجِمُ
وقالوا سَفَاهاً لِمْ حَمَلتَ دِمَاءَنا ... فقلت لهم يكفي الحَمالة[3] حَاتِم
متى آتِه فِيهَا يَقُلْ لِي مَرْحَباً ... وأهلاً وسَهْلاً أخطأتك الأَشائِمُ
فيحملها عَنّي وإن شِئت زادَني ... زيادة مَن حَلَّت إليه المكارِمُ
يَعِيشُ النَّدَى[4] ما عاشَ حاتِم طَيِّئ ... فإنْ ماتَ قامت للسَّخاءِ مَآتِم
يُنَادين مات الجُودُ مَعْكَ فلا تَرى ... مُجيباً له ما حَامَ[5] في الجَوِّ حَائِم
وقال رِجَالٌ أنهب العامُ مَالَهُ ... فَقلت لهم إنّي بِذٰلك عَالِمُ
ولكنَّهُ يُعطي من أموالِ طيِّئ ... إذا جَلَّفَ[6] المالَ الحُقُوقُ اللَّوَازِم
فَيُعطي التي فيها الغِنَى وكَأَنَّهُ ... لتصغيره تلك العَطِيّةِ جَارِمُ
لذلك أوصاهُ عدِيٌّ وحَشْرَجٌ ... وسَعْدٌ وعبدالله تلك القَمَاقِم

فقال له حاتم: إن كنت لأحبُّ أَن يأتيني مِثلك من قَومك، هٰذا مِرْبَاعِي[7] من الغارة على بني تَميم، فَخُذه وافِراً، فإن وَفَى بِالحَمالَةِ وإلا

(١) حال الشَّيءُ بَيني وبَينَهُ يَحُولُ حَوْلاً وحُؤولاً أي: حَجَزَ.
(٢) كَثيرة.
(٣) «الحَمَالَةُ، كَسَحَابَةٍ: الدِّيَةُ يَحْمِلها قَومٌ عن قَوْم، كالحِمَالِ، الجمع: حُمُلٌ، كَكُتُب» [القاموس المحيط: ٩٨٧].
(٤) الجُودُ.
(٥) «حَامَ الطَّيْرُ على الشَّيء حَوْماً وحَوَمَاناً: دَوَّمَ» [القاموس المحيط: ١٠٩٨].
(٦) «جَلَفَهُ: قَشَرَهُ، فَهو جَلِيفٌ ومَجْلُوفٌ، وجَرَفَهُ» [القاموس المحيط: ٧٩٧].
(٧) «المِرْبَاعُ: رُبْعُ الغَنِيمَة الذي كان يأخُذه الرَّئيس في الجَاهليّة» [القاموس المحيط: ٧١٨].

أكملتها لك، وهو مائتا بَعير سِوَى نِيبِها[١] وفِصالها[٢]، مع أنّي لا أُحبّ أن تُوبِس قَومَك بأموالهم، فَضَحِك أبو جُبيل وقال: لكم ما أخذتم مِنّا، ولنا ما أخذنا مِنكم، وأَيُّ بَعيرٍ دَفعته إليّ ليس ذَنَبُهُ في يَدِ صاحبه فأنت منه بَرِيء فَدفعها إليه وزاده مائتا بَعير، فأخذها وانصرف رَاجِعاً إلى قَومه، فَقال حَاتم في ذٰلك:

أتَانِي البُرْجُمِيُّ أَبُو جُبَيْلِ ... لِهَمٍّ فِي حَمَالَتِهِ طَوِيلِ
فَقلت له خُذِ المِرْبَاعَ[٣] رَهْواً ... فإنّي لست أَرْضَى بِالقَلِيلِ
على حالٍ ولا عَوَّدْتُ نَفْسِي ... على عِلاَّتِها[٤] عِلَلِ البَخِيلِ
فَخُذْها إنَّها مائتا بَعِيرٍ ... سِوَى النَّابِ الرَّذِيَّة[٥] والفَصِيلِ
فَلاَ مَنٌّ[٦] عليك بِها فإنّي ... رأيتُ المَنَّ يُزْرِي بِالجَزِيلِ[٧]
فآبَ[٨] البُرْجُمِيُّ ومَا عَلَيهِ ... مِنَ اَعْبَاءِ الحَمَالة من فَتِيلِ
يَجُرُّ الذَّيلَ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ[٩] ... خَفِيفَ الظَّهر مِنْ حِملٍ ثَقِيلِ

[نفسه ص٥٨٢]

* * *

(١) «النَّابُ: النَّاقةُ المسِنَّةُ، كالنَّيُّوب، كتَنُّورٍ، وجمعهما: أنيابٌ ونُيُوبٌ ونِيبٌ» [نفسه، ص١٤٠].
(٢) «الفَصِيلُ: ولدُ النَّاقةُ: إذا فُصِلَ عن أمِّه، الجمع: فُصْلاَنٌ، بالضم والكسر» [نفسه، ص١٠٤٢].
(٣) «المِرْبَاعُ: رُبْعُ الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية [القاموس المحيط: ٧١٨].
(٤) «قولهم: على عَلاَّتِهِ، أي: على كُلِّ حال» [القاموس المحيط: ١٠٣٥].
(٥) «الرَّذِيُّ، كغَنِيٍّ: مَنْ أَثْقَله المَرَضُ، والضَّعِيف مِن كُلِّ شيء، وهي: بهاءٍ» [نفسه، ص١٢٨٨].
(٦) مَنَّ عليه: ذكر وعَدَّد له ما فَعله له من الخَيرِ مثل أن يقول له: أعطيتك كَذا وفَعلت لك كَذا.
(٧) الكَثير.
(٨) رجع.
(٩) يقال: جاء ينفض مِذْرَوَيْهِ إذا جاءَ باغياً مُتهدِّداً.

◄ بين حاتم وابنته في الكرم:

قال: وأخبرنا السَّكن بن سَعيد، عن العَبّاس بن هشام، عن أبي مِسكين الدَّارمي، قال: كانت سَفَّانَة بِنت حَاتم من أَجود نساء العرب، وكان أبوها يُعطيها الصِّرْمة[١] من الإبل فَتَهَبها وتُعطيها النَّاس، فقال لها أَبُوها: يا بُنَيَّة، إنَّ الغَوِيَيْنِ إذا اجتمعا في المالِ أتلفاه، فإمَّا أَنْ أعطي وتُمسكي، وإمَّا أَنْ أُمسك وتُعطي، فإنَّه لا يَبقى على هٰذا شَيء، فَقالت: والله لا أُمسك أبَداً، فَقال: وأَنا والله لا أُمسك أَبَداً، قالت: فَلا نَتجَاوَرُ، فقاسَمها مَالَهُ وتَبَايَنا.

[نفسه ص٥٨٢]

❋ ❋ ❋

◄ كرم أُمِّ حاتم الطَّائي:

وحدّثنا قال: حدّثنا السَّكن بن سَعِيد، عن العَبَّاس، عن أَبِيه، قال: كَان عِنَبَةُ بنت عَفِيف بن عمرو بن عبد القَيس وهي أُمّ حَاتم من أَسخى النِّساء وأَقْرَاهم[٢] للضَّيف، وكانت لا تَليق شَيئاً تَملكه، فلمّا رأى إخوتها إتلافها حَجروا[٣] عليها ومنعوها مالها، فَمكثَتْ دَهْراً لا تَصِل إلى شَيء ولا يَدفع إليها شَيء من مالها، حتى إذا ظنُّوا أنّها قَد وَجدت أَلَمَ ذٰلك أعطوها صِرْمَة مِن إبلها، فَجاءتها امرأة من هَوازن كَانت تأتيها كلّ سنة تَسألها، فقالت لها: دُونك هٰذه الصِّرمة فَخُذيها، فَقد والله مَسَّنِي مِن ألم الجُوع ما آلَيتُ[٤] معه ألاّ أمنع الدَّهر سائلاً شَيئاً، ثُمّ أنشأت تَقُول:

---

(١) «الصِّرْمَةُ، بِالكسرِ: القِطْعَة مِنَ الإبل ما بين العِشرين إلى الثَّلاثين أو إلى الخمسين والأربعين. . .» [القاموس المحيط: ١١٢٩].

(٢) قَرَى الضَيْفَ قِرَى، بِالكسرِ والقصرِ والفتح والمَدّ: أضافه.

(٣) «الحَجْرُ، مُثلّثة: المَنْعُ، كالحُجْرَانِ، بِالضَّمِّ والكسر» [القاموس المحيط: ٣٧١].

(٤) «آلَى وائتَلَى وتألَّى: أَقْسَمَ» [القاموس المحيط: ١٢٦٠].

لَعَمْرِي لَقِدْماً عَضَّنِي الجُوعُ عَضَّةً ... فآليتُ ألاّ أمنع الدَّهر جائِعا
فَقُولا لِهٰذا اللائِمِي اليَوْمَ أعْفِني ... فإن أنت لم تَفعل فَعَضَّ الأَصَابِعَا
فَماذا عَسَيْتُم أَنْ تَقُولوا لأُختكم ... سِوَى عَذْلِكم[١] أَوْ عَذْلِ مَنْ كَانَ مَانِعَا
ولا مَا تَرَوْنَ الخُلْقَ إلاّ طَبيعة ... فَكيفَ بِتَرْكِي يا ابن أمّ الطَّبَائِعا

[نفسه ص٥٨٢]

❋ ❋ ❋

➢ بين كَعب بن زُهير وزيد الخَيل:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثنا أبو بكر قال: حدَّثنا أبو حاتم، عن أبي عُبيدة، عَن أبي عمرو بن العلاء، قال: خَرج بُجَيْرُ بن زُهير بن أبي سُلمى في غِلمة يَجْتَنون جَنَى الأرض، فانطلق الغِلمة وتركُوا ابن زُهير، فَمرَّ به زَيْدُ الخَيل الطَّائي فأخذه، ودار طيّئ مُتاخِمَةٌ[٢] لدور بني عبدالله بن غطفان، فَسأل الغُلام: مَن أنت؟ قال: أنا بُجير بن زُهير، فَحمله على ناقة وأَرسل بِه إلى أبِيه، فَلمّا أتى الغُلام أباه أخبره أنَّ زَيداً أخَذه ثُمّ خَلاَّه وحَمَله.

وكان لكعب بن زُهير فَرس مِن جِياد خيل العرب، وكان كَعب جَسِيماً[٣]، وكان زيد الخيل من أعظم النّاس وأجسمهم، وكان لا يَركب دَابّة إلا أصابت إبهامُه الأرض، فقال زُهير: مَا أدري ما أُثيب به زَيداً إلا فَرس كعب، فأرسل به إليه وكعب غائب، فلمّا جَاء كعب سأل عن الفَرس، فقيل له: قد أرسل بِه أبوك إلى زَيد، فقال كَعب لأبِيه: كأنَّكَ أَردت أَنْ تُقَوّي زَيداً على قِتال غطفان، فقال له زُهير: هٰذه إبِلي فَخُذْ مِنها عن فرسك

(١) مَلاَمَتِكم.
(٢) مُجاورة.
(٣) «جَسُمَ، كَكَرُمَ: عَظُمَ، فَهو جَسِيمٌ وجُسَامٌ، كَغُرَاب، وهي: بهاءٍ» [القاموس المحيط: ١٠٨٨].

ما شئت. وكَان بَين بني زُهير وبين بني مِلقط الطّائيين إخَاءٌ، وكان عمرو بن مِلْقَط وَفاداً إلى الملوك، وهو الذي أصاب بني تَميم مع عمرو بن هند يوم أُوارة فَسأله فيهم فأطلقهم لَهُ، فَقال كعب شِعراً يُريد أَن يُلقى بين بَني مِلقط وبَين رَهط زيد الخَيل شَرًا، فعرف زهير حين سَمع الشِّعر ما أراد بِه، وعرف ذٰلك زيد الخَيل وبَنو مِلقط، فأرسلت إليه بَنو مِلقط بِفرسٍ نحو فَرسه، وكانت عند كعب امرأة مِن غطفان لها شَرف وحسب، فَقالت لَه: أما استحييت مِن أبيك لشرفه وسنّه أَنْ تُؤَنِّبُه[1] في هِبَتِه عن أخِيك، ولاَمَتْهُ، وكان قَد نَزل بِكعب قبل ذٰلك ضِيفَانٌ[2] فَنَحَرَ لهم بَكْراً[3] كان لامرأته، فقال لها: مَا تَلومينني إلاّ لمكان بَكْرك الذي نَحَرَت لِضُيُوفي، فَلَك بِه بَكْرَانِ وكان زُهير كَثير المال، وكَان كعب مَجْدُوداً فقال كَعب:

ألا بَكَرَتْ عِرْسِي[4] بِلَيْلٍ تَلُومُني ... وأكثَرُ أحلام النِّساء إلى الرَّدَى[5]

وذكر في كلمته زَيداً، فقال زُهير لابنه: هجوتَ[6] رَجُلاً غير مُفْحَمٍ، وإنَّه لخليق أَنْ يَظهر عَليك، فأجابه زيد فَقال:

أَفِي كُلِّ عَامٍ مَأْتَمٌ تَجْمَعُونَهُ ... على مِخمَرٍ عَوْدٍ أُثِيبَ ومَا رُضَى[7]
تَجِدُّون خَمْشاً بَعْدَ خَمْشٍ كَأنَّما ... على سَيِّدٍ من خير قَومكم نُعَى
يُحَضِّضُ جَبَّاراً عَليَّ ورَهطَهُ ... ومَا صِرْمَتي منهم لأوّل مَن سَعى
تَرَعَّى بِأذنابِ الشِّعَابِ ودُونَها ... رِجَالٌ يَصُدُّونَ الظَّلُومَ عن الهَوَى

---

(١) تُؤَنِّبُهُ: تُصَغِّرُه وتُحَقِّرُهُ.
(٢) جمع ضَيف.
(٣) «البَكْرُ: الفَتِيّة من الإبل، الجمع: بِكَارٌ» [القاموس المحيط: ٣٥٣].
(٤) «العِرْسُ، بِالكسر: امرأة الرّجل» [القاموس المحيط: ٥٥٧].
(٥) الهلاك.
(٦) شتمته بِالشِّعرِ.
(٧) رُضَى فِعْلٌ مبنيّ للمفعول وفتحت منه الضّاد فتقلب الياء ألفاً وهي لغة طائِيّة. (المحقّق)

ويَرْكَب يَوْمَ الرَّوْعِ[(١)] فِيها فَوَارِس | بَصِيرُون في طَعنِ الأبَاهِرِ[(٢)] والكُلَى
تقول أرى زَيداً وقَدْ كَانَ مُضرِماً[(٣)] | أَراه لعمري قد تَمَوَّلَ[(٤)] واقْتَنَى
وذاكَ عطاءُ اللّهِ في كُلِّ غارَةٍ | مُشَمَّرة يَوماً إذا قَلَصَ الخُصَى
فَلولا زُهيرٌ أَنْ أُكَدِّرَ[(٥)] نِعْمَةً | لقاذَعْتُ[(٦)] كَعباً ما بَقِيْتُ ومَا بَقى

[نفسه ص٥٨٣]

❋ ❋ ❋

◄ أكرم أبيات قالتها العَرب:

قال أبو علي رحمه الله: حدَّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدَّثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله، قال: حدَّثنا أبو عبدالله بن نطاح، قال: حدّثنا أبو عبيدة، عن عبدالأعلى القرشي، قال: قال عبدالملك بن مروان لِجُلسائه: أنشدوني أكرم أبيات قالتها العرب، فَقال رَوح بن زِنباع:

اليوم تَعلَمُ مَا يَجِيءُ بِهِ | ومضَى بِفَضلِ قضائه أَمس
منَعَ البَقاءَ تَقلُّب الشَّمْسِ | وطلوعها مِن حيث لا تُمسي
تَبْدُو لَنا بيضاءَ صافِيَةً | وتَغِيب في صَفْرَاءَ كالوَرسِ

فقال له: أحسنت، فأنشدني أكرم بيت وصف به رَجل قَومه في حرب، فقال: قول كعب بن مالك حيث يقول:

نَصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنا | قُدُماً ونُلْحِقُها إذا لم تَلحق

---

(١) الفَزع.
(٢) «الأَبْهَرُ: الظَّهرُ، وعِرْقٌ فِيه، ووَرِيدُ العُنُق» [القاموس المحيط: ٣٥٥].
(٣) «الأَضرَمُ، وكمُحْسِنٍ: الفَقِيرُ الكَثِيرُ العِيالِ، وقد أَضرَمَ» [نفسه، ص١١٢٩].
(٤) كَثُرَ مَالُهُ.
(٥) أجعلها غير صافية.
(٦) «قاذَعَهُ: فَاحَشَهُ وشَاتَمَهُ» [القاموس المحيط: ٧٤٩].

قال له: أحسنت، فأنشدني أفضل ما قيل في الجُود. قال: قوم حاتم الطَّائي:

ألم تَرَ ما أفنيتُ لم يَكُ ضَرَّنِي ... وأنَّ يَدِي مِمّا بَخلت بِه صِفْرُ
ألم تَرَ أَنَّ المالَ غادٍ ورائِح ... ويَبْقَى مِن المالِ الأحادِيث والذِّكْرُ
غَنينا زَماناً بِالتَّصَعْلُكِ والغِنَى ... وكُلاً سقاناه بِكأسيهما الدَّهْرُ
فما زادنا بَغْياً على ذِي قَرابَةٍ ... غِنانا ولا أَزْرَى بِأحسابنا الفَقر

قال: فَمن أَشعر العرب؟ قال: الذِي يقول ـ وهو امرؤ القيس ـ:

كأنَّ عُيونَ الوحش حول خِبَائِنا[1] ... وأَرْحُلِنا[2] الجَزْعُ[3] الذِي لم يُثَقَّبِ

والذي يَقُول:

كأنّ قُلُوبَ الطَّيْر رَطْباً ويَابِساً ... لدى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ[4] البَالِي[5]

[نفسه ص٥٨٨]

* * *

الحَثُّ على لزوم السَّخَاء ومجانبة البخل:

قال أبو حاتم رحمه الله: الواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حُطام هٰذه الدُّنيا الفَانية، وعَلم زوالها عَنه، وانقلابها إلى غَيره، وأَنّه لا

---

(١) «الخِبَاءُ: خَيمة مِنْ وَبَر أَوْ صُوفٍ أو شَعرٍ للسَّكن» [المنجد الأبجدي: ٣٩٧ ـ ٣٩٨].

(٢) «الرَّحْلُ: مَرْكَبٌ للبَعِيرِ، كالرَّاحُول، الجمع: أَرْحُلٌ ورِحَالٌ» [القاموس المحيط: ١٠٠٥].

(٣) «الجَزْعُ، ويُكْسَرُ: الخَرَزُ اليَمَانِيُّ الصِّينِيُّ، فِيه سَوَادٌ وبَيَاضٌ، تُشَبَّهُ بِهِ الأعينُ» [نفسه، ص٧٠٩].

(٤) «الحَشَفُ، بِالتَّحريك: أَرْدَأُ التَّمْرِ، أو الضَّعيفُ لا نَوَى له، أو اليابِسُ الفَاسِدُ» [القاموس المحيط: ٨٠٠].

(٥) القَدِيم.

ينفعه في الآخرة إلاَّ مَا قَدّم مِن الأعمال الصَّالحة: أَن يبلغ مَجهوده في أداء الحقوق في ماله، والقيام بِالواجب في أسبابه، مُبتغياً بِذلك الثَّواب في العُقبى، والذّكر الجميل في الدُّنيا، إذ السَّخاء مَحبَّة ومَحمدة كما أَنّ البُخل مذَمَّة ومبغضة، ولا خَيرَ في المال إلاَّ معَ الجُود، كَما لا خَيرَ في المنطق إلاَّ مع المَخْبَر[١].

ولقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري:

الجُودُ مكرمة والبُخلُ مَبْغَضة ... لا يستوي البُخلُ عند الله والجُودُ
والفَقْرُ فِيه شُخوص والغنى دَعَةٌ[٢] ... والنّاسِ في المالِ مرزوق ومَحْدُودُ[٣]

حدّثني محمد بن أبي علي الخلادي حَدَّثنا محمد بن الحسن الذّهلي، حدّثنا محمد بن يُوسف السَّدوسي، حَدَّثنا أحمد بن خالد القُثمي، حدّثنا سليمان مولى عبدالصَّمد بن علي: أَنّ المنصور أمير المؤمنين قال لابنه المهدي: «اعلم أَنّ رضاء النّاس غاية لا تدرك، فتحَبّب إليهم بِالإحسان جَهدك، وتَودّد إليهم بِالإفضال، واقصد بإفضالك موضع الحاجة منهم».

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي:

أَعاذِلَتَيَّ اليوم وَيْحَكُما مَهْلاً ... وكُفَّا الأذى عَنِّي ولا تُكثرا العَذْلا[٤]
دَعَانِي تَجُدْ كَفِّي بِمَا مَلكَتْ يدِي ... سأصبح يوماً أترك الجُودَ والبُخْلا
إذا وضعوا فوق الضَّريحِ جَنَادِلا[٥] ... عليّ وخَلَّفْتُ المَطِيَّةَ[٦] والرَّحْلا[٧]

---

(١) المَخْبَرُ: إدراك الشَّيء بِالاختبار لا بِالنَّظر.
(٢) سَعةٌ في العَيْش.
(٣) الممنوع من الحَظّ وغيره.
(٤) العَذْلُ: اللَّوْمُ.
(٥) «الجَنْدَلُ، كجَعْفَر: مَا يُقِلُّهُ الرّجل مِنَ الحِجَارة، وتُكسر الدَّال. وكعُلَبِطٍ: الموضع تَجتمع فيه الحِجَارة» [القاموس المحيط: ٩٨٠].
(٦) «المطيّة: الدَّابّة تَمطو في سَيْرِها. الجمع: مطايَا ومَطِيٌّ» [نفسه، ص١٣٣٥].
(٧) «الرَّحْلُ: مَرْكَبٌ للبَعِيرِ، كالرَّاحُول» [نفسه، ص١٠٠٥].

فَـلا أنَـا مـخـتـار إذا مَـا نـزلـتـه ولا أنـا لاقِ مـا ثَـويـت[١] بِـه أَهـلا

أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطِي، حدّثنا لوين، حدّثنا ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال: كان أبي يقول: ما هلك قوم قَطُّ أقاموا على ماء عَذب.

...قال أبو حاتم رضي الله عنه: أجودُ الجُود مَن جادَ بِماله، وصان نفسه عن مال غيره، ومَن جَاد سَادَ، كَما أنّ من بَخل رَذُل.

والجودُ حارس الأعراض، كما أنّ العفو زكاة العقل، ومن أَتمّ الجُود أَن يتعرَّى عن المِنَّة، لأنّ مَنْ لم يمتَنّ بِمعروفه وفَّرَهُ. والامتنان يهدم الصَّنائع، وإذا تَعَرّت الصَّنِيعَة عن إزار له طرفان: أحدهما الامتنان، والآخر طلب الجَزاء، كان من أعظم الجود، وهو الجود على الحقيقة.

ولقد أنشدني ابن زنجي:

يَا رُبَّ عَاذِلَة في الجُود قُلت لها: قِلّي على الله فيما أنفق الحلفا
هل من بخيل رأيت المال أخلده؟ أم هل رأيت جواداً ميتاً عَجفَا[٢]؟
لـمّا رأتـنـي أوتـي الـمـال طـالِـبَـهُ ولا أبـالـي تِـلاداً كـان أم طـرفـا؟
عدّت سماحيَ تبذيراً ولست أرى ما يكسب الحمد تبذيراً ولا سَرفا

أنبأنا الحسين بن سُفيان، حدّثنا حبان بن موسى قال: قسم ابن المبارك يوماً بين إخوانه وأصحاب الحديث ألف درهم، ثمّ أنشأ يقول:

لا خـيـرَ فـي الـمـال لِـكُـنّـازِه إلا جـواد الـكَـفّ وَهَّـابـه
يـفـعـل أحـيـانـاً بِـزُوّارِه مـا تـفـعـل الـخـمـر بِـشُـرَّابِـه

حدّثني محمد بن عثمان العقبي، حدّثنا الحسن بن محمد عن ابن

(١) «ثَوَى المكانَ، وبهِ يَثْوِي ثِوَاءً وثُويًا، بالضَّمّ، وأَثْوَى: أطال الإقامَةَ به» [القاموس المحيط: ١٢٦٨].

(٢) العَجَفُ: الهُزَال.

السماك، قال: يا عجبي لمن يشتري المماليك بِالثَّمن، ولا يشتري الأحرار بالمعروف.

قال أبو حاتم رضي الله عنه: إنَّ مِن أحسن خصال المرء الجود من غير امتنان، ولا طلب ثَواب، والحلم من غير ضعف ولا مهانة.

وأصل الجود ترك الضَّنّ بِالحقوق عن أهلها، كما أنَّ أصل تربية الجَسد أن لا يحمل عليه في الأكل والشّرب والبَاه، فكما لا تنفع المروءة بغير تَواضع، ولا الحفظ بغير كفاية، كذٰلك لا ينفع العَيش بغير مَال، ولا المال بغير جُود، وكما أنّ القرابة تَبع للمودَّة، كذٰلك المحمدة تبع للإنفاق.

. . . وأنشدني الكريزي ليحيى بن أكثم:

ويُظهر عيبَ المرءِ في النَّاسِ بُخْلُهُ ... ويستره عنهم جميعاً سَخاؤه
تَغطَّ بأثواب السَّخاءِ فإنَّني ... أرى كلّ عيب والسَّخاء غطاؤه

وأنشدني أحمد بن محمد بن عبدالله اليَماني لبعض القرشيين:

سأبذل مَالِي كلّما جَاء طالِبٌ ... وأجعله وَقفاً على القَرضِ والفَرضِ
فإمّا كَريماً صُنْتُ بِالجُودِ عرضه ... وإمّا لئيماً صُنت عن لُؤمه عِرْضِي

وأنشدني كامل بن مكرم أبو العلاء، أنشدني هلال بن العلاء بن عمر الباهلي:

ملأتُ يدي مِنَ الدُّنْيَا مِرَاراً ... فَما طمع العواذِلُ في اقتصادي
وما وجَبَت عليَّ زَكَاةُ مَالٍ ... وهل تَجب الزَّكاة على الجَواد؟

. . . البخيل يقال له في أوّل درجته: البَخيل، فإذا عَتَا وطغى في الإمساك يقال له: الشّحِيحُ، فإذا ذَمَّ الجُود والأسخياء يقال له: لَئِيم، فإذا صارَ يَحتجّ للبُخلاء ويَعذرهم في فِعالهم يقال له: الملائم.

وما اتَّزرَ رجل بإزارٍ أهتك لعرضه، ولا أثلم لدِينه من البُخل.

ولقد أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي:

لـكـلِّ هَـمٍّ مـنَ الـهُـمـوم سَـعَـةْ والـبُـخْـلُ والـلُّـؤْمُ لا فَـلاَحَ مَـعَـهْ[١]
قـد يـجـمـع الـمـال غَـيـرُ آكـلـه ويـأكـل الـمـال غـيـر مـن جَـمَـعَـهْ
اقـبـل مـن الـدَّهْـرِ مـا أتـاكَ بِـه مَـنْ قَـرَّ عـيـنـاً بِـعَـيْـشِـهِ نَـفَـعَـهُ

سمعت الخطابي بالبصرة يقول: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سأل كسرى: أيّ شيء أضرّ على ابن آدم؟ قالوا: الفقر، قال: الشُّحُّ أضرُّ منه، إنَّ الفَقيرَ إذا وجد اتّسع، وإنَّ الشّحيح لا يتّسع إذا وَجد.

أنبأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب حَدّثنا ابن أَبي القعقاع قال: قال أبو الهُذيل: كنت عند يحيى بن خالد البرمكي، فدخل عليه رجل هندي، ومعه مترجم له، فقال المترجم: إنّ هٰذا رجل شاعر، قد حاول مدحتك، فقال يَحيى: لِيُنشد، فقال الهنديّ:

أَرَهِ أَصَـــرَه كـــكَـــرَاكـــى كَـــرِهِ مَـــنْـــدَرِهِ

فقال يحيى للمترجم: مَا يقول؟ قال: يقول:

إذَا الـمـكـارِمُ فـي آفـاتـنـا ذُكِـرَتْ فـإنّـمـا بِـك فـيـهـا يُـضـرب الـمَـثَـلُ

...وأنشدني عمرو بن محمّد الأنصاري أنشدني الغلابي أنشدني مهدي بن سابق:

يـا مـانِـعَ الـمـال كـم تَـضِـنُّ بِـهِ تَـطـمـع بِـالله فـي الـخُـلـود مَـعَـهْ؟
هَـلْ حَـمَـلَ الـمـالَ مَـيـت مَـعَـهُ؟ أمَـا تَـراه لِـغَـيْـرِه جَـمَـعَـه؟

...وأنشدني عليّ بن محمد البسامي:

ربّ مـالٍ سَـيـنـعـم الـنّـاس فِـيـه وهـو عـن رَبّـه[٢] قَـلـيـل الـغَـنَـاء[٣]

(١) الأبيات محفوظة لأوس بن حجر، وفيها: «والصُّبْحُ والمسى لا فلاح معه». (المحقّق)
(٢) مَالِكه.
(٣) الغَنَاءُ، بالفتح والمَدّ: النَّفعُ.

كـان يـشـقـى بـه ويـنـصَـبُ[١] فِـيـه   ثـم أضـحـى لـمـعـشـرٍ غُـرَبَـاء
مـا لـه عـنـدهـم جَـزاء إذَا مَـا   نَـعـمـوا فِـيـه غـيـر سـوء الـثَّـنـاء
رُبَّ مَـالٍ يـكـونُ ذَمًّـا وغَـمًّـا   وغَـنِـيٍّ يُـعَـدُّ فـي الـفُـقَـراءِ

. . . وَأنشدني عبدالعزيز بن سُليمان:

تَـجُـودُ بـالـمـالِ عـلـى وَارِثٍ   ولا تـرى أهـلاً لـه نـفـسـكـا
قَـدِّمَ حُـسـنَ الـظَّـنِّ بِـالله مَـنْ   جَـادَ وسـوء الـظَّـنِّ مـن أمـسـكـا

أنبأنا عمرو بن محمد، حدّثنا الغَلابي، حدّثنا ابن عائشة قال: كان عمر بن عبدالعزيز كَثيراً ما يتمثّل بهذا الشعر ويعجبه:

ومـا تَـزَوَّدَ مـمَّـا كـانَ يـجـمـعـه   إلاَّ حَنُوطاً غَـدَاة البيـنِ مع خِرَقِ
وغـيـر نَـفْـحَـةِ أعـواد تُـشَـدُّ لَـهُ   وقَـلَّ ذٰلـك مـن زَاد لِـمُـنْـطَـلِـقِ

أنبأنا أبو يعلى حدّثنا يحيى بن أيّوب المقابري حدّثنا حماد بن زيد حدّثنا أيوب عن نافع قال: «مرض ابن عمر بالمدينة، فاشتهى عِنباً في غير زمانه، قال: فَطلبوا فلم يَجدوا إلا عند رجل، فاشترى سبع حَبَّات بدرهم، فجاء سائِل فأمر له بِه، ولم يَذُقه».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: ما رأيت أَحداً من الشَّرق إلى الغرب ارتدى بِرداء الجُود واتَّزَر بإزار ترك الأذى إلا رأس أشكاله وأضداده، وخضع له الخاصُّ والعَامُّ، فمن أراد الرِّفعة العالية في العُقبى، والمرتبة الجليلة في الدُّنيا، فليلزم الجُود بما مَلَك، وترك الأذى إلى الخاص والعام، ومَن أراد أن يهتك عرضه، ويثلم دِينه، ويَملّه إخوانه، ويستثقله جِيرانه، فليلزم البُخل.

ولقد ذمّ البخل أهل العقل في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هٰذا، فمنه ما أنشدني محمد بن عبدالله البغدادي:

(١) يتعب.

كـأنَّـمـا نُـقـرت كَـفّـاه مِـن حَـجَـرِ   فَـلـيـس بَـيـن يـديـه والـنَّـدى عَـمَـلُ
يـرى الـتّـيـمُّـمَ فـي بَـحْـرٍ وفـي بَـلـدٍ   مَـخـافـة أن يُـرى فـي كَـفِّـه بَـلَـلُ

. . . سمعت محمد بن نصر بن نَوفل المروزي يَقول: سمعت محمد بن صالح الوركاني يقول: قيل للنّضر النّضر بن شميل: أي بيت قالته العرب أسخى؟ قال: الذي يقول:

فَلو لَمْ تَكُن في كَفِّه غَيرُ روحه   لَجَادَ بِها فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُه

قال: وأيّ بَيت قالته العرب أبخل؟ فقال:

لـو جُـعـل الـخَـرْدَلُ فـي كَـفِّـهِ   مَـا سـقـطـت مِـن كَـفِّـهِ خَـرْدَلَـه

قال: وأيّ بيت قالته العرب أهجى؟ قال:

والـعَـجْـرَفِـيُّـون لا يُـوفـون مـا وعـدوا   والـعَـجْـرَفِـيّـات يُـنـجـزن الـمـوَاعِـيـدا

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجب على العاقل إذا لم يُعرف بالسَّماحة ألاَّ يعرف بِالبخل، كما لا يجب إذا لم يعرف بِالشجاعة أن يُعرف بالجبن، ولا إذا لم يعرف بالشَّهامة أن يعرف بِالمهانة، ولا إذا لم يُعرف بالأمانة أن يعرف بِالخيانة، إذ البخل بئس الشّعار في الدُّنيا والآخرة، وشرّ مَا يُدَّخر من الأعمال في العُقبى.

حدّثنا أحمد بن عمرو بن جَابر بِالرّملة، حدّثنا أبو عتبة الحمصي أحمد بن الفرج حدّثنا ضَمرة، حدَّثنا إبراهيم بن أبي عبلة قال: سمعت أمّ البنين أخت عمر بن عبدالعَزيز تقول: أفٌ للبخل، والله لو كان طريقاً ما سلكته، ولو كان ثوباً ما لبسته.

حدّثنا عمرو بن محمد حدّثنا الغلابي حدّثنا العبّاس بن بكار الهذلي قال: قال الحسن: مَنْ أيقن بِالخلفِ جَادَ بِالعَطِيَّة.

[«روضة العقلاء ونزهة الفُضلاء» تأليف: الإمام أبي حاتم، ص٢٣٥ ـ ٢٤٢]

❋ ❋ ❋

➢ سألاَ عن المجد والمعروف أين هُما؟

لمّا بلغ ابنَ هرمةَ الشّاعر موت الحكم بن حنطب بمنبج فأنشأ يقول:

سَالاَ عَن المجدِ والمعروف أين هُما؟ ... فقلت: إنّهما مَاتَا مَع الحَكَم
ماتَا مَعَ الرَّجُل الموفَى بِذمَّتِهِ ... يوم الحِفاظِ[1] إذا لم يُوفَ بِالذِّمَمِ
ماذا بِمنبجَ لو تُنبش مقابرها ... من التَّهَدُّم بِالمعروفِ بِالكَرَمِ

حدّثنا محمد بن المهاجر، حدّثنا محمد بن موسى السمري عن حمّاد بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال: قيل للمغيرة بن شعبة: ما بقي من لذّتك؟ قال: الإفضالُ على الإخوان، قيل: فمن أحسنَ النّاس عيشاً؟ قال: مَنْ عاشَ بِعيشه غَيره، قيل: فَمن أسوأ النّاس عيشاً؟ قال: من لاَ يَعيش بعيشه أحد.

[«روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» ص٢٤٦]

❋ ❋ ❋

➢ لولا اللِّئَام لما عدّوا الكِرام:

قال منصور الفقيه:

قُل للكِرَام اعْرِفُوا حَقَّ اللِّئَام لَكُم ... إنّ اللِّئَام لهم عندَ الكِرَام يَدُ[2]
لولا اللِّئَامُ لما عُدُّوا الكِرَامَ ولاَ ... بانُوا[3] بفضلٍ إذا مَا حُصِّلَ العَدَدُ

---

(١) «المُحَافَظَةُ: الذَّبُّ عن المحارِم، كالحِفاظ، والاسْمُ: الحَفِيظة» [القاموس المحيط: ٦٩٥].

(٢) صَنِيعَة ومعروف.

(٣) رَحَلُوا.

لكنَّهم جَنَحُوا[١] للنَّقْصِ فانْتَقَصُوا ... وزادَ غَيرهُم فَضْلاً بما اعْتَقَدُوا
جَادُوا[٢] فَسَادُوا وضَنَّ[٣] الآخَرُونَ فَمَا ... يَغْدُو على وَالدٍ مِنْ لُؤمِهِ وَلَدُ
قد ساءَ ظَنّي بِما قد كُنتُ أَحْمَدُه ... لما رأيت جميع النّاسِ قَدْ فَسَدُوا
تَدَارَسُوا البُخْلَ حتَّى دَقَّ مَذْهبهم ... فِيه ودَانُوا بِإخْلاَفِ[٤] الذي وَعَدُوا
فاسْتَعْقَلُوا[٥] كُلّ مَنْ أَصْغَى لِبُخْلِهُمْ ... واسْتَجْهَلُوا[٦] كُلَّ مَنْ وَاسَى[٧] بما يَجِدُ
فصار للبُخْلِ حَقُّ الجُودِ بَيْنَهُمْ ... وأَلْزَمُوا الجُودَ عَارَ البُخْلِ لا رَشَدُوا

وقال آخر:

فإنْ سمعتَ بِهُلْكٍ للبخيلِ فَقُلْ ... بُعْداً وسُحْقاً له مِنْ هالِكٍ مُودي

...وقال الحسن بن هانئ:

رأيتُ الفَضْلَ مُتَّكِئاً ... يُنَاغِي[٨] الخُبْزَ والسَّمَكَا
فَقَطَّبَ[٩] حينَ أَبْصَرَنِي ... ونَكَّسَ[١٠] رأسَهُ وبَكَى
فلمّا أن حلفتُ له ... بِأنّي صَائِمٌ ضَحِكَا

ولمنصور الفقيه أيضاً:

أَتيتُ عَمْراً سَحَراً ... فَقَال: إنِّي صَائم

(١) مَالُوا.
(٢) أَعطَوا وسَخَوا.
(٣) بَخل.
(٤) أخلفَ وعده: لم يُتَمّمْهُ.
(٥) حسبوه عاقلاً.
(٦) عَدُّوه جَاهلاً.
(٧) واسَاهُ مواساةً لُغة في آسَاهُ مُؤَاسَاةً أي: عاونَهُ.
(٨) «المرأةُ تُناغِي الصَّبِيَّ أي: تُكَلِّمُهُ بِما يُعجبه ويَسُرُّه» [مختار الصِّحاح: ٢٧٩].
(٩) «قَطَبَ يَقْطِبُ قَطْباً وقُطُوباً، فَهو قاطِبٌ وقَطُوبٌ: زَوَى ما بين عَينيه، وكَلَحَ كَقَطَّبَ» [القاموس المحيط: ١٢٦].
(١٠) «نَكَسَهُ: قَلبه على رأسه، كَنكَّسَهُ» [نفسه، ص٥٧٨].

فَقُلْتُ: إنّي قاعِدٌ ... فقال: إنّي قائم
فقلت: آتيك غداً ... فقال: صومي دائم

قال جَحظة:

دَخَلْتُ على بَاخِلٍ بالطعام ... فَماتَ مِنَ الخَوفِ لمَّا دَخَلْتُ
فَقلتُ له: لا يَرُعْكَ[1] الدُّخول ... فَما جِئتُ بيتك حتّى أكلتُ

وقال أبو نُواس:

أبو نُوحٍ دخلت عليه يوماً ... فَغَدّاني بِرَائحة الطَّعَام
فكان كَمَنْ سَقَى الظَّمْآن آلا[2] ... وكُنت كَمَنْ تَغَدّى في المنام

وقال منصور الفقيه:

إنْ لم يُصِبْكَ مِنَ الكر ... يمِ الحُرّ وَابِلُهُ[3] فَطَلُّهْ[4]
إنَّ الكريمَ له على ... معروفه نَفسٌ تَدُلُّهْ
يُبْدِي مكارِمَهُ كَما ... يُبْدِي فِرِنْدَ[5] السَّيْفِ صَقْلُهْ

قال آخر:

وإنْ جُمعَ الآفاتُ فالبُخْلُ شَرُّهَا ... وشَرٌّ مِنَ البُخْلِ المواعيدُ والمَطْلُ[6]

وقال منصور الفَقِيه:

---

(١) لا يُفزعك.
(٢) «الآلُ: السَّرَابُ» [القاموس المحيط: ٩٦٣].
(٣) «الوَبْلُ والوَابِلُ: المَطرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ القَطِر» [القاموس المحيط: ١٠٦٧].
(٤) «الطَّلُّ: المطرُ الضَّعيف، أو أَخَفُّ المَطرِ أو أضعفه، أو النَّدَى، أو فَوْقَهُ ودُونَ المَطرِ، الجمع: طِلاَلٌ وطِلَلٌ» [نفسه، ص١٠٢٦].
(٥) «الفِرِنْدُ، بكسرِ الفاءِ والرَّاء: السَّيْفُ، وجَوْهَرُهُ، ووَشْيُهُ» [نفسه، ص٣٠٦].
(٦) «المَطْلُ: التَّسويفُ بِالعِدَةِ» [القاموس المحيط: ١٠٥٧].

إذا كَانَ في بُخْلِهِ مُحْكَماً ... وحَلَّ مِنَ المَجْدِ أَعْلَى الدَّرَجْ
وجَاءَكَ يَخْطُبُ زِنْجِيَّةً ... مُشَوَّهَةَ الخَلْقِ فيها هَوَجْ[1]
فَلا تَخْفَلَنَّ[2] بِهِ خاطِباً ... ولا تَفْرَحَنَّ ولا تَبْتَهِجْ
وإنْ كانَ سَمْحاً جَمِيلَ الفِعَالِ ... كَرِيماً جَوَاداً فإنَّ الحَرَجْ
وإنَّ القَطِيعَةَ في صَرْفِهِ ... ولو جاءَ يَخْطُبُ إحْدَى المُهَجْ[3]
بِغَيْرِ صَدَاقٍ لإعْسَارِه ... ومَا عُسْرُ مُنْتَظِرٍ لِلْفَرَجْ

قال حَمَّاد عَجرد، وتُروى للعتّابي:

إنَّ الكريمَ لَيُخْفِي عنك عُسْرَتَهُ[4] ... حتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وهو مَجْهُودُ[5]
ولِلْبَخِيلِ على أمواله عِلَلٌ ... زُرقِ العُيون عليها أوجه سُود
إذا تَكَرَّهْتَ أَنْ تُعطي القَليل وَلم ... تَقدر على سَعَةٍ لم يظهر الجُودُ
أَوْرِقْ بِخيرٍ تُرَجَّى لِلنَّوَال[6] فَمَا ... تُرْجَى الثِّمَارُ إذا لَم يُورِقِ العُودُ
بُثَّ النَّوَالَ ولا تَمنعك قِلَّتُهُ ... فَكُلّ مَا سَدَّ فَقْراً فهو مَحْمُودُ

. . .أخبرنا عبدالوارث، قال: حدَّثنا قاسم، قال: حدّثنا أبو عيسى، قال: أنشدني ابن المعلم لعلي بن الجَهم:

وإذا الكريم أتيتَهُ بِخديعةٍ ... أَلْفَيْتَهُ[7] فِيما تَرُومُ[8] يُسَارِعُ
ليس الكريم كَما ظننت بِجَاهِلٍ ... إنَّ الكريمَ لِفَضْلِهِ يَتَخادَعُ

(١) «الهَوَجُ، محرّكة: طُولٌ في حُمْقٍ وطَيْشٍ وتَسَرُّع» [نفسه، ص٢١١].
(٢) «مَا حَفَلَهُ، وبه، يَحْفِلُهُ، ومَا احْتَفَلَ بِهِ: مَا بَالَى» [القاموس المحيط: ٩٨٥].
(٣) «المُهْجَةُ: الدَّمُ، أو دَمُ القَلْبِ، والرُّوحُ» [نفسه، ص٢٠٦].
(٤) «العُسْرُ، بِالضَّمِّ وبضمَّتين وبِالتَّحريك: ضِدُّ اليُسْرِ» [القاموس المحيط: ٤٣٩].
(٥) «الجَهْدُ: الطَّاقَةُ، ويُضَمُّ والمَشَقَّةُ» [نفسه، ص٢٧٥].
(٦) العطاء.
(٧) وجدته.
(٨) تطلب.

قال آخر:

لا تـطـلـبـنَّ إلـى لـئـيـم حـاجَـةً واقْـعُـدْ فـإنَّـكَ قـائِـمـاً كـالـقـاعِـدِ
يـا خـادِعَ الـبُـخَـلاءِ عـن أمـوالـهـم هَـيـهـاتَ تـضـرب فـي حَـدِيـدٍ بَـارِدِ

قال آخر:

طَـعَـامُـهُ الـنَّـجْـمُ لـمَـنْ رَامَـهُ وخُـبْـزُه أَبْـعَـدُ مِـنْ أَمْـسِـهِ
كـأنَّـهُ فـي جَـوفِ مِـرْآتِـهِ يُـرَى ولاَ يُـطْـمَـعُ فـي لَـمْـسِـهِ

قال آخر:

إنْ كُـنـت تـطـمـعُ فـي كَـلامِـهْ فـارْفَـعْ يَـمِـيـنَـك عـن طَـعَـامِـهْ
سِـيَّـانِ كَـسْـرُ رَغِـيـفِـهِ أو كَـسْـرُ عَـظْـمٍ مِـن عِـظَـامِـهْ

وقال دِعْبل بن علي الخُزاعِي:

لئِنْ كُنتَ لا تُولي يَداً دُونَ إمْرَةٍ فَلَسْتَ بِمُولٍ نائِلاً آخِرَ الدَّهْرِ
وأَيُّ جَوَادٍ لم يَجُدْ في مُلِمَّةٍ وأَيُّ بَخِيلٍ لم يُنِلْ ساعَةَ الوَفْرِ[1]

وقال منصور الفقيه:

راجِـي الـبَـخِـيـلِ وَضِـيـعٌ كَـمـا الـبَـخِـيـلُ وَضِـيـعُ
ومَـا يَـقُـولُ سِـوَى ذا فـي ذَيْـنِ إلاَّ رَقِـيـعُ

للعَرْزَمي ويُروى لأبي الأسود الدُّؤلي:

وإذا طَـلَـبْـتَ إلـى كَـرِيـم حَـاجَـةً فَـلِـقـاؤه يَـكْـفِـيـكَ والـتَّـسْـلِـيـمُ
وإذا طَـلـبـت إلـى لَـئِـيـم حـاجَـة فَـألِـحَّ فـي رِفـق وأَنـت مـديـمُ

وقال آخر:

---

(١) الغِنى.

إِذَا سُسْتَ قَوْماً فاجْعَل الوُدَّ بَينهم ... وبينك تأمن كلّ ما تتخوَّفُ
فإن خفت مِنْ أهواءِ قَوم تَشَتُّتاً ... فبالجُودِ فاجمع بَيْنَهُم يَتَأَلَّفُوا
فإنْ كَشَفَت عَنكَ المُلِمَّات عَوْرَةً ... كَفاك غِطَاءُ الجُود ما يَتَكَشَّفُ

قال ابن شهاب: الكريم لا تُبخله التَّجارب. ويُروى عنه أَنّه قال: إنَّ الكريم لا تُحكمه التَّجَارب.

وسُئل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن البُخل، فَقال: هو أَنْ يرى الرَّجل ما ينفقه تَلفاً، وما أمسكه شَرَفاً.

قال طاووس: البخلُ أَنْ يبخلَ الإنسان بِما في يديه، والشُّحُ أَنْ يَشِحّ بما في أيدي النّاسِ، ويَجب أَنْ يكون له ما في أيديهم بِالحِلِّ والحَرام ولا يقنع.

وقال أبو العتاهية:

وإنّ امرءًا لم يَرْبَح النَّاس نَفعُه ... ولم يأمَنُوا منه الأذى لَلَئِيمُ
وإنَّ امرءًا لم يَجعلِ البِرَّ كَنْزَه ... وإنْ كانت الدُّنيا لَهُ لعَدِيمُ

[«بهجة المجالس وأنس المجالس» ص٦٣٢ ـ ٦٣٩]

❋ ❋ ❋

➢ يخنق كَلبه:

يُقال في الكِناية عن البَخيل عَارِي الخوان وهو يخنق كلبه قال الحُطيئَة:

دفعت إليه وهو يخنق كلبه ... ألا كُلُّ كَلبٍ لا أبا لَكَ نابِحُ

[«المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء»، ص١٤٦]

❋ ❋ ❋



➤ الكرام أغلقوا باب السَّماح:

قال القاسم بن الحُسين بن محمّد أبو محمّد الخوارزمي النَّحوي:

يا زُمْرَةَ الشُّعَرَاءِ دعوةَ ناصِحِ ... لا تَأْمُلُوا عند الكِرَام سَمَاحَا
إنَّ الكِرامَ بِأسرهم قد أَغْلَقُوا ... باب السَّمَاح وضَيَّعُوا المفتاحَا

[«بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة» للسُّيوطي، ج٢/٣٤٧]

❋ ❋ ❋

➤ بَخيل اسْمُهُ بَحْرٌ وكُنيته أبو الغمر:

قصد أعرابي أبا الغمر فسأله فأعطاه درهمين فَردّهما إليه ثمّ قال:

رددت لِبَحرٍ دِرهميهِ ولم يَكُنْ ... ليدفع عَنِّي فاقتي درهما عمرو
فقلت لِبَحرٍ خُذهما واصطرفهما ... وأنفقهما في غَيْرِ حَمْدٍ ولا أَجْرِ
أتمنع سُؤَّال العَشِيرَة بَعدهما ... تَسَمَّيْتَ بَحْراً واكتنيت أبا الغَمرِ

[«محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبلغاء» ص٢١٢]

❋ ❋ ❋

➤ فهبها مِدحة ذهبت ضياعاً:

كان ربيعة قد مدح العبّاس بن محمّد بقوله:

لو قِيلَ للعَبَّاسِ يا ابن مُحمَّدِ ... قُلْ «لا» وأنت مُخلَّد مَا قَالَها

فأعطاه بَعدَ مَطلٍ كَثير دينارين فَوهب رَبيعة ذٰلك لصاحب دَواته وقال: خُذ هٰذه الرُّقعة[1] وأوصلها وكتب فِيها:

---

(١) «الرُّقْعَةُ، بِالضَّمِّ: التي تُكْتَبُ، الجمع: رِقَاعٌ» [القاموس المحيط: ٧٢٢].

مدحتك مِدْحَةَ[١] السَّيف المُحَلَّى[٢] لـتجـري فـي الـكـلام كـمـا جـريـتُ
فـهـبـهـا مِـدحـة ذهـبـت ضـيـاعـاً كـذبـت عـلـيـك فِـيـهـا وافْـتَـرَيـتُ

[نفسه ص٢١٢]

❋ ❋ ❋

➤ رَشْحُ الحَجر:

كان عبدالملك يقال له: رَشْحُ الحَجَر لبُخْلِهِ.

قِيل: فُلان لا تَندى أنامِلُه ولا تُرجى فَوَاضِله، أَلْيَنُ مِنْ كَفِّه الحَجر، وهو نَزْرُ[٣] العَرْفِ[٤]، جَامِدُ الكَفِّ.

كـأنَّـمَـا خُـلِـقَـتْ كَـفَّـاهُ مِـنْ حَـجَـرٍ فَـلـيـس بـيـنَ يَـديـهِ والـنَّـدَى عَـمَـلُ

وقال الشاعر:

لـو عـبـرَ الـبـحـرَ بِـأمـواجِـه فـي لـيـلـة مـظـلـمـة بَـارِدَهْ
وكَـفُّـه مـمـلـوءة خَـرْدَلاً مـا سَـقَـطـت مـن كَـفِّـهِ واحِـدَهْ

قيل لرجل: ما رأيت من فُلان فَقال: بَرْقٌ بلا مَطر، وورق بِلا ثَمر، ووجه كَريم وفِعْلٌ لَئيم.

لا يَـنْـهـضـون إلـى مَـجـدٍ ولا كَـرم ولا يَـجُـودُونَ إلاَّ بـالـمَـعَـاذِيـرِ

---

(١) «المَدِيحُ والمِدْحَةُ والأُمْدُوحَةُ: مَا يُمْدَحُ بِه، الجمع: مَدَائِحُ وأَمَادِيحُ» [القاموس المحيط: ٢٤٠].

(٢) حَلَّى سَيْفَهُ: اتَّخَذَ لَهُ حَلْياً.

(٣) «النَّزْرُ: القَلِيلُ، كالنَّزِير والمَنْزُورِ» [القاموس المحيط: ٤٨١].

(٤) «العَرْفُ: الرِّيحُ، طَيِّبَةً أو مُنْتِنَةً، وأكثر استعماله في الطَّيِّبَة» [نفسه، ص٨٣٦].

قال أعرابي: فُلانٌ إذا سَألَ ألْحفَ[١]، وإذا سُئِلَ سَوَّفَ[٢]، وإذا حَدَّث حَلف، وإذا وَعَدَ أخلف.

وقيل: إذا سُئِل أَقْنَطَ، وإذا سأل أَفْرَطَ.

عَمِل سهل بن هارون كتاباً مَدحَ فيه البخل وأهداهُ إلى الحسن بن سَهل وطلب منه ثَواباً فوقَّعَ على ظهره: قد جَعلنا ثَوابك مَا حسَّنته وأمرت بِهِ.

[نفسه ص٢١٣ ـ ٢١٤]

***

➢ حاتم البُخل:

كان أبو شبل البرجميّ الشاعِرُ في قدمته سُرّ مَنْ رأى نزل عَليه، وكان أبو شبل أهتم[٣]. فقال فِيه أبو عَوْنٍ:

لِحَاتم في بُخْلِهِ فِطْنَةٌ ... أَدَقُّ حِسًّا مِنْ خُطَى النَّمْلِ
قد جَعَلَ الهتمان ضِيفَانَهُ ... فَصارَ في أَمْنٍ منَ الأَكْلِ
ليس على خُبْزِ امرئ ضَيْعَةٌ ... آكله عَضْمٌ أبو شِبْلِ
كم قَدْرُ مَا تَحمله كَفُّهُ ... إلى فم من سِنِّهِ عُطْلِ
فَحَاتِمُ الجُودِ أخو طَيِّئ ... كان وَهٰذا حاتِمُ البُخْلِ

[«معجم الأدباء» ج١/١٥٠]

***

(١) «أَلْحَفَ عليه: أَلَحَّ» [القاموس المحيط: ٨٥٣].

(٢) أجَّلَ.

(٣) «هَتَمَ فَاهُ يَهْتِمُهُ: ألقى مُقَدَّمَ أسنانه، كَأَهْتَمَهُ» [القاموس المحيط: ١١٦٨].

➢ سَاهَمَهُم حتى اسْتَوت بِهم الحَال:

كان إبراهيم بن العَبَّاس وأَخُوه عبدالله من وُجُوه الكُتَّاب، وكان عبدالله أَسَنَّهُما، وأشدّهما تقدّماً، وكان إبراهيم آدَبهما، وأحسنهما شِعْراً، وكان إذا قال شعراً اختاره، وأسقط رَذْلَهُ[1]، وأَثْبَتَ نُخبته، فمن ذٰلك قوله:

ولكنَّ الجَوَادَ أَبَا هِشَام ... وَفِيُّ العَهْدِ مأمونُ المَغِيبِ
بَطِيء عندمَا استغنيتَ عَنهُ ... وطَلاَّعٌ عَليك مع الخُطُوبِ[2]

وهٰذا من نادر الشِّعر وجَيِّده، ومِن ذٰلك قَوله لأخيه عبدالله:

ولكنَّ عبدَاللَّهِ لمَّا حَوَى الغِنَى ... وصَارَ لَه مِنْ بينَ إخوانِه مَالُ
رأى خَلَّةً[3] مِنهم تُسَدُّ بِمالِه ... فَسَاهَمَهُم[4] حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِمُ الحَالُ

وهٰذا الشِّعرُ يَدُلُّ على أَنّ قَبله غَيْرَه، ولولا أَنْ يَكُونَ قَبله غيرُه لقالَ ألا إنَّ الجَوَادَ أبا هِشام، وألاَ إنَّ عبدالله أو يكون قَصد الإبهام بِمدح قد تَقدّم هٰذه الأبيات من جُملته، والله أعلم.

وكان إبراهيم كَاتباً، حاذِقاً، بَليغاً، فَصيحاً، مُنْشِئاً، وإبراهيم وأخوه عبدالله من صَنائع ذي الرِّياستين الفضل بن سهل، اتَّصلا به فَرفع منهما، وتنقَّل إبراهيم في الأعمال الجَليلة، والدَّواوين، إلى أن مات وهو مُتَوَلٍّ دِيوان الضِّياع والنَّفقات بِسُرَّ مَنْ رأى، سنَة ثَلاث وأربعين ومائتين للنِّصف من شَعبانَ، وكان دِعبلٌ يقول: لو تَكَسَّبَ إبراهيم بِالشِّعر لتركنا في غير شَيء، وتَعجّب مِن قوله:

---

(١) «الرَّذْلُ والرُّذَالُ والرَّذِيلُ والأَرْذَلُ: الدُّونُ الخَسِيسُ، أو الرَّدِيءُ مِن كُلِّ شَيء، الجمع: أَرْذَالٌ» [القاموس المحيط].
(٢) «الخَطْبُ: الشَّأْنُ، والأَمْرُ صَغُرَ أو عَظُمَ، الجمع: خُطُوب» [نفسه، ص٨٠].
(٣) «الخَلَّةُ: الحَاجَةُ، والفَقرُ» [القاموس المحيط: ٩٩٤].
(٤) سَاهَمَ في الأمر: اشْتَرَكَ فِيهِ.

إنّ امـرءًا ضَـنَّ بِـمَـعـرُوفـه　　عَـنِّـي لـمـبـذُولٌ لـه عُـذْرِي
مـا أنـا بِـالـرَّاغـبِ فـي خَـيـره　　إنْ كَـان لا يَـرغَـبُ فـي شُـكْـرِي

. . .حدَّثني الصُوليُّ قال: حَدّثني يحيى بن البُحتريِّ قال: رأيت أبي يُذاكر جَماعة من شُعراء الشَّامِ بِمَعان من الشِّعر، فَمرَّ فيها قِلّة نوم العاشق ومَا قيل في ذٰلك، فأنشدوا إنشادات فيها، فقال لهم أبي: فَرغ مِن هٰذا كَاتب العِراق، إبراهيم بن العَبَّاسِ، فَقال:

أَحْـسِـبُ الـنَّـوم حَـكَـاكـا[1]　　إِذْ رأى مِـنـك جَـفَـاكَـا
مِـنِّـيَ الـصَّـبْـرُ ومـنـك الـ　　ـهَـجْـرُ فَـابْـلُـغْ بـي مَـدَاكَـا[2]
كَـذَبَـت هِـمَّـةُ عَـيْـنٍ　　طَـمِـعَـتْ فـي أَنْ تَـرَاكَـا
أَيُّ مَـا حَـظٌّ لِـعَـيْـنٍ　　أَنْ تَـرَى مَـنْ قـد رآكَـا؟
لَـيـت حَـظِّـي مـنـك أَنْ تَـعْـ　　ـلَـمَ مَـا بِـي مِـنْ هـواكـا

ثُمّ قال البحتريّ: تَصَرَّفت هٰذه الأبيات في مَعانٍ مِنَ الشِّعرِ أَحْسَنَ في جَميعها، قال: فكتبتها عنه أجمعها وممّا روى له الصُّولِيُّ:

أَوْلَـى الـبَـرِيَّـةِ طُـرًّا أَنْ تُـوَاسِـيَـهُ　　عند السُّرُورِ الذي وَاسَاكَ في الحَزْنِ
إِنَّ الكِرَامَ إذا ما أَسْهَلُوا[3] ذَكَرُوا　　مَنْ كَان يألَفُهُم في المنزِلِ الخَشِنِ

ورُوي له، وهو في الحماسة:

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضَ[4] العَيْشِ في دَعَةٍ[5]　　نُـزُوعُ[6] نـفـسٍ إلـى أَهْـلٍ وأَوْطَـانِ

(١) حكاه: شابَهَهُ. أي: في الجَفاء والإعراض.
(٢) المدى: الغاية.
(٣) أَسْهَلُوا: صارَ في السَّهلِ.
(٤) «الخَفضُ: الدَّعَةُ، وعَيْشٌ خَافِضٌ، وقَدْ خَفُضَ، ككَرُمَ» [القاموس المحيط: ٦٤١].
(٥) السَّعَةُ في العَيش.
(٦) «نَزَعَ إلى أهله نزاعَةً ونِزَاعاً، بِالكسر، ونُزُوعاً، بِالضَّمّ: اشتَاقَ، كنَازَعَ» [نفسه، ص٧٦٦].

تَلقى بِكُلِّ بِلادٍ إنْ حَلَلْتَ بِها ... أرضاً بِأرضٍ وجِيراناً بِجِيرانِ

قال الصُوليُّ: حدّثني جَرير بن أحمد بن أبي دُؤاد، قال: كان إبراهيمُ أصدقَ النّاس لأبي، فعتب على ابنه أبي الوليد في شَيء، فَقال فِيه أحسنَ قَوْلٍ ذَمّهُ فَمَدح أباه، ومَا أحسنَ هٰذا من جِهة جَرير:

عَفَّتْ[1] مَسَاوٍ تَبَدَّتْ منكَ وَاضِحَةً ... على مَحَاسِنَ نقَّاهَا[2] أَبوكَ لَكَا
لئن تقَدَّمْتَ أبناءَ الكِرَام بِهِ ... فَقَدْ تَقَدَّم آبَاءُ الكِرَامِ بِكَا

ورُوِي لإبراهيم في مُحمّد بن عبدالملك:

إنْ كَانَ رِزْقِي عَلَيْكَ فَازِم بِهِ ... في مَا صَفَا حُبُّهُ على رَصَدِ
لو كُنت حُرًّا كما زعَمْتَ وقَدْ ... كَرَّرْتَنِي بِالمِطَالِ[3] لم أَعُدِ
لكنّني عُدْتُ ثُمّ عُدْتُ فإنْ ... عُدْتُ إلى مِثلِها إذاً فَعُدِ
أعتقني سُوءُ ما أتيتَ من الـ ... ـرِّقِّ فَيَا بَرْدَهَا على كَبِدي
فَصِرْتُ عَبْداً للسُّوءِ فيكَ وَمَا ... أحسن سُوءٌ قَبْلي إلى أَحَدِ

وله فِيه:

وقائِلٍ «لا» أَبداً ... إنْ جَدَّ أو إنْ هَزَلاَ
فَهْوَ إذا اضْطُرَّ إلى ... قول «نعم» قال: بَلَى
تَعَوَّدُوا منه لما ضُمِّنَ بالاً قولَ «لا»

[«معجم الأدباء» لياقوت الحموي، ج١/١٦٧ ـ ١٦٨ و١٩١ ـ ١٩٣]

❋ ❋ ❋

(١) مَحَتْ.
(٢) اختَارها.
(٣) التّسويف.

➤ أتيتك مُشتاقاً فَلم أرَ جَالِساً:

مِن كتاب نظم الجُمَانِ للمنذريّ، قال العَطَويّ الشَّاعر: أَتيتُ إبراهيمَ بن المُدبر، فاستأذنت عَليه، فَلم يَأذن لي حَاجِبُه، فأخذت ورَقة وكَتبتُ فيها:

أتيتُكَ مُشْتَاقاً فَلَم أَرَ جَالِساً ... ولا نَاظِراً إلاَّ بِوَجْهِ قُطُوبِ[1]
كأنّي غَرِيمٌ مُقْتَضٍ أَوْ كأنَّنِي ... نُهُوضُ حَبِيبٍ أو حُضُورُ رَقِيبِ

[نفسه ص٢٢٩]

❋ ❋ ❋

➤ ويَجْزَعُ مِنْ تَسْلِيمِنَا فَيَرُدُّنا:

قال أحمد بن إسحاق البهلول:

ويَجْزَعُ مِنْ تَسْلِيمِنَا فَيَرُدُّنَا ... مَخَافَةَ أَنْ تُبْغَى يَدَاهُ فَيَبْخَلاَ
وما ضَرَّهُ لو أَنْ أَجَابَ بِبِشْرِهِ ... فَنَقنَعَ بِالبِشْرِ الجَمِيلِ ونَرْحَلاَ

[نفسه ج٢/١٥٩]

❋ ❋ ❋

➤ قُلْ لي نَعَم مَرَّةً إنِّي أُسَرُّ بِها:

حدَّثَ الصُّوليُّ قال: وَجدتُ بِخَطِّ بعض الكُتّاب أَنّ أحمد بن سُليمان سأل صَدِيقاً له حاجَةً فَلم يَقْضِهَا له فقال:

(١) «قَطَبَ يَقْطِبُ قَطْباً وقُطُوباً، فهو قَاطِبٌ وقَطُوبٌ: زَوَى مَا بَينَ عَيْنَيه، وكَلَحَ» [القاموس المحيط: ١٢٦].

قُلْ لي نَعَمْ مَرَّةً إنّي أُسَرُّ بِها ... وإنْ عَدَانِي ما أَرْجُوهُ مِن نَعَمِ
فَقد تَعَوَّدْتَ لا حتى كأنّك لا ... تَعُدُّ قَوْلَكَ لا إلاَّ مِنَ الكَرَمِ

[نفسه ج٣/٥٥]

❊ ❊ ❊

➢ شعر في الكرم والكُرماء والبُخل والبُخلاء:

ونُكْرِمُ ضيفنا ما دامَ فِينَا ... ونُتبعه الكرامة حيث مَالاَ
فَتًى كملت خيراته غير أنّه ... جَوَاد فَما يُبقي من المالِ بَاقيا
أبى الجُودُ في الدُّنيا سواك لأنّه ... تَفرّع مِن جُود وأنتَ أبُو الجُودِ
إنَّ الكريمَ الذِي لا مَالَ في يَدِه ... مِثلُ الشُّجَاع الذِي في كَفِّهِ شَلَلُ
والمالُ مثل الحَصَى ما دَام في يَدِنَا ... فَليس ينفع إلا حِينَ يَنتقلُ
لو أشبهتك بِحارُ الأرض في كَرَم ... لأصبح الدُّرُّ مَطْرُوحاً على الطُّرُقِ
أَو أشبه الغَيث جُوداً منك مُنهملاً ... لم يَنْجُ في الأرضِ مَخْلوقٌ منَ الغرَقِ
مَنْ قَاسَ جَدْوَاك بِالغمام فَما ... أنصفَ في الحُكم بَين شكلين
أنتَ إذا جُدْتَ ضاحِكٌ أبداً ... وهو إذا جَادَ دَامِعُ العَيْنِ
ما نَوَالُ الغمام وَقتَ رَبيع ... كَنَوال الأمِيرِ وقت سَخَاءِ
فَنوالُ الأميرِ بِدْرَةُ[1] مالٍ ... ونَوال الغَمَام قَطرة مَاءِ
يَفْنَى البَخيل بجمع المال مدّته ... وللحوادث والأيّام ما يَدع
كَدُودة القِزّ ما تبنِيه يهدُمها ... وغيرها بالذِي تبنيه ينتفع
شَرَابك مختوم وخُبزُكَ لا يُرَى ... ولحمك بين الفَرْقَدينِ مُعلَّقُ
نَدِيمُك عَطْشانٌ وضَيْفُكَ جَائِعٌ ... وكلبك نَبَّاحٌ وبَابُك مُغْلَق

---

(١) «البَدْرُ، وَبالهاءِ: كِيس فِيه أَلْف أَو عَشَرَةُ آلاف دِرْهَم، أو سَبعة آلاف دِينار» [القاموس المحيط: ٣٤٨].

نَوَالُك دُونَهُ شَوكُ القَتَاد[١] ... وخبزك كالثُّرَيَّا في البِعَادِ

ولو أبصرت ضيفاً في مَنامٍ ... لحرّمت الرُّقاد على العِباد

قد شابَ رأسي ورأسُ الدَّهرِ لم يَشِب ... إنَّ الحَرِيصَ على الدُّنيا لفي تَعِب

وذي حِرص تَراه يلمّ وَفراً[٢] ... لوارثه ويدفع عن حماه

ككلب الصَّيد يمسك وهو هَاوٍ ... فريسته ليأكلها سواه

أصبحت أجوع خَلق الله كلّهم ... وأفزع النَّاس مِن خُبزٍ إذا وُضعا

خبز البَخيل لمكتوب عليه ألا ... لا بارك الله في ضيف إذا شبعا

إيَّاك والحرص إنَّ الحرص مَتعبةٌ ... فإنْ فَعلت فَراع القَصد في الطَّلب

قد يرزق المرءُ لم تتعب رَواحله ... ويحرمُ المرء ذُو الأسفار والتَّعبِ

إذا كسر الرّغيف بكى عليه ... بُكا الخنساء إذ فُجعت بِصَخْرِ

ودُونَ رَغِيفه قَلْعُ الثَّنَايا[٣] ... وضرب مثل وقعة يوم بَدر

تَغَيَّرَ إذْ دَخلتُ عليه حَتَّى ... فطنتُ فقلتُ في عرض المقالِ

عليَّ اليوم نَذْرٌ مِن صِيَام ... فأشرق وجهه مثل الهِلال

رَغيفٌ في الحجاب عليه قُفلٌ ... وحُرَّاسٌ وأبوابٌ مَنِيعَهْ

رأى في بَيته ضيفٌ رَغِيفاً ... فقال لِضَيْفِهِ هٰذا وَدِيعَهْ[٤]

رأى «الضَّيْفَ» مكتوباً على باب دَاره ... فَصَحَّفَهُ[٥] «ضَيْفاً» فَقَامَ إلى السَّيْفِ

فقلنا له «خَيْراً» فَظَنَّ بِأَنَّنا ... نقول له «خُبْزاً» فَمات مِنَ الخَوْفِ

وقال أبو محمد إسحاق الموصلي المتوفى سنة **٢٣٥**هـ في ذَمِّ البُخل:

---

(١) «القَتَادُ، كسَحَاب: شَجَر صُلْبٌ له شَوكَة كالإِبَر» [القاموس المحيط: ٣٠٨].

(٢) «الوَفْرُ: الغِنَى» [القاموس المحيط: ٤٩٣].

(٣) «الثَّنِيَّة من الأَضرَاسِ: الأَربعُ التي في مُقَدَّم الفَمِ: ثِنْتَانِ مِن فَوقُ، وثنتان من أسفل» [القاموس المحيط: ١٢٦٨].

(٤) «الوَدِيعَةُ: واحدةُ الوَدَائع. والوَدِيعُ: العَهْدُ، الجمع: وَدَائِع» [القاموس المحيط: ٧٦٩].

(٥) «التَّصْحِيفُ: الخَطأ في الصَّحِيفَة، وقَد تَصحَّف عليه» [القاموس المحيط: ٨٢٦].

وآمرة بِالبُخل قُلت لها اقصري[1] فليس إلى مَا تَأمُرِينَ سَبيلُ
أَرى النّاس خُلاَّن[2] الجَوادِ ولا أرى بَخيلاً له في العالمينَ خَلِيلُ
وإنّي رأيت البُخلَ يزري بأهله فأكرمت نفسي أَنْ يُقال بَخيل
ومِن خيرِ حَالات الفتى لو عَلِمته إذا نَالَ شَيئاً أَنْ يكون ينيلُ
عطائي عطاء المُكثرين تَجمُّلاً[3] ومَالِي كَما تعلمين قَليلُ
وكيف أخاف الفَقر أَو أُحرم الغِنَى ورَأْيُ أمير المؤمنين جَمِيلُ

[«جواهر الأدب» للهاشمي، ص٤٤٣ ـ ٤٤٥]

❋ ❋ ❋

➢ الجُود يُؤدِّي إِلى السِّيَادة:

قال الحكماء: أَربعة تُؤدِّي إلى أَربعة: الصَّمْتُ إلى السَّلامة، والبرُّ إلى الكَرامة، والجُود إلى السِّيادة، والشُّكر إلى الزِّيادة.

[«المستطرف في كُلِّ فَنٍّ مُستَظرف» ص٤٠]

❋ ❋ ❋

➢ سبعة لا ينبغي لصاحب لُبٍّ أَنْ يُشَاوِرهم:

قِيل: سَبعة لا ينبغي لصاحِب لُبٍّ أَنْ يُشاورهم: جَاهل، وعدو، وحسود، ومراء، وجبان، وبَخيل، وذُو هَوَى. فإنّ الجَاهل يضلّ، والعدو يُريد الهلاك، والحسود يَتمنّى زَوال النّعمة، والمُرائي واقِف مع رِضا النَّاس، والجبان مِن رأيه الهربُ، والبخيل حَريص على جمع

---

(١) «قَصَرَ عن الأمر قُصوراً، وأَقْصَرَ وقَصَّرَ وتَقَاصَرَ: انتهى» [نفسه، ص٤٦٢].
(٢) أصدقاء.
(٣) «تَجمَّل: تَزَيَّنَ» [القاموس المحيط: ٩٧٩].

المال، فَلا رأي لَه في غَيره، وذُو الهوى أسِير هَوَاه فلا يقدر على مخالفته.

[نفسه، ص١١٥]

❊ ❊ ❊

أنت والجُود مَنْحُوتَان مِن عُود:

حُكِيَ أَنّ رَجُلاً مِن أهل يَثرب يعرف بِالأسلمي قال: ركبني دَيْنٌ أثقلَ كَاهِلي[١]، وطالبني به مستحقّوه، واشتدَت حاجتي إلى ما لا بُدَّ منه، وضاقت عليّ الأرض ولم أهتدِ إلى ما أصنع، فشاورت مَنْ أَثق بِهِ مِن ذَوي المودَّة والرَّأي فأشار عليَّ بقصد المهلّب بن أبي صفرة بِالعراق. فقال له: تَمنعني المشَقة وبعد الشُّقّة[٢]، وتِيه[٣] المُهَلّب. ثمّ إنّي عدلت عن ذلك المُشير إلى استشارة غَيره، فَلا والله ما زادني على ما ذكره الصديق الأوّل، فرأيت أَنّ قَبُول المَشُورة خَير من مخالفتها. فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطَّريق وقصدت العراق، فلمّا وصلت دخلت على المهلّب فَسلّمت عليه وقُلت له: أصلح الله الأمير إنّي قطعت إليك الدَّهناء، وضربت أكباد الإبل مِن يَثرب فإنَّه أشار عليّ بعض ذَوي الحِجَى[٤] والرَّأي بقصدك لقضاء حاجتي فَقال: هل أَتَيْتَنا بِوسيلة، أو بقرابة وعشيرة؟ فقلت: لا ولكنّي رأيتك أهلاً لقضاء حاجَتي فإن قُمت بها فأهل لذلك أنت، وإن يَحُلْ[٥] دُونها حَائِل، لم أَذُمَّ يومك، ولم أيأس من غَدِك. فقال المهلب لحاجبه: اذهب به

(١) «الكَاهِلُ: مُقدّمُ أعلى الظّهر ممّا يَلي العُنق وهو الثُلث الأعلى» [القاموس المحيط: ١٠٥٥].

(٢) «الشُّقَّة، بِالضَمّ، والكسر: البُعْدُ، والنَّاحِية يقصدها المُسَافِرُ» [نفسه، ص٨٩٨].

(٣) «التِّيهُ، بِالكسر: الصَّلَفُ، والكِبْرُ» [القاموس المحيط: ١٢٤٤].

(٤) «الحِجَا، كإِلَى: العَقلُ» [القاموس المحيط: ١٢٧٢].

(٥) يَمنع ويَحجز.

وادفع إليه مَا في خزانة مالنا السَّاعة، فأخذني معه فوجدت في خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها إليَّ. فلمّا رأيت ذٰلك لم أملك نفسي فَرَحاً وسُرُوراً، ثُمّ عاد الحاجب بِي إليه مُسْرِعاً فَقال: هل مَا وصَلَك يقوم بقضاء حاجتك؟ فقلت: نعم أيّها الأمير وَزيادة. فقال: الحَمد لله على نُجْح سَعيك واجتنائك جَني مَشُورتك، وتَحقّق ظنَّ من أشار عليك بِقصدنا.

قال الأسلمي: فَلمّا سمعت كلامه، وقد أحرزت صِلته أنشدته وأنا واقف بين يَديه:

يا مَنْ على الجُود صَاغَ الله رَاحَتَهُ ... فَلَيْسَ يَحْسِنُ غَيْرَ البَذْلِ والجُودِ
عَمَّتْ عطاياك أهلَ الأرضِ قَاطِبَةً ... فأنت والجُودُ مَنْحُوتَانِ مِنْ عُودِ
منِ اسْتَشَار فَباب النُجْحِ[1] مُنفَتِحٌ ... لديه فيما ابتغاه غير مَرْدُودِ

ثمّ عُدت إلى المدينة فقضيت دَيني، وَوسعت على أهلي، وجَازيت المُشير عَليّ، وعاهدت الله تعالى ألا أترك الاستشارة في جميع أموري ما عشت.

[نفسه ص١١٥ ـ ١١٦]

❋ ❋ ❋

➢ رُبَّمَا منع الكريم ومَا بِه بُخل:

من كلام الحكماء: إذا سألت كريماً حاجة فدعه يُفكّر، فإنّه لا يُفكّر إلاّ في خَير، وإذا سألت لئيماً حَاجة فعالجه لِئلاً يُشير عليه طبعه ألاّ يفعل.

وسأل رَجل رَجلاً حَاجة ثمّ تَوانى عن طلبها، فقال له المسؤول: أنمت عن حاجتك؟ فَقال: ما نامَ عن حاجته مَنْ أسهرك لها، ولا عدل بها

(١) «النُجْحُ، بِالضَّمّ: الظَّفَرُ بِالشَّيء» [القاموس المحيط: ٢٤٣].

عن محجّة النُّجح من قَصدك بِها. فعجب مِن فَصاحته، وقضى حاجته وأمر له بِمال جَزيل.

وقال مسلمة لنصيب: سلني. فقال: كفك بِالعطيّة أبسط من لساني بِالمسألة. فأمر له بِألف دِينار.

...قال ذو الرِّياستين لثُمامة بن أشرس: ما أدري ما أصنع بِكثرة الطُّلاّب! فقال: زل عن موضعك وعليّ ألاّ يلقاك منه أحد. فقال له: صدقت. وجلس لهم في قضاء حَوائجهم.

وحدَّث أبو جعفر بن محمد بن القاسم الكرخي قال: عرضت على أبي الحَسن عليّ بن محمد بن الفرات رقعة في حاجَة لي فقرأها ووضعها في يده ولم يوقّع فيها بشيء، فأخذتها وقُمت وأنا أقول مُتمثّلاً مِن حيث يَسمع هٰذين البيتين:

وإذا خطبت إلى كَريم حَاجَةً ... وأبى فَلا تَقعُد عليه بِحَاجِب
فَلَرُبَّما مَنعَ الكريمُ ومَا بِهِ ... بُخلٌ ولٰكن سوءُ حَظِّ الطَّالِب

فقال: وقد سمع ما قلت: ارجع يا أبا جعفر بغير سوء حَظِّ الطَّالِب، ولكن إذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فإنّ القُلوب بيد الله تعالى. فأخذ الرُّقعة ووقّع فيها بِما أَردت.

وسأل إسحاق بن ربعي بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي أن يُوصل له رُقعة إلى المأمون فَقال لكاتبه: ضَمَّها إلى رُقعة فُلان فَقال:

تَأَنَّ لحاجتي واشْدُدْ عُرَاهَا ... فقد أضحت بِمنزلة الضّياع
إذا شاركتها بِلبان أخرى ... أَضَرَّ بها مشاركة الرّضاع

وقال أبو دقاقة البصري:

أضحت حَوائجنا إليك مُناخة ... معقولة برحابك الوصال

أطلق فديتك بالنّجاح عقالها ... حتى تَثور مَعاً بغير عقال

وقال سلم الخاسر:

إذا أذِنَ الله في حَاجَة ... أتاكَ النَّجَاح على رِسْلِهِ
فَلا تَسأل النّاس من فضلهم ... ولٰكنْ سَلِ الله مِن فَضْلِه

[نفسه، ص١٧١]

❋ ❋ ❋

➤ إنَّا لا ناكل إلاَّ نِصْفَ اللَّيل:

قال رَجل: إنَّا لا نأكل إلاَّ نصف اللَّيل، فقيل له: لِمَهْ؟ قال: يبردُ الماءُ، ويَنقمع[1] الذُّباب ونأمن فَجأة الدَّاخل وَصَرْخَة السَّائل.

❋ ❋ ❋

➤ بخيل يَجُود:

كان لبعض الموسرين أخ لا يواسيه، فقيل له: لو وَاسَيْتَ أخاكَ كَان أَشبه بِكَ مِن هٰذا البخل الذي استشعرته. فقال: والله ما أنا ببخيل لو ملكتُ ألف ألف لوهبتُ له السَّاعة خمسمائة درهم!! ثُمّ التفت إلى القوم فَقال: يا قوم رجل يهب لأخيه في مجلس خمسمائة درهم يُقال له: بخيل. قالوا: لا والله أنت أجود من يمشي على قدم.

❋ ❋ ❋

(١) قَمَعَهُ: صَرَفَهُ عَمَّا يُريد فانْقَمع.

➢ بجيلة البخيلة:

كانت قبيلة بجيلة مشهورة بالبخل بين قبائل العرب فاتّفق جَماعة من أكابرهم على أن يرفعوا هٰذا العار عنهم. فقالوا: هٰذه قافلة الحجّاج مجتمعة من أطراف البلد فَهلمّوا نضع إلى الحُجَّاج إحساناً يشيع خَبره في جميع البلدان، فاتّفق أمرهم أن يحمل كلّ واحد منهم قِربة مِنْ لَبن، وإذا نزَلَ الحجّاج إلى الماء أتوا إليهم بذٰلك اللّبن، فَحضر الحُجَّاج ونَادَوا هَلمّوا إلى شُرب اللَّبن، فأخذ كُلّ واحد منهم يقول لصاحبه: اسقهم أنت أوّلاً، فامتنع الكُلُّ منَ التَّقدّم بِمَلْءِ قربته، ثُمّ إنَّ الحجّاج عَمِدُوا إلى قربة فحلّوها فكانت ماء، وكذٰلك كانت كلّ القرب ماء، فقال واحد منهم: إنّي قُلت في نفسي إذا كَانت القبيلة كلّ قربهم لبناً فقربتي تضيع بين القرب فَلا تضرّني أن تكون ماء، فملأتها ماء، وقال الآخر مثل قوله حتّى اتَّفق الكلّ على ذٰلك الخَيال الفاسد، فَزاد عليهم العَار وانتشر خَبرهم في جَميع البلاد.

[«مجلة العربي» عدد ٥٢، جُمادى الأُولى ١٣٩١هـ، ص٧٩]

❋ ❋ ❋

➢ جَنازة رجل يَعُول اثني عَشر ألف إنسان:

قال أبو الحسن الأسدي: مات رجل كان يَعُولُ[١] اثني عشر ألف إنسان فَلمّا حُمِلَ على النَّعش صَرَّ[٢] على أعناق الرّجال فقال رجل في الجنازة:

وليسَ صَرِيرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَه ... ولـكنّـه أعـنـاق قَـوم تَـقَـصَّـفُ[٣]

(١) عَالَهُمْ: كَفَاهُمْ ومَانَهُمْ.

(٢) «صَرَّ، كَفَرَّ، يَصِرُّ صَرًّا وصَرِيراً: صَوَّت وصَاحَ شديداً» [القاموس المحيط: ٤٢٣].

(٣) «قَصَفَهُ يَقْصِفُهُ قَصْفاً: كَسَرَهُ» [نفسه، ص٨٤٥].

وليسَ فَتِيقُ المسكِ مَا تَجِدُونَه   ولكنَّهُ ذاكَ الثَّنَاءُ المُخَلَّفُ

[«شرح الشَّرِيشِي للمقامات» ص١١٢]

❋ ❋ ❋

➢ قصّة الشَّاعر الذِي يَودّ أن يغيظ معنَ بن زائدة الشَّيباني:

«. . .أمّا حكاية مَعْنٌ هٰذا فَلها روايات مختلفة، منها رواية وَجدتها في كتاب بِعُنوان: «إعلام النّاسِ بِمَا وَقَعَ للبرامكة مع بَني العَبَّاس» للأتليدي. خُلاصتها أنّ معن بن زائدة كان لا يَغيظ أحداً ولا يَغيظه أحد فقال بعض الشُّعراء: أنا أَغيظه لكم ولو كان قَلبه من حجر، فَراهنوه على مئة بَعير، إن غاظه[1] أخذها وإنْ لم يَغظه دفع مثلها.

فعمد الرّجل إلى جَمل فذبحه وسلخه ولبس الجلد مثل الثَّوب وجعل اللَّحم من خارج والشّعر من ناحية رِجليه وقال:

أنا والله لا أبدي سَلاَماً   على مَعْنِ المُسَمَّى بِالأمِيرِ

فقال له مَعْنٌ: السَّلام لله، إنْ سلَّمت رددنا عليك، وإن لم تَسلم ما عتبنا عليك. فَقال الشَّاعر:

ولا آتِي بِلاداً أنْتَ فِيها   ولو حُزت الشَّآم مع الثُّغُور

فقال له: البلاد بِلاد الله، إنْ نزلت مرحباً بِك، وإن رحلت كان الله في عونك فَقال الشَّاعر:

وأَرحل عن بِلادك ألف شَهر   أجدَّ السَّيْرَ في أعلى القُفور

فقال له مَعن: مصحوباً بِالسَّلامة، فَقال الشَّاعر:

(١) «الغَيْظُ: الغَضَبُ، أَو أَشَدّه، أو سَوْرَتُه وأَوّله، غَاظَه يَغِيظُه فاغْتَاظ» [القاموس المحيط: ٦٩٧].

أتـذكـر إذْ لِـحَـافـك[1] جـلـد شَـاةٍ   وإذ نـعـلاك مـن جِـلـد الـبَـعِـيـرِ

فقال له: أعرف ذٰلك ولا أنسَاه. فَقال الشَّاعر:

وتَـهـوى كُـلّ مـصـطـبـة وسُـوق   بِـلا عَـبْـدٍ لـديـك ولا وَزِيـر

فَقال مَعن: ما نسيت ذٰلك يا أخا العرب. فَقال الشَّاعر:

ونَـومُـك فـي الـشِّـتَـاءِ بِـلا رِدَاءٍ   وأكـلـك دَائـمـاً خُـبْـزَ الـشَّـعِـيرِ

فقال معن: الحمدُ لِلَّه على كُلِّ حال. فَقال الشَّاعر:

وفـي يُـمـنـاك عُـكّـاز[2] قـوي   تَـذُود[3] بِهِ الـكـلاب عَن الـهَـرِيـرِ[4]

فقال له: ما خَفي عليك خَبرها... فَقال الشَّاعر:

فَـسُـبـحـان الـذي أعـطـاك مُـلـكـاً   وعَـلَّـمـك الـقُـعُـودَ عـلـى الـسَّـرِيرِ

فأمر له معن بِألف دِينار، فَقال:

قَـلـيـل مـا أمـرت بـه فـإنّـي   لأطـمـع مـنـك بِـالـشَّـيء الـكَـثِـيرِ

فأمر له بألف دِينار أخرى. فقال الشَّاعر:

فَـثَـلِّـث إذ مـلـكـت الـمـلـك رزقـا   بِـلا عـقـل ولا جـاه خَـطـيـر

فأمر له بِثلاث مِئة دِينار، فَقال الشَّاعر:

---

(١) «اللِّحَافُ، ككتاب: اللِّباس فَوق سائِر اللِّباس مِن دِثارِ البَردِ ونَحوه، كالمِلحفَةِ والمِلْحَف» [القاموس المحيط: ٨٥٢].

(٢) «العَكْوَزُ، كجَرْول: عَصَا ذَات زُجٍّ، كالعُكَّازِ» [القاموس المحيط: ٥١٨].

(٣) «الذَّوْدُ: السَّوْقُ، والطَّردُ» [نفسه، ص٢٨١].

(٤) «هَرَّ الكَلبُ إليه يَهِرُّ هَرِيراً، وهو صَوته دُون نُبَاحه مِنْ قِلَّة صَبره علَى البرد» [نفسه، ص٤٩٧].

ولا أدب كسبت بِه المعالي ولا خلق ولا رأي مُنير

فأمر له بأربعمائة دِينار فقال الشَّاعر:

فمنك الجُودُ والإفضال حَقًّا وفيض يديك كالبحرِ الغَزيرِ

فأمر له بخمسمائة دِينار... إلى آخر الحكاية وهي حكاية عليها سِيمَاء[1] الافتعال والتَّكَلُّفِ.

[«قول على قول» ج١/١٦٦ ـ ١٦٨]

***

➢ الحمدُ لا يَكون مَجَّاناً:

قال الشاعر:

الماءُ في دار عُثمانَ له ثَمَنٌ والخُبزِ فيها له شَأْنٌ مِنَ الشَّانِ
عثمان يعلم أَنّ الحَمْدَ ذُو ثَمَنٍ لكنَّه يَشتهي حَمْداً بِمَجَّان
والنَّاسُ أكيسُ مِنْ أَنْ يَمْدَحُوا رَجُلاً حتى يَرَوْا عنده آثارُ إحسان!!

[«الفُكاهة في الأدب أصولها وفروعها» ص٢٣٤]

***

➢ ارجع وكُن ضَيْفاً عَلى الضَّيف:

قال الشاعر:

يا تارك البَيت على الضَّيْفِ وهارباً عنه مِنَ الخَوْفِ

(١) علامة.

ضيفك قد جَاء بخبز لَهُ ... فارجع وكُنْ ضَيْفاً على الضَّيفِ
إذا اشتهى الضَّيْفُ طَبِيخَ الشِّتَا ... أتاه بِالشَّهوة في الصَّيفِ
وإن دنا المسكينُ منْ بَابِه ... شَدَّ على المسكينِ بِالسَّيف

[«المحاسنُ وَالأضْداد» ص٥٤]

❋ ❋ ❋

➤ عدّة بَخِيل!!

قال بعض البُخلاء:

أعددتُ للأضيافِ كلباً ضارِياً[(١)] ... عندي وفضل هِرَاوة[(٢)] مِنْ أرْزَنِ[(٣)]
ومَعَاذِرا كَذباً ووجهاً بَاسراً[(٤)] ... وتَشَكِيًّا[(٥)] عَضَّ الزَّمانِ الألْزَنِ[(٦)]

[«شرح مقامات الحريري للشَّريشي» ج٤/٥٢٢]

❋ ❋ ❋

➤ هيهاتَ تضرب في حديد بَارد:

قال أبو الشَّمَقمق يهجو سعيد بن مسلم:

هيهاتَ تضرب في حَدِيد بَارِدِ ... إنْ كنت تَطمعُ في نَوال سَعِيدِ

---

(١) «ضَرِيَ بِهِ، كرَضِيَ، ضَرًى وضَرَاوَةً وضَرْياً وضَرَاءَةً: لَهِجَ» [القاموس المحيط: ١٣٠٥].
(٢) «الهِرَاوَةُ، بِالكسر: العَصَا، الجمع: هَرَاوَى وهُرِيٌّ وهِرِيّ» [نفسه، ص١٣٤٦].
(٣) «الأَرْزَنُ: شَجر صُلبٌ» [نفسه، ص١٢٠٠].
(٤) «بَسَرَ: عَبَسَ» [القاموس المحيط: ٣٤٩].
(٥) اشْتكى.
(٦) «الزَّمَانُ الألْزَنُ: الشَّديدُ الكَلِبُ» [القاموس المحيط: ١٢٣٠].

تالله لو ملَكَ البحارَ بِأسرها   وأتاه مسلم في زمان مُدُودِ
يبغيه منها شربة لِطهوره   لأبى وقال تَيَمُّماً بِصعيدِ

[«شرح مقامات الحريري» للشريشي ج٤/٦٠٥]

❊ ❊ ❊

➤ غلطت في تَشبيهه بِالبحر:

ابن قلاقس هو أبو الفتوح نصر الله بن عبدالله بن قلاقس الأزهري الإسكندري الملقّب بالقاضي الأعزّ، كان شاعراً مُجيداً صحب الشَّيخ الحافظ أبا طاهر السلفي وله فيه مدائح.

ودخل في آخر وقته اليمن وامتدح بعض رجالها وحكامها فأثرى. فركب البحر فانكسر المركب، وغرق مَن كان معه عند النَّامُوس بِالقرب من دملك.

ومن أمثلة شعره قصيدة قالها بعد الغرق فقال:

وغلطت في تشبيهه   بالبحرِ فاللّهم غَفْرَا
أَوَليسَ نِلتُ بِذَا[1] غِنًى   جَمًّا ونلتُ بِذَاك[2] فَقْرَا
وعهدتُ هٰذا لم يَزَلْ   مَدًّا وذاكَ يَعُودُ جَزْرَا

**[«تاريخ الآداب العربية»
جرجي زيدان، ج٢/١٥ ـ ١٦]**

❊ ❊ ❊

(١) ممدوحه.

(٢) يقصد البَحر.

➢ قوس الجُود:

صوّب الفضل بن يحيى سهمه إلى بدويٍّ وقال له: رُدَّ سهمي ببيت من الشّعر وإلا أطلقت عليك، فقال البدوي على الفَور:

لقوسُكَ قوسُ الجُودِ والوتر والنَّدَى وسهمُك سهمُ العِزِّ فارْمِ بِه فَقري

[«مجلة العربي» عدد ٢١، ص١١٤]

❋ ❋ ❋

➢ ما مثل الدَّراهم من دَوَاء!!

مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة فقال له معن: إن شئت مدحتك، وإن شئت أثَبْتُكَ، فاستحى من اختيار المدح فقال:

ثـنَـاءٌ مِـن أمِـيـرٍ خَـيْـرُ كَـسْـبٍ لـصـاحـب مَـغْـنَـمٍ وأخِـي ثَـرَاءِ
ولـكـنَّ الـزّمـانَ بَـرى عِـظـامـي ومـا مـثـل الـدَّراهـم مـن دَوَاء

[«طِيب المذاقِ من ثَمراتِ الأوراق» ص٤١٠]

❋ ❋ ❋

➢ بخيل أحرقت النّار داره!!

قَال ابن منقذ في ابن طليب المصري وقد احترقت داره:

انـظـر إلـى الأيَّـام كَـيف تَـسُـوقـنـا قَـسْـراً إلـى الأقْـدَارِ بِـالأقْـدارِ
مـا أَوْقَـدَ ابـنُ طـلـيـبٍ قَـطُّ بِـدَاره نـاراً وكَـانَ خَـرابـهـا بِـالـنَّـارِ

❋ ❋ ❋

◄ جَائِزَتي الصِّلات لا الصَّلاة!!

كان أحمد بن المُدبّر الكاتب المعروف تَولّى الخراج لأحمد بن طُولون سنة ٢٦٥هـ، ثمّ نقل إلى الشَّام، إذا مَدحه شاعر فَلم يَرض شعره قال لغُلامه: امض به إلى المسجد الجامع ولا تفارقه حتى يُصَلّي مئة ركعة ثمّ أَطْلِقه، فتحاماه الشُّعراء إلا الأفراد المجيدين. ثمّ جاءه أبو عبدالله الحسين بن عبدالسّلام المصري المعروف بِالجمل (٢٥٨هـ - ٨٧١م) فاستأذنه في النّشيد، فَقال له: عرفت الشَّرط؟ قال: نعم، ثمّ أنشده:

أَردنا في أبي حَسن مَدِيحاً ... كَما بِالمَدْح تَنْتَجِعُ[1] الوُلاَةُ
وقُلنا أكرم الثَّقلَين طُرًّا ... ومَنْ كَفَّاه دِجلَةَ والفُرَاتُ
فَقالوا يقبل المدحات لكن ... جَوائزه عليهن الصَّلاةُ
فقلت لهم ومَا تُغني صَلاَتِي ... عِيَالي إنَّمَا الشَّأن الزَّكَاةُ
فيأمر لي بكسر الصَّادِ مِنها ... فتصبح لي الصَّلاة هي الصِّلاتُ!!

[«الفُكاهة أصولها وأنواعها» ص٧١]



◄ بُخل أبي زرارة:

قال الحمدوني في تصوير بُخل أبي زُرارة:

رأيت أبا زرارة قال يَوماً ... لحاجبه وفي يَده الحُسَامُ[2]
لئن وضع الخِوان[3] ولاح شَخْصٌ ... لأختطفنّ رأسك والسَّلاَمُ

(١) «انْتَجَعَ: طَلبَ الكَلأَ في مَوضعه» [القاموس المحيط: ٧٦٥].
(٢) السّيف القاطع.
(٣) المائدة.

فـقـال سِـوَى أبِـيـك فَـذاك شَـيـخٌ ... بـغـيـض لـيـس يَـردعـه[1] الـكَـلام
فَـقـام وقـال مِـن حَـنَـقٍ[2] عَـلـيـهِ ... بـبـيـت لـم يُـرد فـيـه الـقـيـام
أبـي وابـنـا أبـي والـكـلـب عـنـدي ... بِـمـنـزلـة إذا حـضـر الـطَّـعـام
فـقـال لـه أَبِـنْ لـي يـا ابـن كَـلـبٍ ... عـلـى خُـبـزي أصـادر أم أضـام[3]
إذا حَـضَـر الـطَّـعـام ولا حُـقـوق ... عــلــيّ لــوالــديَّ ولا ذِمَــامُ[4]
فـمـا فـي الأرض أقـبـح مـن خـوان ... عـلـيـه الـخـبـز يـحـضـره الـزّحـام

[«الفُكاهة في الأدب أصولها وفروعها» ص٢٣٤ ـ ٢٣٥]

❋ ❋ ❋

➤ والفتى يَعتريه بُخلٌ وشُحٌ:

قال عبدالمحسن الصُّوري (المُتوفّى سنة ٤٧٣هـ ـ ١٠٨٠م) في صديق لَهُ بخيل نزل ضَيفاً عَليه، فلم يُكرمه:

وأخ مَـسَّـه نُـزولـي بِـقَـرْحٍ[5] ... مـثـل مـا مـسَّـنـي مِـن الـجـوع قَـرح
قـيـل لـي: إنَّـه جَـوادٌ كَـرِيـمٌ ... والـفـتـى يَـعْـتَـريـه[6] بُـخْـلٌ وشُـحٌ

❋ ❋ ❋

---

(١) «رَدَعَهُ عنه، كمنَعه: كَفَّه وردَّهُ فارْتَدَعَ» [القاموس المحيط: ٧٢١].

(٢) «الحَنَقُ، محرّكة: الغَيظُ، أو شِدَّتُه، الجمع: حِنَاقٌ، وقد حَنِقَ، كفَرِحَ، حَنَقاً، محرّكة» [نفسه، ص٨٧٧].

(٣) «ضَامَهُ حَقَّهُ يَضِيمه واسْتَضَامَهُ: انتقصَهُ، فَهو مَضِيمٌ ومُسْتَضَامٌ» [القاموس المحيط: ١١٣٢].

(٤) «الذِّمَامُ والمَذَمَّةُ: الحَقُّ، والحُرْمَةُ، الجمع: أَذِمَّةٌ» [نفسه، ص١١١٠].

(٥) «القَرْحُ: البَثْرُ إذا تَرَامَى إلى فَسَادٍ» [القاموس المحيط: ٢٣٥].

(٦) «عَرَاهُ يَعْرُوهُ: غَشِيَهُ طالِباً معروفَهُ، كاعْتَرَاه» [نفسه، ص١٣١٠].

➢ ما كُنت تفعل لو أكلت رغيفاً!!

أنشد أبو طالب البريدي الرَّازي لبعض أهل دمشق:

ودعوتني فأكلت عندك لُقْمَة ... وشَربت شُرْبَ منِ اسْتَتَمَّ خَرُوفَا
وسألتني في إثر ذٰلك حَاجَةً ... ذَهبت بمالي تالِداً[1] وطريفا[2]
فجعلت أفكر فيك بَاقِيَ لَيلتي ... ما كُنت تفعل لو أَكَلْت رَغيفا

[«طرائف ونَوادر مِن عُيون التُّراث العربي» ص٦٩]

❋ ❋ ❋

➢ وجاءني بِرَغيفٍ قد أدرك الجَاهلية:

قال أحدهم في ذٰلك:

يَجوع ضَيف أبي نُو ... حِ بُكْرَةً وعَشِيَّهْ
أجاع بطنيَ حتّى ... وجدت طعم المَنِيَّهْ
وجاء بِرَغيف ... قد أدرك الجَاهِلِيّهْ
فَقمت بِالفأسِ كَيما ... أدقّ منه شَظِيّهْ[3]
فثلم[4] الفأس وانْصَا ... عَ[5] مثل سهم الرَّمِيَّهْ

(١) مَال قديم.
(٢) مال حديث.
(٣) «الشَّظيَّةُ: كُلّ فِلْقَةٍ مِن شيء الجمع: شَظايَا وشَظِيٌّ» [القاموس المحيط: ١٣٠٠].
(٤) «ثَلَمَ الإناءَ والسَّيفَ ونَحوه، كَضرب وفَرِحَ، وثَلَّمَه فانْثَلَم وتَثَلَّم: كَسر حَرْفَهُ فانْكَسر» [القاموس المحيط: ١٠٨٤].
(٥) «انْصَاع: انْفَتَلَ رَاجِعاً مُسْرِعاً» [نفسه، ص٧٣٩].

فَشَجَّ[١] رأسي ثَلاثاً   ودَقَّ منِّي ثَنِيَّهْ

[«طرائف ونَوادر مِن عيون التُّراث العربي» ص٧٣]

❋ ❋ ❋

➤ أوّل من أطعم النّاس الفالوذج:

قال أبو علي رحمه الله: حدَّثنا أبو محمّد عبدالله بن جَعفر بن دُرُستويه، قال: حدَّثنا أبو العبَّاس، قال: حدّثني الرِّياشي، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: قال أميّة بن أبي الصَّلت: أتيت نَجرانَ فَدخلت على عبد المَدَانِ بن الدَّيَّان، فإذا به علي سَرِيره، وكأنَّ وَجهه قَمَر، وبَنوه حَوله كأنَّهم الكواكب، فَدعا بِالطَّعام، فأُتِي بالفَالوذج، فأَكلت طعاماً عَجِيباً، ثُمّ انصرفت وأنا أَقول:

ولقد رأيت القائِلينَ وفِعْلَهُم   فَرأيت أكرمهم بني الدَّيَّانِ
ورأيت مِن عَبدِ المَدَانِ خَلائِقاً   فَضَلَ[٢] الأنَامَ بِهِنَّ عَبْدُ مَدَانِ
البُرُّ يُلْبَكُ[٣] بِالشّهاد طَعَامُه   لا مَا يُعَلِّلُنا[٤] بَنُو جُدعان

فبلغ ذٰلك عبدالله بن جَدعان، فَوجّه إلى اليَمن من جَاءه بمن يَعمل الفالوذج بِالعَسَلِ، فكان أَوّل من أدخله مكَّة، ففي ذٰلك يقول ابن أبي الصَّلت:

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌّ[٥]   وآخَرُ فَوْقَ دارَتِهِ[٦] يُنَادِي

(١) «شَجَّ رأسَه يَشِجُّ ويَشُجُّ: كَسَره» [نفسه، ص١٩٥].
(٢) فَاق.
(٣) «اللَّبْكُ: الخَلْطُ، كالتَّلْبِيك» [القاموس المحيط: ٩٥٢].
(٤) «عَلَّلَهُ بطعام وغيره تَعليلاً: شَغَله به» [نفسه، ص١٠٣٥].
(٥) «اشْمَعَلَّ: أَشْرَفَ. والمُشْمَعِلُّ: الطَّويل» [القاموس المحيط: ١٠٢١].
(٦) «الدَّارُ: المحَلُّ يجمع البناء والعَرْصَة، كالدَّارة» [نفسه، ص٣٩٣].

إِلَى رُدَحٍ[١] من الشِّيزَى[٢] عَليها ... لُبَابُ[٣] البُرِّ يُلبك بِالشِّهاد

[«الأمالي» للقالي، ص٥٩٦]

❊ ❊ ❊

➤ ابن هرمة والمَنصور:

قال أبو علي رحمه الله: حدَّثنا أبو بكر، قال: أخبرنا عبدالرّحمٰن، عن عَمِّه، قال: دخل الشُّعراء على المنصُور وفيهم طريح بن إسماعيل الثَّقفي وابن مَيَّادة وغيرهم، فأذن لهم في الإنشاد[٤]، فأنشدوه من وراء حِجاب، حتى دخل ابن هرمة في آخرهم، فأنشده حتى بلغ إلى قَوله من شِعره:

إليكَ أميرَ المؤمنين تَجاوَزَتْ ... بنابِيدَ[٥] أَجْوَازِ الفَلاةِ[٦] الرَّوَاحِلُ[٧]

يَزُرْنَ امرأً لا يُصْلِحُ القومُ أمرهُ ... ولا يَنْتَجِي[٨] الأَدْنَوْنَ فِيما يُحَاولُ

إذا ما أَتَى شَيئاً مَضَى كالذِي أَتَى ... وإنْ قالَ إنِّي فاعِل فَهْوَ فاعِلُ

كريمٌ له وَجْهَانِ وَجْهٌ لَدَى الرِّضا ... أَسِيلٌ[٩] ووجهٌ في الكَريهةِ[١٠] بَاسِلُ[١١]

---

(١) «الرُّدْحَةُ: الجَفْنَةُ العَظِيمة» [القاموس المحيط: ٢١٩].
(٢) «الشِّيزُ، بالكسر: خَشَبٌ أَسْوَدُ للقِصَاع، كالشِّيزَى» [نفسه، ص٥١٤].
(٣) خَالِصُ.
(٤) «أَنْشَدَ الشِّعْرَ: قَرَأه» [القاموس المحيط: ٣٢٢].
(٥) «البَيْدَاءُ: الفَلاة، الجمع: بِيدٌ» [القاموس المحيط: ٢٦٩].
(٦) «الفَلاَةُ: القَفرُ» [نفسه، ص١٣٢٢].
(٧) جمعُ رَاحِلة. «الرَّحُولُ والرَّحُولَةُ والرَّاحِلَةُ: الصَّالِحَةُ لأن تُرْحَلِ» [نفسه، ص١٠٠٥].
(٨) «اسْتَنْجَى منه حاجَتَه: تَخلَّصها، كانْتَجى» [القاموس المحيط: ١٣٣٧].
(٩) «الأَسِيلُ منَ الخُدُودِ: الطَّويلُ المُسْتَرْسِلُ» [القاموس المحيط: ٩٦١].
(١٠) «الكَرِيهَةُ: الحربُ، أو الشِّدَّةُ في الحرب، والنَّازِلَةُ» [نفسه، ص١٢٥٢].
(١١) «البَاسِلُ: الشُّجاع، الجمع: بُسَلاءُ وبُسْلٌ، وقَدْ بَسُلَ، ككَرُمَ» [نفسه، ص٩٦٦].

له لحظاتٌ عَنْ حِفَافَيْ[١] سَرِيرِهِ إذا كَرَّهَا فيها عِقَابٌ ونَائِلُ[٢]
فأمُّ الذي آمنتَ آمنةُ الرَّدَى وأُمّ الذي حَاوَلْتَ بِالثُّكْلِ[٣] ثَاكِلُ
رأيتك لم تَعْدِل[٤] عَنِ الحَقِّ مَعْدِلاً سواه ولم تَشغلك عنه الشَّوَاغِلُ

فقال: يا غُلام، ارفع الحجاب، وأمر له بِعشرة آلاف، والدِّينار يَومئذ بِسبعة، وأعطى البَاقين ألفين ألفين.

[نفسه ص٥٩٨]

* * *

الفرزدق ونصيب ينشدان سليمان بن عبدالملك:

أخبرنا أبو حاتم، قال: أخبرنا أبو عبيدة، عن يونس، قال: دخل الفرزدق على سُليمان بن عبدالملك ومعه نُصيب الشَّاعر، فقال للفرزدق: أنشدني وهو يرى أنه يُنشد مَدِيحه، فأنشده:

ورَكْبٍ كأنَّ الرِّيحَ تطلب مِنهمُ لها سَلَباً مِنْ جَذْبِها بالعَصَائِب
سَرَوْا يَركبون اللَّيلَ وهي تلفُّهم على شعب الأكوار مِن كُلِّ جانب
إذا اسْتَوْضَحُوا[٥] نَاراً يقولون لَيْتَها وقَد خَصِرَتْ[٦] أيديهمُ نَارُ غالِب

فتغيّر وَجه سليمان، فلمّا رأى نصيب ذلك قال: يا أمير المؤمنين، ألا أنشدك فأنشده:

---

(١) «الحِفَافُ، ككِتَاب: الجَانِبُ» [القاموس المحيط: ٨٠٠].
(٢) عطاء.
(٣) «الثُّكْلُ، بِالضَّمِّ: الموتُ والهلاكُ، وفِقدان الحبِيب أو الولد، ويُحَرَّكُ، وقَد ثَكِلَهُ، كفَرِحَ، فَهو ثاكِلٌ، وثَكْلانُ، وهي ثاكِلٌ» [القاموس المحيط: ٩٧٢].
(٤) «عَدَلَ عَنْهُ يَعْدِلُ عَدْلاً وعُدُولاً: حَادَ» [القاموس المحيط: ١٠٣٠].
(٥) «اسْتَوْضَحَ الشَّيء: وَضَعَ يَده على عَينه لِيَنظر هل يَراه» [القاموس المحيط: ٢٤٧].
(٦) «الخَصِرُ، ككَتِفٍ: البَارِدُ» [نفسه، ص٣٨٥].

وقُلتُ لِرَكبٍ قافِلينَ لَقِيتهم قِفا ذاتِ أَوْسالٍ ومولاك قارِبُ
قِفُوا خَبِّرُونَا عن سُليمان إنَّنِي لمعروفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانِ طالِبُ
فَعَاجُوا[1] فَأَثْنَوْا بالذي أنت أَهْلُهُ ولو سَكَتُوا أَثْنَتْ عليك الحَقَائِبُ[2]

فَسُرَّ سُليمان لِذلك وأجازه.

[نفسه ص٥٩٨]

❋ ❋ ❋

➢ مدح آل المُهَلَّب:

أنشدنا أبو عُثمان:

آلُ المُهَلَّبِ قَومٌ خُوِّلُوا[3] حَسَباً ما نَالَهُ عَرَبِيٌّ لا ولاَ كَادَا
لو قِيلَ للمَجْدِ حِدْ عَنهُم وخَلِّهِم بما احْتَكَمْتَ منَ الدُّنيا لَمَا حَادَا
إنَّ المكارِمَ أرواحٌ يُعَدُّ لَهَا آل المهلَّب دُون النَّاس أَجْسَادا

[نفسه ص٥٩٨]

❋ ❋ ❋

➢ الذُّلُّ للإخْوَان:

قال أبو علي رحمه الله: حدَّثنا أبو بكر قال: أخبرنا عبدالأَوَّل بن مَرْثَد قال: سمعت ابن عائشة ينشد:

---

(١) «عَاجَ عَوْجاً ومَعَاجاً: أَقَامَ، لازِمٌ مُتَعَدٍّ، ووقَفَ، ورَجَعَ» [القاموس المحيط: ٢٠٠].
(٢) «الحَقِيبة: الرِّفَادة في مُؤَخَّر القَتَبِ، وكلُّ مَا شُدَّ في مُؤخَّرِ رَحْلٍ أو قَتَبٍ فقد احْتُقِبَ» [نفسه، ص٧٦].
(٣) «خَوَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى المالَ: أعطاه إيَّاهُ مُتَفَضِّلاً» [القاموس المحيط: ٩٩٦].

لا يبلغُ المجدَ أقوامٌ وإنْ كَرُمُوا　　حتى يَذِلُّوا وإنْ عَزُّوا لأقْوَامِ
ويُشْتَمُوا فَتَرَى الألوان مُسْفِرةً　　لا عَفْوَ ذُلٌّ ولكن عَفْوَ أحْلامِ

وزاد بيتين آخرين عبدالأول، قال أبو بكر ـ رحمه الله تعالى ـ وليس هو في عَقب هٰذه:

وإنْ دَعَا الجَارُ لَبَّوْا عِند دَعْوَتِهِ　　في النَّائِبَاتِ بإسْرَاجٍ وإلْجَامِ
مُسْتَلْئِمِينَ لهم عنْدَ الوَغَى[1] زَجَلٌ[2]　　كأنَّ أسيافَهم أُغرينَ بالهامِ

[نفسه ص٥٩٩]

* * *

➢ ذَريني وَمَالي إنَّ مَالَكِ وَافِرٌ:

أنشدنا أبو البِلاد لحاتم الطَّائي:

ذَرِينِي[3] ومَالِي إنَّ مَالَكِ وَافِرٌ[4]　　وإنَّ فَعَالِي[5] تَحْمَدِي غِبَّهُ[6] غَدَا
ألم تَعْلَمِي أنِّي إذَا الضَّيْفُ أمَّنِي　　وعَزَّ[7] القِرَى أقرِي السَّدِيفَ[8] المُسَرْهَدَا[9]

(١) «الوَغَى، كالفَتَى وكالرَّمي: الصَّوتُ، والجَلَبَةُ» [القاموس المحيط: ١٣٤٣].
(٢) «الزَّجَلُ: الجَلَبَةُ، والتَّطْرِيبُ، ورفع الصَّوتِ، زَجِلَ، كفَرِحَ، فَهو زَجِلٌ وزَاجِلٌ» [نفسه، ص١٠٠٩].
(٣) اتركيني.
(٤) كَثير.
(٥) «الفَعَالُ، كسحاب: اسمُ الفِعْلِ الحَسَنِ، والكَرَمُ» [القاموس المحيط: ١٠٤٣].
(٦) عاقبته.
(٧) «عَزَّ الشَّيء: قَلَّ» [القاموس المحيط: ٥١٧].
(٨) «السَّدِيفُ، كَأمير: شَحْمُ السَّنام» [نفسه، ص٨١٨].
(٩) «المُسَرْهَدُ: السَّمِينُ مِنَ الأَسْنِمَة» [نفسه، ص٢٨٨].

سَأَخْبِسُ مِنْ مَالِي دِلَاصاً[١] وسَابِحاً[٢] وأَسْمَرَ خَطِّيًا وعَضْباً[٣] مُهَنَّدَا

[نفسه ص٦٢٣]

❋ ❋ ❋

➢ أَجُودُ إِذَا نَفْسُ البَخِيلِ تَطَلَّعَت:

قال أبو علي رحمه الله: وأنشدنا أبو محلم لحريث بن سلمة بن مُرَارة بن مُحَفِّص أحد بني خزاعي بن مازن هٰذه الأبيات:

أَلَمْ تَرَ قَومِي إِذْ دَعَاهم أَخُوهم أَجابوا وإِنْ يُرْكَب إلى الحَرْبِ يَرْكَبُوا

هُمُ حَلَفُوا عندَ الحُلَيْسِ وَمُدْرِك وعند بِلال لا أَسِيرُ وَيَشْرَبُوا

قال: هؤلاء سلاطين كلّهم، يَقول: إنّي إن سُيِّرْت، أي: حُلِّئت عن الماء لم يَشْرَبُوا هم.

وهُم حَفِظُوا غَيْبي كَما كُنت حَافِظاً لهم غَيْبَ أُخْرَى مثلها لو تَغَيَّبُوا

بَنُو الحَرْبِ لم تَقْعُدْ بِهِم أُمَّهَاتهم وآباؤهم آباء صِدق فَأنْجَبُوا[٤]

وإنّي لأَجْلُو عن فَوَارِسيَ العَمَى إذا ضَنَّ[٥] بِالنَّفْسِ الجَبان الموجَّب

المُوَجَّب: الذِي يَجِب قَلبه مِنَ الجُبْن.

أَجودُ إِذَا نَفسُ البَخيلِ تَطَلَّعَتْ[٦] وأصبر نفسي والجَماجِم[٧] تُضرب

[نفسه ص٦٣٣]

---

(١) «دِرْعٌ دِلَاصٌ، ككتاب: مَلساءُ لَيِّنَةٌ، وقد دَلَصَتْ دَلَاصَةً الجمع: دَلَاصٌ أيضاً» [القاموس المحيط: ٦٢٠].

(٢) «السَّوَابِحُ: الخَيْلُ لِسَبْحِهَا بِيَديها في سَيرها» [نفسه، ص٢٢٢].

(٣) «العَضْبُ: القَطع» [نفسه، ص١١٦].

(٤) وَلَدُوا النُّجبَاء.

(٥) بَخِل.

(٦) «تَطَلَّعَ إلى كَذَا: صَبَا إليهِ» [المنجد الأبجدي: ٢٥٩].

(٧) جمع جُمْجُمَةٍ.

➢ إنَّما يُؤَاخى منَ الفتيان كُلُّ فتى سمح:

قال أبو علي رحمه الله: أنشدنا أبو الحسن، قال: أنشدنا حمّاد، عن أبيه:

جَفَانَا[١] أبو صَالِح بَعْدَمَا ... أقام زمانـاً لَنَا وَاصِلاَ
يَرُوحُ ويَغْدُو بِأَلْوَاحِهِ ... إلى الباب مُسْتَرشداً سَائِلاَ
فَلمّا تَرَأَّس في نفسه ... وليس لذٰلك مستأهِلا
تَنَبَّلَ[٢] عَنَّا فَلم يَأْتِنَا ... وما كُنت أحسبه فَاعِلا
فَعادَ كَحَيْرَانَ في جَهْلِه ... كما كَان مِن قَبله جَاهِلاَ

قال فأجابه:

بَخِلْتَ وأقبت الجَفَاء وإنّما ... يُؤَاخَى من الفتيان كُلُّ فَتًى سَمْحِ[٣]
ولست بِسَمْحٍ لا ولا في أَرُومَةٍ[٤] ... ولكنَّ مطبوعاً على اللُّؤْمِ والشُّحِّ

[نفسه ص٦٣٨]

❋ ❋ ❋

➢ تَعَوَّذْ إذا أصبحتَ مِنْ دَوْلَةِ الغِنَى:

قال: وأنشدنا أبو الحَسن قال: أنشدنا أبو هفّان لبعض المحدثين:

تَعَوَّذْ إذا أصبحتَ مِنْ دَوْلَةِ الغِنى ... أبا حَسَنٍ وادعو إلٰهكَ بِالفقرِ

---

(١) لم يَصِلْنَا.
(٢) «النُبْلُ، بِالضَّمّ: الذَّكاءُ والنَّجابَةُ. نَبُلَ، ككَرُمَ، نَبالَةً وتَنَبَّلَ» [القاموس المحيط: ١٠٦٠].
(٣) جَوادٌ كَرِيمٌ.
(٤) «الأَرُومَةُ، وتُضمّ: الأصلُ، الجمع: أرومٌ» [القاموس المحيط: ١٠٧٥].

رأيناك ما استغنيت لا تَحمل الغِنَى ... وتَلبسُ جِلْبَابَا منَ التِّيهِ والكِبْرِ
وأنــتَ إذا أعــسـرتَ خِـلٌّ مُـوافِـقٌ ... تَبَـرُّ وتَـلْـقَـى بِـالـمـودَّةِ والـبِـشْـرِ
فـلـيتـك مـا أعـسـرت فِـينـا مُـخَـلَّـدٌ ... وليتك ما أيْسَرتَ في ظُلمةِ القَبرِ

[نفسه ص٦٣٩]

❋ ❋ ❋

≺ مددتُ يَدِي يوماً إلى فَرخ بَاخل:

قال جَحظة: أنشدتُ هٰذه الأبيات عبيدَالله بن عبدالله، فقال: والله لو سَمِعها دِعْبِلٌ لحسدَكَ عليها، وهي هٰذه:

مَدَدْتُ يَـدِي يـومـاً إلـى فَـرخ بَـاخـلٍ ... كما يَفعلُ الخِلُّ[1] الصَّدِيقُ المؤانِسُ
فَـأَوْمَـأَ[2] إلـى غـلـمـانه فَـتَـوَاثَـبُـوا[3] ... إلـيَّ ووجـهُ الـنَّـذْلِ[4] إذْ ذاك عَـابِـسُ
فـهـذا لِـبطـني حِـيـن أسـقُـط دَائِـسٌ ... وذَاكَ لِـجَـنْـبِـي حِـيـن أَنـهـض رَافِـس
فـأنـشـدت بَـيـتـاً قـالَـهُ ذُو صَـرَامَـةٍ ... وقَـد نَـاوَشَـتْـهُ[5] بِـالـرِّمَـاحِ الـفَـوارس
ومَن يطلب الـمالَ الـممنَّعَ بِالقَنَا[6] ... يَـعِـش مُـثْـرِيـاً أَو يُـودِ فـيـمـن يُـمَـارِس

[نفسه ص٦٤٨]

❋ ❋ ❋

(١) «الخِلُّ، بالكسرِ والضَّمّ: الصَّدِيق المُخْتَصُّ، أو لا يُضَمُّ إلاَّ مَعَ وُدٌّ» [القاموس المحيط: ٩٩٤].
(٢) «وَمَأَ إليهِ، كوضَعَ: أشارَ، كأَوْمَأَ ووَمَّأَ» [نفسه، ص٥٦].
(٣) «الوَثْبُ: الظَّفرُ، وَثَبَ يَثِبُ وَثْباً ووَثَبَاناً ووُثُوباً ووِثَاباً ووَثِيباً» [نفسه، ص١٤١].
(٤) الخَسِيسُ مِنَ النَّاسِ.
(٥) «المُنَاوَشَة: المناوَلَةُ في القِتال» [القاموس المحيط: ٦٠٨].
(٦) «القَنَاةُ: الرُّمْحُ. الجمع: قَنَوَاتٌ وقَناً وقُنِيّ» [نفسه، ص١٣٢٦].

➢ إسحاق الموصلي وكرم البَرَامكة:

قال أبو علي رحمه الله: حدّثني جَحظة، قال: حدّثني حمّاد بن الموصلي، قال: قال أحمد بن عبيد لأبي: يا أبا محمّد لَوْ ذَهَبت إلى إخوانك وتَركت التِّيهَ[1]، فقال: لا والله لا أدخل إلى واحد منهم إلا بِخمسين ألف درهم وفرسٍ وخِلعة، فوالله لقد دخلت على الفضلِ بن يحيى فأجلسني معه على مُصَلاّه، وخَرج خادِم فَقال: لقد رَزَق الله الأمير وَلَداً، فَقُلت:

ويفرحُ بِالمولودِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ   بُغَاةُ النَّدَى والرُّمْحِ والسَّيفِ والنَّصْلِ[2]
وتَنْبَسطُ الآمال فيه لِفضله   ولا سيَّما إنْ كَان منْ ولَدِ الفَضْلِ

فَقال: يا صالح، ادفع لأبي محمد مائة ألف درهم...

[نفسه ص٦٤٩]

❋ ❋ ❋

➢ المالُ وَيحك لاقَى الحَمْدَ فاصْطَحَبا:

قال أبو علي رحمه الله: وأنشدنا ثعلب لدعبل:

بانت سُلَيمى وأمسى حبلها انْقَضَبَا[3]   وزَوَّدُوك ولم يَرْثُو لك الوَصَبا[4]
قالت سلامةُ أَينَ المال قُلت لها: المالُ وَيْحَكِ لاقَى الحمدَ فاصْطَحَبَا

---

(١) الكِبْرُ.

(٢) «النَّصْلُ والنَّصْلانُ: حَدِيدةُ السَّهمِ والرُّمحِ والسَّيْفِ ما لم يكن له مَقْبِض، الجمع: أَنصُلٌ ونِصَالٌ» [القاموس المحيط: ١٠٦٢].

(٣) «قَضَبَهُ يَقْضِبُه: قَطعه، كاقْتَضَبَه وقَضَّبَهُ، فانْقَضَب وتَقَضَّب» [القاموس المحيط: ١٢٥].

(٤) «الوَصَبُ، محرّكة: المَرَضُ، الجمع: أَوْصَابٌ» [نفسه، ص١٤١].

الحمدُ فَرَّق مَالِي في الجُفُونِ فَما ... أبقين ذَمًّا ولا أبقين لي نَشَبَا[١]

قالت سلامَةُ دَعْ هٰذي اللَّبُونِ[٢] لَنا ... لِصِبْيَةٍ مثل أفراخ القطا زُغُبا[٣]

قُلت أحبسيها ففيها مُتعَة لَهُمُ ... إِنْ لم يُنِخْ طارِقٌ[٤] يَبغي القِرى سَغِبًا[٥]

لمّا اختَبَى[٦] الضَّيفُ واعْتَلَّتْ حَلُوبَتُهَا ... بَكَى العِيالُ وغَنَّتْ قِدرنا طَرَبَا

هٰذي سَبِيلِي وهٰذا فاعلمي خُلُقِي ... فارْضَيْ بِهِ أَوْ فَكُونِي بَعْضَ مَنْ غَضَبا

ما لا يَفُوت ومَا قد فَاتَ مَطْلَبُه ... فَلن يَفُوتَنِيَ الرِّزْقُ الذِي كُتِبَا

أسعى لأطلبه والرِّزْقُ يَطْلُبُني ... والرِّزْقُ أكثرُ لي مِنّي له طَلَبا

هل أنتَ وَاجِدُ شَيء لو عُنِيتَ بِهِ ... كالأَجْرِ والحمد مُرْتَاداً ومُكْتَسَبَا

قَوم جَوَادُهُم فَرْدٌ وفَارِسُهم ... فَرْدٌ وشَاعِرُهم فَرْدٌ إذَا نُسِبَا

[نفسه ص٦٤٨]

***

أنا ابن أُناسٍ مَوَّل النَّاس جُودُهم:

قال أبو علي رحمه الله: أنشدنا جَحظة لنفسه:

أنا ابن أُنَاسٍ مَوَّل النَّاس جُودُهم ... فَأضْحَوْا حَدِيثاً بِالنَّوَالِ المُشَهَّرِ

فَلم يَخْلُ مِنْ إحسانهم لَفْظُ مُخْبرٍ ... ولم يَخْلُ مِن تَقْرِيظهم[٧] بَطنُ دَفْتَرِ

[نفسه ص٦٤٩]

---

(١) «النَّشَبُ والنَّشَبَة، محرّكتين، والمَنْشَبَةُ: المال الأصِيلُ من النَاطِق والصَّامِت» [القاموس المحيط: ١٣٨].

(٢) «اللَّبُونُ واللَّبُونَةُ: ذاتُ اللَّبن، غَزيرة كانت أو بَكِيّة الجمع: لِبَانٌ» [نفسه، ص١٢٢٩].

(٣) «الزَّغَبُ، محرّكة: صِغَارُ الشَّعَرِ والرِّيش» [نفسه، ص٩٤].

(٤) الطَّرْقُ: الإتيانُ بِاللَّيلِ.

(٥) جَائع.

(٦) «اختَبَى: جَمَعَ بين ظهره وسَاقيهِ بِعمامة ونَحوها، والاسمُ: الحَبْوَة» [القاموس المحيط: ١٢٧٢].

(٧) «التَّقريظُ: مَدحُ الإنسان وهو حَيٌّ بحقٍّ أو بَاطِل. وهُما يتقارظان المَدْحَ: يَمدح كلٌّ صاحِبَه» [القاموس المحيط: ٦٩٧].

➢ الأصمعي وأَبناء الكِرام:

قال أبو علي: وقرأت عليه قال: حدَّثني أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، قال: حدّثني أبو عثمان المازني، عن الأصمعي، قال: سرت في تَطوافي في العرب بجبلي طيِّئ، فدفعت إلى قَوم منهم يحتلبون اللَّبن ثمّ يصيحون: الضَّيفَ الضَّيف، فإن جَاء مَن يَضيفهم وإلاّ أَراقوه فَلا يَذُوقونَ منه شَيئاً دُون الضَّيف إلا أَنْ يَجهدهم[1] الجُوع، ثُمّ دفعت إلى رجلٍ مِن ولد حاتم بن عبدالله فَسألته القِرَى، فَقال: القِرَى والله كثير، ولكن لا سبيلَ إليه. فقلت: ما أحسب عندك شَيئاً، فأمرَ بِالجِفانِ[2] فأخرجت مُكَرَّمَة[3] بالثَّريدِ عليها وَذْرُ[4] اللَّحْمِ، وإذا هو جَادٌّ في المنع، فَقلت: والله ما أشبهت أباك حيث يَقول:

وأُبْـرِزُ قِـدري بِـالـفِـنـاءِ قَـلـيـلُـهـا ... يُـرَى غَـيرَ مـضـنـون بِـه وكَـثـيـرهـا

فَقال: إلاّ أُشبهه في هٰذا فَقد أشبهته في قَوله:

أَمَـاوِيَّ إمَّـا مَـانِـعٌ فَـمُـبَـيِّـنٌ ... وإمَّا عَطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ[5] الزَّجْرُ[6]

فأنَا والله مانِع مُبيِّن، فرحلت عنه ودفعت إلى امرأة مِن ولد ابن هَرْمَة فسألتها القِرَى[7]، فقالت: إنِّي والله مُرْمِلَة[8] مُسْنِتَةٌ[9] ما عندي شَيء،

(١) «جَهَدَ دَابَّتَهُ: بلغَ جَهْدَهَا، كأَجْهَدَها» [القاموس المحيط: ٢٧٥].

(٢) «الجَفْنَةُ: القصعةُ. الجمع: جِفَانٌ وجَفَنات» [القاموس المحيط: ١١٨٦].

(٣) معظّمة.

(٤) «الوَذْرَةُ من اللَّحمِ: القِطعة الصَّغِيرةُ لا عَظْمَ فيها، ويُحَرّك، الجمع: وَذْرٌ» [القاموس المحيط: ٤٩١].

(٥) «نَهْنَهَهُ عن الأمر فَتَنَهْنَهَ: كَفَّه، وزجره فَكَفَّ» [القاموس المحيط: ١٢٥٥].

(٦) «زَجَرَهُ: منَعَه ونَهَاهُ، كازْدَجَرَهُ فانْزَجَرَ وازْدَجَرَ» [نفسه، ص٣٩٩].

(٧) الضِّيافة.

(٨) «رجلٌ أَرْمَلُ، وامرأة أَرْمَلَة: مُحتاجة مِسكينة، الجمع: أَرَامِلُ وأَرَامِلَةٌ» [القاموس المحيط: ١٠٠٨].

(٩) «السَّنَةُ: الجَدْبُ، والقَحطُ، وأَسْنَتُوا» [نفسه، ص١٢٩٧].

فقلت: أَمَا عندك جَزُورٌ[١]؟ فقالت: والله ولا شاةٌ ولا دَجَاجة ولا بَيضة، فقلت: أما ابن هَرْمَة أبوك؟ فَقالت: بَلَى، والله إنِّي لَمِن صَمِيمِهم[٢]، قُلت: قاتَلَ الله أباك! ما كانَ أكذبه حيث يَقُول:

لا أُمْتِعُ العُوذَ[٣] بالفِصَالِ[٤] ولا ... أبتاع إلاَّ قَرِيبَة الأَجَل
إنِّي إذَا ما البَخِيلُ آمَنَها ... بَاتَتْ ضَمُوزاً مِنِّي على وَجَل

ووليت، فَنادت: ارْبَع[٥] أَيُّها الرَّاكب، فِعله والله ذٰلك أقلَّه عندنا، فقلت: إلاَّ تَكوني أَوْسَعْتِينا قِرًى فقد أوسعتينا جَوابا.

يُقال: ضَمُوز بِالفتح للواحدة، وضُمُوز بِالضَّمِّ للجَمَاعة.

[نفسه ص٦٥٨]

❋ ❋ ❋

➢ أفسدت مَالَك قُلت: المال يفسدني:

قال: أنشدنا محمد بن يزيد لدعبل بن علي الخزاعي:

نَعَوْنِي[٦] ولمَّا يَنْعَنِي غَيرُ شَامِتٍ ... وغيرُ عَدُوٌ قَد أُصيبَت مَقَاتِلُهْ[٧]

---

(١) «الجَزُورُ: البَعِيرُ، أو خاصٌّ بِالنَّاقةِ المجزورة، الجمع: جَزَائِر وجُزُرٌ» [القاموس المحيط: ٣٦٤].

(٢) «رَجُلٌ صَمِيمٌ، كأمِير: مَحْضٌ، للواحد والجمع» [نفسه، ص١١٣٠].

(٣) «العُوذُ، بِالضَّمِّ: الحَدِيثاتُ النِّتاج من الظِّباء وكلّ أُنثى، كالعُوذانِ، جَمْعاً عائِذٍ» [القاموس المحيط: ٣٢٥].

(٤) «الفَصِيلُ: ولدُ النَّاقَة إذا فُصِلَ عَن أُمِّه، الجمع: فُصْلانٌ، بِالضَّمِّ والكسر، وككتاب» [نفسه، ص١٠٤٢].

(٥) «رَبَعَ، كمنَعَ: وَقَفَ وانتظر، وتَحَبَّسَ، ومنه قولهم: ارْبَعْ عَليكَ، أو على نَفْسِك، أو على ظَلْعِك» [القاموس المحيط: ٧١٨].

(٦) «نَعَاهُ له نَعْياً ونَعِيًّا ونُعْيَاناً، بِالضَّمِّ: أخبره بِموته» [القاموس المحيط: ١٣٣٩].

(٧) جَمْعُ مَقْتَلٍ. وهو العُضْوُ الذي إذا أُصيبَ لا يَكاد صاحبُه يسلم كالصُّدغ.

يَقولون إنْ ذاقَ الرَّدَى[١] مَات شِعرُه وهيهات عُمْرُ الشِّعرِ طَالَت طَوَائِلُهْ
سأقضي بِبَيت يَحمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ ويكثر مِن أهل الرِّواية حَامِله
يَموت رديء الشِّعر من قبل أهله وجَيِّدُه يَبقى وإن مات قائِله

قال أبو العبّاس: وأخذ هٰذا المعنى أيضاً من نفسه، فقال في قصيدة أوّلها هٰذه الأبيات:

إذا غَزَوْنَا فَمَغزانا بِأَنْقَرَةٍ وأَهل سلمى بِسِيفِ[٢] البحر من جُرُتِ[٣]
هَيهات هَيهات بَين المَنزِلين لَقَد أنضيتُ[٤] شوقي وقد طَوّلتُ مُلْتَفَتِي
أحببتُ أهلي ولم أظلِم بِحُبِّهم قالوا تَعَصَّبَ[٥] جَهلاً قَولَ ذي بَهَتِ[٦]
لَهُم لِسَاني بِتقريظي[٧] ومُمْتَدَحِي نَعَم وقَلبي ومَا تَحوِيه مَقْدُرَتِي
دَعْنِي أَصِلْ رَحِمِي إنْ كُنت قَاطِعَها لا بُدَّ للرَّحِم الدُّنيا مِنَ الصِّلَةِ
فاحفظ عشيرتك الأَدْنَين إنَّ لهم حَقًّا يُفَرِّق بين الزَّوج والمَرَتِ[٨]
قَومي بَنُو حِمْيَرٍ والأَزْدُ إخوتُهم وآل كِندة والأحياءُ من عُلَتِ
ثُبْتُ الحُلُومِ[٩] فإنْ سُلَّتْ حَفَائِظُهم[١٠] سَلُّوا السُّيُوفَ فأَرْدَوْا كُلَّ ذِي عَنَتِ[١١]

---

(١) الهلاكُ.
(٢) «السِّيفُ، بِالكسر: سَاحِلُ البحر، وسَاحِل الوادي» [القاموس المحيط: ٨٢٢].
(٣) جُرت بضمٍّ فسكون قَرية من قُرى صنعاء بِاليمن، وقد حُرِّكَ لضرورة الشِّعر. (المحقّق).
(٤) «أَنضَاهُ: هَزَله» [القاموس المحيط: ١٣٣٩].
(٥) «تَعَصَّبَ: أَتى بِالعَصَبِيَّة، وتَقَنَّعَ بِالشَّيء ورَضِيَ به، كاعْتَصَبَ.
(٦) «بَهَتَهُ، كمَنَعَهُ، بَهْتاً وبَهَتاً وبُهْتَاناً: قال عَليهِ ما لم يفعل» [القاموس المحيط: ١٤٨].
(٧) التقريظ: مَدح الإنسان وهو حَيٌّ بِحقٍّ أو باطل.
(٨) «المَرْتُ: المفازة بلا نَبات، أو الأرض لا يَجِفُّ ثَرَاهَا، ولا ينبت مَرعاها» [القاموس المحيط: ١٦٠].
(٩) العُقول.
(١٠) «الحَفِيظَة: الحَمِيَّةُ، والغَضَب» [القاموس المحيط: ٦٩٥].
(١١) «العَنَتُ، محرّكة: الفَسَادُ، والإثمُ، والهلاكُ» [نفسه، ص١٥٦].

نفسي تُنافِسُني في كُلِّ مَكْرُمَة[١] إلى المعالي ولو خالفتها أَبَتِ[٢]
وكَم زحَمْتُ طريق الموت مُعترضا بِالسَّيف ضيقاً فأدّاني إلى السَّعَةِ
قال العواذِلُ[٣] أَودى[٤] المال قُلت لهم: ما بين أَجْرٍ وفَخرٍ لي ومَحْمَدَتي[٥]
أفسدت مالكَ قلت: المال يفسدني إذا بَخِلتُ به والجُود مصلحتي
لا تَعرِضَنَّ بِمَزحٍ لامرئ طَبِنٍ[٦] ما رَاضَهُ[٧] قَلْبُه أجراه في الشَّفَةِ
فَرُبَّ قافِيةٍ[٨] بِالمَزْحِ قاتِلَةً مَشؤومَةٍ لم يُرَدْ إنماؤها نَمَتِ
رَدُّ السَّلَى[٩] مُسْتَتِمًّا[١٠] بعد قطعته كَرَدِّ قافِيَة مِن بعدما مَضَتِ
إنّي إذا قلت بَيتاً مَاتَ قائِلُهُ ومن يقال له والبَيت لم يَمُتِ

[نفسه ص٦٥٩ ـ ٦٦٠]



وإنَّ عَشِيرتي كَرَم:

قال أبو علي رحمه الله: قال أبو بكر: أنشدني محمد بن يزيد:

---

(١) «المَكْرُمُ والمَكْرُمَة، بضَمِّ رائهما، والأُكْرُومَة، بِالضَّمِّ: فِعْلُ الكَرَمِ» [القاموس المحيط: ١١٥٣].
(٢) كَرِهَتْ.
(٣) العَذْلُ: الملامَة.
(٤) هلك.
(٥) سبب للحمد.
(٦) فَطِن.
(٧) ذَلَّلَهُ.
(٨) قَصِيدة.
(٩) «السَّلَى: جِلدة فيها الوَلَدُ مِن النّاسِ والمَوَاشِي الجمع: أسلاءٌ» [القاموس المحيط: ١٢٩٦].
(١٠) اسْتَتَمَّهُ: جعله تَامًّا.

إذا لم تَصُنْ عِرْضاً ولَمْ تَخْشَ خالِقاً وتَسْتَحِي مَخْلُوقاً فَما شئت فاصْنَعِ

قال: وأنشدني مسعود بن بشر لقريف الكلبي:

إنِّي امرؤٌ نَبَهٌ[1] وإنَّ عَشِيرَتِي كَرَمٌ وإنَّ سَمَاءَهُم تُسْتَمْطَرُ
فَلئن فخرت بهم لنعم المَفخر حَدِبُوا عَلَيَّ كَمَا حَدِبْتُ عَليهم

[نفسه، ص٦٦٣]

***

فَقد حَلَّقت بِالجُودِ عَنقاءُ مُغرب:

قال أبو علي: وأنشدنا، قال: أنشدنا أحمد بن يحيى، قال: أنشدني العَتبي في السَّرِيِّ بن عبدالله بن الحارث:

كأَنَّ الذِي يأتي السَّرِيَّ لِحَاجَةٍ أناخَ إليهِ بِالذي كَان يَطلب
إذا ما ابن عبدالله خَلَّى مكانَهُ فَقد حَلَّقت بِالجُودِ عَنْقَاءُ مُغْرِب[2]

[نفسه، ص٦٦٣]

***

أَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إليك؟

قال أبو علي: حدَّثنا أبو بكر، قال: حدَّثنا أحمد بن يَحيى، قال: حدّثنا عبدالله بن شَبيب، قال: حَدَّثنا داود بن إبراهيم الجعفري، عن رجل من أهل البَادية قال: قِيل لابْنَة الخُسِّ: أيُّ الرِّجال أَحَبُّ إليك؟

(١) «نَبَهَ مُثلَّثة: شَرُفَ، فهو نَابِهٌ ونَبِيهٌ ونَبَهٌ» [القاموس المحيط: ١٢٥٤].
(٢) «عَنقاء مُغْرِبٌ ومُغْرِبَةٌ ومُغْرِبِ مضافة: طائِرٌ معروف الاسم لا الجِسم، أو طائِرٌ عَظيم يُبعدُ في طَيرانه» [القاموس المحيط: ١٢٠].

قالت: السَّهلُ النَّجيبُ[١]، السَّمْحُ[٢] الحسيبُ[٣]، النَّدْبُ[٤] الأرِيبُ[٥]، السَّيِّدُ المهيب، قيل لها: فهل بقي أحد مِن الرِّجال أفضل من هذا؟ قالت: نعم، الأهْيَفُ[٦] الهَفْهَافُ[٧]، الأَنِفُ[٨] العَيَّافُ، المُفِيدُ المتلافُ[٩]، الذي يُخيف ولا يَخاف، قيل لها: فأيّ الرِّجال أبغض إليك؟ قالت: الأَوْرَهُ[١٠] النَّؤُومُ، الوَكَلُ[١١] السَّؤُومُ[١٢]، الضَّعيفُ، الحَيزُومُ، اللَّئيمُ المَلُومُ، قِيل لها: فَهل بَقي أحد شَرٌّ مِن هٰذا؟ قالت: نَعم، الأحمقُ النَّزَّاعُ، الضّائِعُ المُضَاع، الذِي لا يُهَابُ ولا يُطَاع.

قالوا: فأيّ النِّساء أحبّ إليك؟ قالت: البيضاء العَطِرَة، كأنّها ليلةٌ قَمِرَة، قِيل: فأيّ النِّساء أبغض إليك؟ قالت: العِنْفِصُ[١٣] القَصِيرة، التّي إن استنطقتها سكَتَتْ، وإنْ سَكَتَّ عنها نطقت.

[نفسه، ص٦٦٦]

---

(١) النَّجيب: الكريم الحسيب.
(٢) الجَوادُ.
(٣) «الحَسَبُ: مَا تَعُدّه من مفاخِرِ آبائك، أو المال، أو الدِّين، أو الكرم» [القاموس المحيط: ٧٤].
(٤) الظَّرِيفُ النَّجِيب.
(٥) العَاقِل.
(٦) «الهَيَفُ، محرّكة: ضُمر البَطن، ورِقَّةُ الخاصرة، هَيِفَ، كفرِح» [القاموس المحيط: ٨٦٣].
(٧) «الهَفْهَافُ: الضَّامِرُ البَطن» [نفسه، ص٨٦٣].
(٨) «أَنِفَ مِن الشَّيء من بَاب طرِبَ وأَنَفَةً أيضاً بفتحتين أي: اسْتَنْكَفَ» [مختار الصِّحاح: ١٢].
(٩) أَتْلَفَهُ: أفناه.
(١٠) «وَرِهَ، كفرِحَ: حَمُقَ. والنَّعْتُ: أَوْرَهُ ووَرْهَاءُ» [القاموس المحيط: ١٢٥٦].
(١١) الوَكَلُ: العَاجِزُ.
(١٢) المَلُولُ.
(١٣) «العِنْفِصُ، بِالكسرِ: المرأةُ البَذِيئَةُ القَليلةُ الحَياءِ، والقَليلة الجِسم، الكثيرة الحركة، والدَّاعرة الخَبيثة» [القاموس المحيط: ٦٢٤].

➤ جَوَادٌ مِن تَمِيم قُرِيش:

قال أبو علي رحمه الله: قال أبو بكر: أنشدنا الرِّياشي قال: أنشدنا أبو عبدالرّحمٰن بن عائشة لرجل من تميم قُريش:

إنّـي إذا أحـيـيـت نـار مُـرمـلـة ... أُلـفَـى بـأرفـعِ تَـلٍّ مُـوقِـداً نـارِي[1]
كَـيـمَـا يَـرَاهـا فَـقِـيـرٌ بَـائِـسٌ صَـرِدٌ[2] ... ومُرْمِلٌ[3] جَاءَ يَسْرِي بعد إعسار[4]
عوَّدت نفسي إذا مَا الضَّيف نَبَّهَنِي ... عَقْرَ[5] العِشارِ[6] على عُسْرِي وإيسَارِي[7]
أَبـيـتُ أَقْـرِيـهِ مـنْ مَـالـي كَـرَائِـمَـهُ[8] ... أختصّ كلّ كِنَازٍ[9] شَحْمُهَا وَارِي[10]
ولا أُخَـالِـفُ جَـاري عـنـد غـيـبـتِـه ... إلـى حَـلِـيـلَـتِـهِ[11] تُـقْـتَـصُّ آثـارِي
وأتـرك الـشَّـيء أهـواه ويُـعـجـبـنـي ... أخشى عَـواقب مـا فِـيـهِ مِـنَ الـعَـارِ
إنَّـا كـذٰلـك قِـدمـاً إنْ سـألـت بِـنـا ... أَهْلُ الحفاظِ[12] ومنّا صاحِب الغَارِ

[نفسه، ص٦٦٩]

---

(١) كذا بالأصل وهو غير مستقيم الوزن والمعنى. وفي كتاب سِيبويه:
إنِّـــي إذا أُخْـــفِـــيَـــت نـــار لِـــمُـــرْمِـــلَـــة
وهو مستقيم الوزن والمعنى. (المحقّق)

(٢) «رَجُلٌ مِصْرَادٌ: قَوِيّ على البَرد، وضَعِيف عليه، كصَرِدٍ، ككَتِفٍ» [القاموس المحيط: ٢٩٣].

(٣) فَقير.

(٤) ضِيق.

(٥) «العَقْرُ: الجَرْحُ» [القاموس المحيط: ٤٤٣].

(٦) «العُشَرَاءُ من النُّوقِ: التِي مَضَى لحملها عشرة أشهر، أو ثمانية، أو هي كالنُّفَسَاء من النِّساء الجمع: عُشَرَواتٌ وعِشَارٌ» [نفسه، ص٤٤٠].

(٧) «أَيْسَرَ إِيسَاراً ويُسْراً: صَارَ ذا غِنًى فهو مُوسِرٌ الجمع: مَياسير» [نفسه، ص٤٩٩].

(٨) خياره.

(٩) «ناقَةٌ وجَارِيةٌ كِنَازٌ، ككتاب: كثيرةُ اللَّحم» [القاموس المحيط: ٥٢٣].

(١٠) «الوَارِي: الشَّحْمُ السَّمِينُ، كالوَرِيِّ» [نفسه، ص١٣٤٢].

(١١) زوجته.

(١٢) «المُحَافَظَة: الذَّبُّ عن المكارِم، كالحِفَاظ، والاسمُ: الحَفِيظة» [القاموس المحيط: ٦٩٥].

➢ جُود عاصم:

قال: وأنشدني محمد بن يزيد لبعضهم:

مِنْ نَدَى عاصم جَرَى الماء في العُو ... دِ وفـي سَـيـفـه دمـاء الـذُّبـاح
قـائـم الـسَّـيـف أخـضـر مِـن نَـدَاه ... وعـلـى شَـفْـرَتَـيـهِ سُـمٌّ مُـتَـاح[1]
يَـتـلَـقَّـى الـنَّـدَى بِـوجـهِ حَـيِـيٌ ... وصُـدور الـقَـنَـا[2] بِـوَجْـهِ وَقَـاح[3]

[نفسه ص٦٧٤]

❋ ❋ ❋

➢ أَزُورك يوم الصَّوم:

قال: وأنشدت في رجل كان يَبخل ويَصُوم الاثنين والخَميس:

أزورك يَـوم الـصَّـوم عـلـماً بِـأنَّـنِـي ... إذا جِـئـت يَـومـاً غَـيْـرَهُ لا أُكَـلَّـمُ
مـخـافَـةَ قَـوْلِـي إنَّـنِي جِئـتُ جَـائـعـا ... ولـو قـلـتـهـا أيـضـاً لـمـا كُـنـت أُطْـعَـمُ

[نفسه، ص٦٧٤]

❋ ❋ ❋

➢ مدح قُثم بن العَبّاس:

وقال: أنشدنا محمد بن يَزيد لداود بن سلم التَّميمي يَقوله في قُثم بن العَبَّاس:

---

(١) «المِتيَاح: الأمْرُ المُقَدَّرُ، كالمُتَاح» [القاموس المحيط: ٢١٥].

(٢) «القَنَاةُ: الرُّمْحُ الجمع: قَنوَاتٌ وقَناً وقُنِيٌّ وقَنَيَاتٌ، وصاحبها: قَنَّاءٌ» [نفسه، ص١٣٢٦].

(٣) «وَقُحَ الرَّجُلُ من باب ظَرُفَ: قَلَّ حَيَاؤه فَهو وَقِحٌ ووَقَاحٌ بالفتح» [مختار الصحاح: ٣٠٤].

نَجوتِ مِن حِلٍّ ومِنْ رِحْلةٍ ... يا ناق إنْ أَدْنَيْتِنِي مِنْ قُثَمْ
إنَّكِ إنْ بَلَّغتنِيهِ غَداً ... أَحْيَا لِيَ اليُسْرَ ومَاتَ العَدَمْ
في بَاعِهِ[1] طُولٌ وفي وَجهه ... نُورٌ وفي العِرْنِينِ[2] منهُ شَمَمْ[3]
أَصَمُّ عَنْ قولِ الخَنَا[4] سَمْعُهُ ... ومَا عن الخَيرِ بِهِ مِنْ صَمَمْ
لم يَدْرِ مَا «لا» وبلَى قَدْ دَرَى ... فَعَافَهَا واعْتَاضَ[5] منها نَعَم

[نفسه ص٦٧٥]

* * *

حاتم الطّائِي وشيء من حَدِيثه:

قال الأصمعي: كان حاتم من شُعراء العَرب، وكان جَواداً شاعِراً، وكَان شِعْرُه يُشبه جُوده وجُوده يشبه شعره، وكان حَيثما نزل عرف منزله، وكان مُظَفَّراً إذا قاتَلَ غَلَبَ، وإذا غَنِمَ أَنْهَبَ[6]، وإذا سُئِل وَهَب، وإذا ضَربَ بِالقِدَاح[7] سَبَقَ، وإذا أَسَرَ أَطْلَقَ وكَان يُقسم بالله لا يقتِل واحِد أُمِّه، وكان إذا أَهَلَّ الشَّهر الأَصَمُّ وهو رَجب الذي كانت العرب تعظمه في الجاهلية نَحر كلّ يوم عشرة من الإبل فأطعم النَّاس واجتمعوا إليه، فكان ممّن يَأتيه مِنَ الشُّعراء الحطيئة وبشر بن أبي خَازم. وذكر أَنّ أُمّ حاتم أُتِيت وهي حُبلى في المنام، فقيل لها: غُلام سَمْحٌ يقال له

(١) «البَاعُ: قَدْرُ مَدِّ اليَدين» [مختار الصِّحاح: ٢٨].
(٢) «العِرْنِينُ، بِالكسرِ: الأنفُ كُلُه، أو مَا صَلُبَ من عَظْمِهِ» [نفسه، ص١٢١٥].
(٣) «الشَّمَمُ، محرّكة: ارتفاع قصبة الأنف، وحُسنها» [نفسه، ص١١٢٧].
(٤) الخَنَا: الفُحش.
(٥) «اعْتَاضَ وتَعَوَّضَ: أَخَذَ العِوَض» [مختار الصِّحاح: ١٩٣].
(٦) «النَّهْبُ: الغَنِيمة، الجمع: نِهَابٌ. ونَهَبَ النَّهْبَ، كجعَلَ وسَمِعَ وكَتب: أَخَذه» [القاموس المحيط: ١٤٠].
(٧) «القِدْحُ، بِالكسر: السَّهم قبل أَنْ يُرَاشَ ويُنْصَلَ، الجمع: قِدَاحٌ» [نفسه، ص٢٣٥].

حَاتِم ألا قُولي: أَحَبُّ إليك أَم عشرة غِلمة كالنَّاس، لُيُوثٌ عند البَاسِ، ليسُوا بِأوغالٍ ولا أَنْكَاس[١]؟ فقالت: لا، بل حاتم، فولدت حَاتِماً، فَلمّا تَرَعْرَع جعل يخرج طَعامه، فإن وَجد أحداً أكل مَعَه، وإن لم يَجد أَحداً طَرحه. فَلمّا رأى أبوه أنّه يُهلك طَعامه قال: الحق بِالإبل، فخرج إليها ووهب له جَارية وفَرَساً وفَلُوَّها[٢]، فَلمّا أتاها طَفِق يبغي النَّاس فَلا يَجدهم، ويَأتي الطَّريق فَلا يجد عليها أَحداً، فبينا هو كذلك إذْ بَصُرَ بركب على الطَّريق فأتاهم، فَقالوا: يا فَتَى، هل مِن قِرًى؟ فَقال حاتم: تَسألون عن القِرى وقد رأيتهم الإبل! انزلوا. وكان الذين بَصُرَ بِهم عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم وزياد بن جابر وهو النّابِغة. وكانوا يُريدون النّعمان فَنَحَر لهم حاتم ثلاثة من الإبل، فقال عُبيد: إنّما أردنا اللَّبن وكانت تَكفينا بَكْرَةٌ إذ كنت لا بُدَّ مُتَكلِّفاً لَنا، فقال حاتم: قد عرفت، ولكنّي رأيت وجوهاً مختلفة وألواناً مُتفرِّقة، فعلمت أَنّ البلدان غير واحدة، فأحببت أَن يَبقى لي منكم في كلّ بَلد ذِكْرٌ، فقالوا فيه شِعراً يَمتدحونه ويذكرون فضله، فقال لهم حاتم: إنّما أردت أَن أحسن إليكم فَصار لكم عليَّ الفضلِ، وعَليَّ أَنْ أضرب عَرَاقيب[٣] إبلي أو تقوموا إليها فتقتسموها، علوا فأصاب الرّجل منهم تِسعة وثلاثين بَعِيراً، ومَضوا على سَفرهم إلى النُّعمان، وسَمِع أبوه بِما فَعل فأتاه، فقال: أين الإبل؟ فَقال: يا أَبتِ، طَوَّقتك[٤] طوقَ الحَمامة مجدَ الدَّهرِ وكَرَماً، لا يَزال رَجل يَحمل لنا بيت شِعْرٍ أَبداً، فخرج أبوه بِأهله وترك حَاتِماً، فَقال في ذلك حاتم يذكر تَحَوّل أبيه عنه:

---

(١) «النِّكْسُ، بالكسر: الضَّعيف» [القاموس المحيط: ٥٧٨].

(٢) «الفَلُوّ والفِلْوُ، كعَدُوّ وسُمُوّ: الجَحْشُ والمُهْرُ فُطِمَا، أو بَلغَا السَّنة، الجمع: أَفْلاَءٌ وفَلاَوَى» [نفسه، ص١٣٢٢].

(٣) «العُرْقُوبُ: عَصَبٌ غَلِيظٌ فوق عَقب الإنسان، ومن الدَّابّة في رجلها: بِمنزلة الرُّكبة في يَدها» [القاموس المحيط: ١١٤].

(٤) «الطَّوْقُ: حَلْيٌ للعُنُقِ، وكلّ ما استدار بِشيء، الجمع: أطواق. وتَطَوّق: لَبِسه» [القاموس المحيط: ٩٠٥].

وإنِّي لَعَفُّ الفَقْرِ مُشْتَرَكُ الغِنى ... وتارِكُ شَكلٍ[١] لا يُوَافِقُهُ شَكْلِي
وشَكْلِيَ شَكْلٌ لا يَقُومُ بِمثله ... منَ النَّاسِ إلاَّ كُلُّ ذي ثِقةٍ مِثْلِي

ولمّا تزوّجَ حَاتِم مَاوِيَّة وكَانت من أحسن النِّساء لبثَت عنده زماناً. ثُمّ إنَّ ابن عَمٍّ لحاتم يقال له مالِكٌ قال لماوِيَّة: ما تَصنعين بِحاتم؟ فوالله لئن وجد لَيُتلِفَنَّ، ولئن لم يَجِدِ ليَتكَلَّفَنَّ، ولئن مَات ليترُكَنَّ ولدك عِيَالاً على قَومه. فقالت: صَدَقْتَ، إنَّه لَكذٰلِك. وكانت النِّساء أو بعضهنّ يُطَلِّقْنَ الرِّجال في الجاهلية، وكان طلاقُهُنَّ أَنَّهنّ يُحَوِّلن أبواب بُيُوتهنّ، إن كان الباب إلى المشرق جَعلنه إلى المغرب، وإن كان الباب قِبَل اليمن جَعَلْنَه قبل الشّام، فإذا رأى الرّجل ذٰلك عرف أنّ امرأته طلَّقته، وقال ابن عَمِّه لها: فأنا أنصحك وأَنا خَير لك مِنه وأكثر مالاً وأنا أُمسك عليك وعلى ولدك، فَلم يَزل بِها حتَّى طلّقت حاتماً، فَأتاها وقد حوّلت الخِباء[٢]، فقال لابنه: ما تَرى أمُّك ما عدَا ولدك، فلم يزل بِها حتى طلّقت حَاتِماً، فأتاها وقد حوّلت الخِباء، فَقال لابنه: ما ترى أُمّك ما عَدا عليها؟ فقال: لا أدري، فهبط به بطن وَادٍ. وجاء قَوم فنزلوا على باب الخِباء كما كانوا ينزلون فَتَوَافَى[٣] خمسون رجلاً فضاقت بهم ماوِيَّة ذرعاً، فقالت لجاريتها: اذهبي إلى مَالك فقولي: إنّ أضيافاً لحاتم نزلوا بنا وهم خمسون رَجلاً، فأرسل إلينا بِنَاب[٤] ننحرها لهم وبِوَطْبٍ[٥] لبن نَسقيهم، وقالت لِجاريتها: انظري إلى جَبينه وفَمه، فإن سابقك بِالمعروف فاقبلي منه، وإن ضَرب بِلَحْيَتِهِ[٦] على زَوْرِهِ[٧]

(١) «الشَّكْلُ: الشَّبَهُ، والمِثْلُ» [القاموس المحيط: ١٠١٩].
(٢) «الخِبَاءُ، ككساء من الأبنية: يكون مِن وَبَرٍ أو صُوف» [القاموس المحيط: ١٢٧٨].
(٣) «تَوَافَى القَومُ: تتامُّوا» [نفسه، ص١٣٤٤].
(٤) «النَّابُ: النَّاقة المُسِنَّة، كالنَّيُوب» [القاموس المحيط: ١٤٠].
(٥) «الوَطْبُ: سقاء اللّبن، الجمع: أوطُبٌ ووِطَابٌ وأَوْطَابٌ، جمع الجمع: أوَاطِبُ» [نفسه، ص١٤٢].
(٦) «اللِّحْيَةُ، بالكسر: شَعَرُ الخَدَّين والذَّقَن الجمع: لِحًى ولُحًى» [القاموس المحيط: ١٣٣٠].
(٧) «الزَّوْرُ: وَسَطُ الصَّدرِ، أو ما ارتفع منه إلى الكتفين، أو مُلتقى أطراف عظام الصَّدر حيث اجتمعت» [نفسه، ص٤٠٢].

وأدخل يَده في رأسه فارجعي ودَعيه، فَلمّا أتته وجدته مُتوسِّداً وَطْباً مِن لَبن، فأيقظته وأبلغته الرّسالة وقالت: إنّما هي اللّيلة حتى يعلم النّاس مكانه، فضرب لحيته على زَوره وأدخل يَده في رأسه وقال لها: اقْرَئي عليها السَّلام وقولي لها: هٰذا الذي نهيتك عنه وأمرتُك أَنْ تُطَلِّقي حاتماً مِن أجله، فما عندي من كَبيرة قد تركت العمل، ومَا كنت لأنحر صَغيرة لشحم كلاها، وما عندي من لبن يكفي أضياف حَاتِم، فرجعت الجارية وأعلمتها بِمقالته، فقالت لها: ويلك! ائتي حاتماً فَقولي له: إنّ أضايفك نزلوا بنا اللَّيلة، فأرسل إلينا بِناب ننحرها لهم ولبن نسقيهم، فَقال حاتم: نَعم، وأبي وأنياب، وقام إلى الإبل فأطلق عُقَلها، وصَاحَ بها حتى أتى الخباء وضَرب عَراقيبها، فَصفقت ماويّة تصيحُ: هذا الذي طلّقتك فيه تترك ولدك ليس لهم شيء.

وإنَّ حاتماً دعته نفسه إلى بنت عفزر، فأتاها يخطبها، فوجد عندها النّابغة ورَجلاً منَ النَّبيت يخطبانها، فقالت لهم: انقلبوا إلى رِحالكم وليقل كلّ رجل منكم شعراً يذكر فيه فعاله وخصائله، فإنّي أتزوّج أشعركم وأكرمكم، فانصرفوا ونَحَرَ كُلّ رجل منهم جَزُوراً، ولبست بنت عَفزر ثياباً لأمة لها، وأتتهم فاستطعمت كُلّ رجل منهم، فأتت النَّبيتيَّ فأطعمها ثِيَلَ[1] جَمَلِهِ، فأخذته، ثمّ أتت النّابغة فأطعمها ذنب جمله فأخذته، ثمّ أتت حَاتماً وقد نصب قدوره وهي على النّار فاستطعمته[2] فأطعمها قطعة من السَّنَام[3] وغير ذٰلك وأطعمها عظاماً منَ العَجُزِ قَد نَضِجت، فأهدى إليها كلّ رجل منهم ظهر جمله وأهدى إليها حاتم مثل ما أهدى إلى جَاراته، فَصبحوها فاستنشدتهم[4] فأنشدها النَّبيتيّ قصيدته التِي يقول فيها:

---

(١) «الثِّيل، بِالكسر والفتح: وِعاءُ قضيب البعير وغيره، أو القَضيب نَفْسُه، وبالكسر» [القاموس المحيط: ٩٧٤].

(٢) طلبت منه الطعام.

(٣) السَّنَامُ: حَدَبَةٌ في ظهر البَعير.

(٤) طلبت منهم الإنشاد.

هـلاً سـألـت هـداك الله مَـا حَـسَـبـي ... عـنـد الـشّـتـاء إذا مَـا هَـبَّـت الـرِّيـحُ

فقالت: لقد ذَكَرتَ جَهداً.

واستنشدت النّابغة فأنشدها:

هـلاّ سـألـت هـداكِ الله مَـا حَـسَـبـي ... إذا الدُّخَان تَغَشَّى الأَشْمَطَ[1] البَرَمَا[2]

ثمّ استنشدت حاتماً فأنشدها:

أَمَـاويّ قـد طـال الـتَّـجـنّـب والـهَـجْـرُ

فلمّا فرغ حاتم من إنشاده دعت بِالغداء، وقد كانت أمرت جَواريها أن يقدِّمن إلى كلّ رجل ما أطعمها، فقدّمن إليهم ثِيَلَ الجَمل وذَنبه، فَنَكّس[3] النّبيتيّ والنّابغة رؤوسهما. وإنّ حاتماً لمّا نظر إلى ذٰلك رمى بالذي قدّم إليهما وأطعمهما ممّا قدِّم إليه، فَتَسَلَّلاَ لِوَاذاً، فَقالت: إنّ حاتماً أكرمكم وأشعركم فلمّا خرجا قالت لحاتم: خَلِّ سبيل امرأتك، فأبى فَرَدَّتْهُ ورَدَّتهم. فلمّا انصرف دعته نفسه إليها وماتت امرأته فخطبها فتزوّجته، فولدت له عَديًّا وكانت من بنات ملوك اليمن. ويُقال: إنّ عَديًّا وعبدالله وسَفّانَة بني حاتم من امرأته النَّوَار. والله سبحانه وتعالى أعلم.

[«الأمالي» ص٦٩٥ ـ ٦٩٧]

❋ ❋ ❋

➤ حاتم الطّائي والأسير:

قال أبو العبّاس: قرأت على التّوزي، عن أبي عُبيدة إملاءً عليه، قال:

---

(١) «الشَّمَطُ، محركة: بياض الرَّأسِ يُخالط سَوادَه، شَمِطَ، كَفرِحَ، وأشْمَطَ واشْمَطَّ واشْمَاطَّ واشْمَأَطَّ» [القاموس المحيط: ٦٧٤].

(٢) «البَرَمُ، محرّكة: مَنْ لا يدخلِ مع القوم في المَيْسَرِ» [نفسه، ص١٠٧٨].

(٣) «نَكَسَهُ: قَلَبَهُ على رأسه، كَنَكَّسَهُ» [القاموس المحيط: ٥٧٨].

مرّ حاتم بن عبدالله الطّائي ببلاد عَنَزة، فَناداه أسير لهم: يا أبا سَفّانة، أكلني الإسَارُ[١] والقَمْلُ. فقال له: ويحك! والله لقد أسأت بي إذْ تَوَهّمت بي في غير بلاد قَومي. قال: فنزل فشدّ نفسه في مكانه في القِدّ[٢] وأطلقه حتى عُرف مكانه فَفُدي فداءً كَثيراً. قال: وفي غير هٰذا الحَديث أنّ امرأة آسرة أتته والحَيُّ خُلوفٌ ببعير قَد نِيطَ[٣] وبِشَفْرَة فَقالت له: افْصِدْهُ، فقام فَنحره. أو قال مرة أُخرى: فَلَثَم في نَحره. فَلطمته فقال: «لو غيرُ ذات سِوَار لطمتني» فقالت: أمرتك أن تُفصِده فنحرته فَقال: «ذٰلك فَصدي أَنَهْ» فَبذلك عُرف، وقال أبو العَبّاس مرّة أُخرى فقال: «هكذا فَزْدِي أَنَهْ» بالزّاي، وجعل الهاء بدل الألف في الوقف وهو الأصل، وهي لغته. فبذٰلك عرف، وأنشدنا في مثل ذٰلك:

لا أفْصِدُ النّاقَةَ مِنْ أَنْفِهَا ... لٰكِنّني أوجِرُهَا العَالِيَهْ

[نفسه ص٧٢٤]

❋ ❋ ❋

➤ يزيدُ يَزِيدُ في مَنْعٍ وبُخْلٍ:

حدَّث عليّ بن محمد قال: لمَّا هجا أبو العتاهية عبدالله بن مَعن غضب من ذٰلك أخوه يَزيد فَهجاه أبو العتاهية بِقوله:

بَنَى مَعْنٌ ويَهْدِمُهُ يَزِيدُ ... كَذاك الله يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
فَمَعْنٌ كَانَ لِلحُسَّادِ غَمّاً ... وهٰذا قَدْ يُسَرُّ بِهِ الحَسُودُ
يَزِيدُ يَزِيدُ فِي مَنعٍ وبُخلٍ ... وينقص في النَّوال ولا يَزِيدُ

[«دِيوان أبي العتاهية» ص٨٨]

(١) «الإسَارُ، ككتاب: مَا يُشَدّ بِه، الجمع: أُسُرٌ» [القاموس المحيط: ٣٤٣].
(٢) «القِدُّ، بِالكسر: السَّيْرُ يُقَدُّ مِن جِلدٍ غَير مَدبوغ» [نفسه، ص٣٠٨].
(٣) «نَاطَهُ نَوطاً: عَلَّقَهُ. وانْتَاطَ: تَعَلّق» [القاموس المحيط: ٦٩١].

➢ أسد في بَيته:

قال الأعشى في مدح هوذا بن علي الحنفي وهجاء الحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشي:

أجِدَّكَ[١] وَدَّعْتَ الصِّبَا والوَلاَئِدَا[٢] ... وأصبحتَ بَعد الجَوْرِ[٣] فيهنَّ قاصِدَا[٤]

ومَا خِلْتُ[٥] أنْ أَبْتَاعَ[٦] جَهلاً بِحكمةٍ ... ومَا خِلْتُ مِهْرَاساً بِلاَدِي وَمَارِدَا

يَلُومُ السَّفِيُّ ذَا البَطَالةِ بَعدمَا ... يَرى كُلَّ ما يأتي البطالة رَاشِدَا

أَتَيْتُ حُرَيْثاً[٧] زَائِراً عَنْ جَنابَةٍ[٨] ... وكانَ حُرَيْثٌ عن عَطَائِيَ جَامِدَا[٩]

لعمرُك ما أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ[١٠] في النَّدَى[١١] ... شَمَائِلَهُ[١٢] ولا أباهُ المُجَالِدَا[١٣]

إذَا زَارَهُ يوماً صَدِيقٌ كأنَّما ... يَرى أَسَداً في بَيته وأَسَاوِدَا[١٤]

وإنَّ امرأً قد زُرْتُه قَبلَ هٰذِهِ ... بِجَوٍّ لَخيرٌ منكَ نَفساً وَوَالِدَا

---

(١) أَجِدَّكَ: أهٰذا جِدٌّ مِنك؟ هَلْ أنت جَادٌّ في مَا تقول؟
(٢) الولائد، جمع وَلِيدَةٍ: الجَارِية.
(٣) الجَوْرُ: الابتعاد عن الصواب والحقّ.
(٤) قَاصِداً: مستقيماً.
(٥) حَسِبت.
(٦) أَشتري.
(٧) الحُرَيْثُ: تصغير الحارث بن وَعلة، وهو للتَّحقير.
(٨) جنابة: بعد.
(٩) جَامداً: بخيلاً.
(١٠) وعلة: والِد الحارث.
(١١) النَّدَى: الكرم.
(١٢) مزاياه.
(١٣) المُجالد: جَدُّ وَعلة.
(١٤) الأَسَاوِد، جمع الأسود: الحَيَّةُ الضَّخمة.

تَضيّفته يَوماً فَقرَّب مَقعَدِي ... وأصفدني[١] على الزَّمَانَةِ[٢] قائِدَا[٣]
وأمتَعَنِي على العَشَا[٤] بِوَلِيدَةٍ[٥] ... فَأُبْتُ[٦] بِخَيرِ مِنكَ يا هَوْذُ[٧] حَامِدَا
ومَا كانَ فِيها مِن ثَنَاءٍ ومِدْحَةٍ[٨] ... فأعني بِها أَبَا قُدَامَة عَامِدَا
فَتًى لو يُنَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِناعَهَا ... أَوِ القَمَرَ السَّارِي[٩] لألقى المَقَالِدَا
ويُصبحُ كَالسَّيفِ الصَّقيلِ[١٠] إذا غَدَا ... على ظهر أنماطٍ لَهُ وَوَسَائِدَا
يَرَى البُخْلَ مُرًّا والعَطاءَ كَأنَّمَا ... يَلَذُّ بِهِ عَذباً مِنَ الماءِ بَارِدَا
وأَحلَمُ[١١] مِن قَيسٍ وأجرأُ مُقدَماً ... لدى الرَّوعِ مِنْ لَيْثٍ إذا رَاحَ حَارِدَا[١٢]
يَرى كُلَّ ما دُون الثَّلاثِينَ رُخْصَةً ... ويَغْدو إذا كانَ الثَّمَانُونَ وَاحِدَا[١٣]
ولمَّا رأيتُ الرَّحْلَ[١٤] قَدْ طالَ وَضْعُهُ ... وأصبحَ مِنْ طُولِ الثَّوايَةِ[١٥] هَامِدَا[١٦]

(١) أصفدني: أعطاني.
(٢) الزَّمانة: الفاقة والضعف.
(٣) القائد: الذي يقوده بِيده لضعف بَصره.
(٤) «العَشَا، مَقصورة: سوءُ البَصَرِ باللَّيلِ والنَّهارِ، كالعَشاوَة» [القاموس المحيط: ١٣١١].
(٥) الوليدة: الجارية.
(٦) أُبتُ: رجعت.
(٧) هوذ: هوذ بن علي الحَنفي.
(٨) «مَدَحَهُ، كمَنَعَهُ، مَدْحاً ومِدْحَةً: أحسنَ الثَّناءَ عليه» [القاموس المحيط: ٢٤٠].
(٩) «السُّرَى، كالهُدَى: سَيْرُ عَامَّةِ اللَّيل، ويُذكَّرُ» [القاموس المحيط: ١٢٩٤].
(١٠) «صَقَلَهُ: جَلاهُ، فَهو مَصْقُولٌ وصَقِيلٌ، والاسمُ: ككتاب، وهُو صَاقِلٌ» [نفسه، ص١٠٢٢].
(١١) أَحْلَمُ: أكثرُ حِلماً وتَعَقُّلاً.
(١٢) «حَرَدَ يَحْرِدُ حُرُوداً. وكَضَرَبَ وسَمِعَ: غَضِبَ، فَهو حَارِدٌ وحَرِدٌ وحَرْدَانُ» [القاموس المحيط: ٢٧٦].
(١٣) أي أنّ هُوذا لا يهبّ إلى القِتال إذا كان عدد خُصومه ثلاثين شَخصاً ولا يأبه لهم إلا إذا كانوا فَوق الثَّمانين.
(١٤) الرَّحْلُ: الحمل.
(١٥) الثَّواية: الإقامة.
(١٦) «الهَامِدُ: البَالِي المُسْوَدُّ المُتَغَيِّرُ» [القاموس المحيط: ٣٢٨].

كَسوتُ قتودَ[١] الرَّحْلِ عَنْساً[٢] تَخَالُهَا[٣] مَهَاةً[٤] بِدَكْدَاكِ[٥] الصُّفَيينِ[٦] فَاقِدَا[٧]
أتارَتْ[٨] بعينيها القَطِيعَ[٩] وشَمَّرَتْ لتقطعَ عَنِّي سَبْسَباً[١٠] مُتَبَاعِدَا
تَبُزّ[١١] يَعَافِيرَ[١٢] الصَّرِيمِ[١٣] كِنَاسَهَا وتَبَعْتُ بِالفَلا قَطاهَا الهَوَاجِدَا

[نفسه ص٦٤ ـ ٦٧]

* * *

أخلاق الرِّجال:

وقال الأعشى:

ألا حَيِّ مَيًّا[١٤] إذْ أَجَدَّ بُكُورُهَا[١٥] وعَرِّضْ[١٦] بِقَول: هَلْ يُفَادَى أَسِيرُهَا؟
فَيَا مَيّ لا تُدْلِي[١٧] بِحَبْلٍ يَغُرّني وشَرُّ حِبالِ الواصِلِين غُرُورُهَا

(١) القتودُ، جمع قتد: خَشبُ الرَّحْلِ.
(٢) العَنْسُ: النَّاقة القَويّة.
(٣) تحسبها.
(٤) مهاة: غَزالة.
(٥) الدَّكْدَاكُ: ما تَرَاكم من الرَّمل.
(٦) الصُّفَيين: اسم موضع.
(٧) الفَاقِد: الذي تركه أولاده فافتقدهم.
(٨) أَتارت: أدامت النَّظر.
(٩) القَطيع: قطيع البقر الوحشي.
(١٠) السَبْسَبُ: الفَلاةُ الوَاسِعة.
(١١) تبزّ: تَفوق.
(١٢) اليَعافير، جمع يَعْفُور: الغَزال الذِي لونُه كَلونِ التُّراب.
(١٣) الصَّرِيم: الأرض المرملة وفيها.
(١٤) اسم امرأة.
(١٥) بُكورُها: رَحيلها بَاكِراً.
(١٦) لا تُصَرِّحْ.
(١٧) «دَلَوْتُ وأَدْلَيْتُ: أَرسلتها في البِئر» [القاموس المحيط: ١٢٨٣].

فإنْ شِئْتِ أَنْ تُهدَيْ لِقوميَ فاسألي ... عن العِزّ والإحسانِ أَين مَصِيرُها
تَرَيْ حَامِلَ الأثقال والدَّافِعَ الشَّجَا[١] ... إذا غُصَّةٌ ضاقت بِأَمْرٍ صُدُورُهَا
بِهم تُمْتَرَى[٢] الحربُ العَوَانُ[٣] ومنهمُ ... تُؤَدَّى الفُرُوضُ حُلوُها ومَرِيرُهَا
فَلا تَصْرِمِيني[٤] واسأَلِي مَا خَلِيقَتي[٥] ... إذا رَدَّ عَافِي[٦] القِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا
وكانوا قُعوداً حولها يرقبونَهَا ... وكَانت فَتاةُ الحَيِّ مِمَّنْ يُنِيرُهَا
إذا احمرَّ آفاق السَّمَاءِ وأَعْصَفَتْ ... رياح الشّتاء واستهلّت[٧] شُهورها
تَرَيْ أَنَّ قِدْرِي لا تَزالُ كأَنَّها ... لِذِي الفَرْوَةِ المَقْرُورِ أُمٌّ يَزُورُها
مُبَرَّزَةٌ لا يُجْعَلُ السِّتْرُ دُونَها ... إذا أُخْمِدَ النِّيرَانُ لاَحَ بَشِيرُهَا
إذا الشَّوْلُ[٨] رَاحَتْ[٩] ثُمَّ لم تَفِد لَحمها ... بألبانها ذَاقَ السِّنَانَ عَقِيرُها[١٠]
يُخَلِّى سَبِيلُ السَّيْفِ إنْ جَالَ دُونها ... وإن أُنْذِرَتْ لم يَغْنَ شَيئاً نَذِيرُها[١١]
كأَنَّ مُجاجَ العِرْقِ[١٢] في مُسْتَدَارِهَا[١٣] ... حَوَاشي[١٤] بُرُودٍ بينَ أيدٍ تُطِيرُها
ولا نَلْعَنُ الأضيافَ إنْ نَزلوا بِنا ... ولا يمنع الكوماءَ مِنّا نَصِيرُها

---

(١) «الشَّجَا: ما اعْتَرَضَ في الحَلْقِ من عَظْمٍ ونَحوه» [نفسه، ص١٢٩٨].
(٢) تُشعلُ.
(٣) التي تستمر طَويلاً.
(٤) تقطعي العلاقة بي.
(٥) ما طبعي وشيمتي.
(٦) «العَافِي: كُلّ طالبِ فَضْلٍ أَوْ رِزقٍ، كالمُعْتَفِي» [القاموس المحيط: ١٣١٣].
(٧) «هَلَّ الهِلاَلُ: ظَهر، كأَهَلَّ وأُهِلَّ واسْتُهِلَّ، بِضمِّهما، وهلَّ الشَّهْرُ، ظَهَر هِلالُه» [القاموس المحيط: ١٠٧٢].
(٨) الشَوْلُ: النِّياقُ السَّمِينة.
(٩) راحت: عادت مساءً.
(١٠) عَقِيرُها: ذَبِيحُها.
(١١) جَال دُونها: مضى يذبحها. أي: أَنَّ السُّيوف تَجول على أعناق النِّياق، وإن كانت هٰذه النِّياق مَنْذُورة فإنَّ النَّذر لا يمنعها مِن الذَّبح.
(١٢) مجاج العرق: الدَّمُ الذي يسري في العُرُوق.
(١٣) المُسْتَدارُ: مكان الدَّوران.
(١٤) أطراف الثِّياب.

وإنّي لَتَرَّاكُ الضَّغينة[١] قَدْ أرَى ... قذاهَا[٢] مِن المولَى فلا أَسْتَثِيرُها
وَقُورٌ إذا مَا الجَهْلُ أعجبَ أَهْلَهُ ... ومِن خيرِ أخلاقِ الرِّجال وُقُورُها
وقد يَئِسَ الأعداءُ أنْ يَستَفِزَّني ... قِيامُ الأسود وَثْبُها وزَئِيرُها
ويوم مِن الشِّعْرَى[٣] كأنَّ ظِبَاءَهُ ... كواعِبُ مَقْصُورٌ عليها سُتُورُهَا
عَصَبْتُ له رأسِي وكلَّفت قَطعَهُ ... هُنالِك حُرْجُوجاً[٤] بَطِيئاً فُتُورُها
تَدَلَّتْ عليهِ الشَّمْسُ حتى كَأنّها ... منَ الحَرِّ تَرْمِي بِالسَّكينَةِ قُورُهَا[٥]
وماءِ صَرًى[٦] لم أَلْقَ إلاَّ القَطَا[٧] بِهِ ... دَفُوناً وأَسْدَاماً طويلاً دُثُورُهَا
وَلَيْلٍ يَقُولُ القومُ مِن ظُلماته: ... سواءٌ بَصِيراتُ العُيُونِ وعُورُهَا
كأَنَّ لَنَا مِنهُ بُيُوتاً حَصِينَةً ... مُسُوحٌ[٨] أعاليها وسَاجٌ[٩] كُسُورُها[١٠]
تَجَاوَزْتُه حتى مَضَى مُدْلَهِمُّهُ[١١] ... ولاحَ من الشَّمْسِ المُضِيئة نُورُها

[نفسه ص١٠٣ ـ ١٠٦]

❋ ❋ ❋

➢ كانَ والله للمال بَذُولا:

قال أبو علي رحمه الله: حدَّثنا أبو بكر، قال: أخبرنا عبدالرّحمٰن،

---

(١) الحِقد.
(٢) «القَذَى: مَا يقع في العَينِ وفي الشَّرَاب» [القاموس المحيط: ١٣٢٣].
(٣) الشِّعْرَى: اسم جبل لبني سُليم.
(٤) الحُرْجُوجُ: النَّاقة المُكْتَنِزة.
(٥) القُورُ: الأرض التي تكثر فيها الحِجارة السَّوداء.
(٦) الماء الآسِنُ المتغيِّر.
(٧) القَطَا: الحمامُ البَرِّي.
(٨) المُسُوحُ: الثِّياب الخشنة.
(٩) «السَّاجُ: الطَّيلسانُ الأخْضَرُ أو الأسود» [القاموس المحيط: ١٩٤].
(١٠) الكُسُورُ، جمعُ كِسْرٍ: جَانب البَيتِ.
(١١) «ادْلَهَمَّ الظَّلامُ: كَثُفَ. وأَسودُ مُدْلَهِمٌّ: مُبالغة» [نفسه، ص١١٠٨].

عن عَمِّه، قال: سمعت أعرابيًا ذكَر رَجُلاً، فَقال: كَان والله للإخاء وَصُولاً، وللمالِ بَذُولاً، وكانَ الوفاء بِهما عَليه كفِيلاً، ومَنْ فَاضَلَه كَان مَفضُولاً.

[«الأمالي» ص١٢٠]

❋ ❋ ❋

➤ اخْطُط عن راحلتك فقد بلغت:

حدّثنا أبو بكر، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن العتبي، قال: قال رَجل لعبدالملك بن مروان ـ رحمه الله تعالى ـ: يا أمير المؤمنين، هززتُ ذَوائبَ الرِّحال إليك، فَلم أجِدْ مُعَوَّلاً إلاّ عَليك، أمتطي اللّيل بعد النَّهارِ، وأقطع المجاهل بِالآثار، يَقودني نَحوك رجاء، وتَسوقني إليك بَلوى، والنَّفس راغبة، والاجتهاد عَار، وإذا بلغتك فقدني. قال: احطط عن راحلتك فَقد بَلغت.

[نفسه ص١٩٢]

❋ ❋ ❋

➤ هَل يَبيعُ الرِّسْلَ كرِيم أو يمنعه لئيم:

حدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا أبو عُثمان، عن التَّوزيّ، عن أبي عُبيدة، قال: مَرَّ رَجل مِن أهل الشَّام بامرأة من كَلب، فَقال: هل مِن لَبَنٍ يُباع؟ فقالت: إنَّك للئِيم أو حديثِ عَهد بِقوم لِئام، هل يَبيع الرِّسْلَ[1] كَريم أو يَمنعه إلاَّ لَئيم! إنّا لَندع الكُوم[2] لأضيافنا تَكُوسُ[3]، إذا عكفَ[4] الزّمان

(١) «الرِّسْلُ، بِالكسر: اللّبن مَا كَان» [القاموس المحيط: ١٠٠٥].
(٢) «الكوماءُ: النَّاقة العظيمة السَّنام، وقد كَوِمَتْ، كفرِحَ» [القاموس المحيط: ١١٥٦].
(٣) «كَاسَ البَعيرُ: مَشَى على ثَلاث قَوائم، وهو معرقب» [نفسه، ص٥٧١].
(٤) أقامَ.

الضَّرُوسُ، ونُفلي(١) اللَّحْمَ غَرِيضاً(٢)، ونُهينه نضِيحاً.

قال أبو عليّ: الرِّسْلُ: اللَّبَنُ.

وأنشدنا أبو بكر:

فَتًى لا يَعُدُّ الرِّسْلَ يَقضي مَذَمَّةً ... إذا نَزَلَ الأَضْيَافُ أو يَنْحَرُ الجُزْرَا(٣)

[نفسه ص٢٠٠]

❋ ❋ ❋

➢ أوّل جَائزة أجازها النُّعمان:

حدّثنا أبو بكر قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبيه، عن يُونس، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: لمَّا تُوّجَ النُّعمان واطمأنَّ بِه سَرِيره، دَخَل عليه النَّاس وفيهم أعرابيّ، فأنشأ يَقُول:

إذَا سُسْتَ(٤) قَوْماً فاجْعَلِ الجُودَ بَيْنَهُم ... وبَينك تَأْمَنْ كُلَّ مَا تَتَخَوَّفُ

فإنْ كُشِفَتْ عندَ المُلِمَّاتِ(٥) عَورَةٌ ... كَفَاكَ لِبَاسُ الجُودِ مَا يَتكشَّفُ

فَقال: مَقبول منك نُصحك، مِمَّن أنت؟ قال: أنا رَجل من جُرم. فأمرَ له بِمائة ناقة، وهي أَوّل جَائزة أَجَازها.

[نفسه ص٢٣٠]

---

(١) «فَلاَهُ بِالسيفِ: ضَرَبَهُ» [نفسه، ص١٣٢٢].

(٢) «غَرُضَ الشَّيء غِرَضاً، كصَغُرَ صِغَراً، فهو غَرِيضٌ، أي: طرِيٌّ» [القاموس المحيط: ٦٤٨].

(٣) «الجَزُورُ: البَعِيرُ، أو خَاصّ بِالنَّاقَة المَجْزُورة، الجمع: جَزَائرُ وجُزُرٌ وجُزُرَات» [نفسه، ص٣٦٤].

(٤) «سُسْتُ الرَّعيَّةَ سِيَاسةً: أمرتُها ونَهيتها» [القاموس المحيط: ٥٥٠].

(٥) النوازل والمصائب.

➤ الإحسان للإخوان:

حدَّثنا أبو بكر، عن عبدالرَّحمٰن، عن عمِّه، قال: سمعت أعرابيًّا من بَني كِلاب يذكر رَجُلاً، فقال: كان والله الفهم ذا الأذنين، والجواب ذا لِسَانين، لم أرَ أحداً كانَ أَرْتَق[1] لِخَلَلٍ رأي منه، ولا أبعد مسافة رويّة ومراد طرف، إنَّما يَرمي بِهمّته حيث أشار إليه الكَرَم، وما زال والله يتحَسَّى مرارة أخلاق الإخوان ويسقيهم عذوبة أخلاقه.

قال أبو عليّ: أرتق: أَسدّ، يُقال: رتقت الشَّيء إذا سددته أو شددته.

[نفسه ص٢٨٢ ـ ٢٨٣]

❋ ❋ ❋

➤ فضلتهم ندًى وفضلت مَالاً:

قال بديع الزَّمان الهمذاني في مدح أبي الحارث الفريغوني أمير جوزجان:

سَلِ الملكَ الكريمَ إلامَ تبني ... وأينَ؟ وقد تَجاوزت السَّمَاءَ
أجِدَّك لا بَراكَ الله إلاَّ ... عَلاءً أو عطاءً أو وفاءَ
ولو ذَوَّبتَني ما كنت إلا ... ولاءً أو دُعاءً أو ثناء
منحتك من سواء الصَّدر وُدًّا ... يَكاد لفرطه يروي الظماء[2]
أيعجزني إذا احتكُوا هِنَاءً[3] ... وللكلبي إذا مرضوا شِفاءَ

---

(١) «الرَّتْقُ: ضِدُّ الفَتق» [القاموس المحيط: ٨٨٦].

(٢) «ظَمِئ، كفَرِحَ ظَمْئاً وظَمَأً وظَماءً وظَمَاءَة، فَهو ظَمِئٌ وظَمْآنُ، وهي ظَمْآنَة، الجمع: ظِمَاءٌ: عَطِش» [القاموس المحيط: ٤٧].

(٣) الهِنَاءُ: القَطِرَانُ.

جريت مع الملوك إلى مداها ... ففتهم سناءً[١] وارتقاءَ
فضلتهم ندى وفضلت مالاً ... ومن طلب الثَّنا رمى الثَّرَاءَ
أَمَن جمع الدَّراهم واقتناها[٢] ... كمن جمع النُّهى[٣] ليسُوا سواءَ
يكاد التّخت[٤] يورق جانباه ... ويقطر عوده ليناً وماءَ
إذا خطرت له قدماك تسعى ... إلى أعواده أو قِيل جَاءَ

[«ديوان بديع الزّمان الهمذاني» دراسة وتحقيق: يُسرى عبدالغني عبدالله، ص٢٩ ـ ٣٩]

❋ ❋ ❋

➢ عجباً من رجل ذي سعة:

وقال:

عجباً من رجل ذي سَعَة ... تأخذ الأيام من منسأته[٥]
يحرس المال ولا يأكله ... نظر البازي[٦] على مربأته[٧]
إنما يجمع مَا يجمعه ... راغم[٨] الأنف لبعل[٩] امرأته

[نفسه، ص٤٦]

❋ ❋ ❋

---

(١) رفعة.
(٢) اكتسبها.
(٣) «النُّهيَةُ، بِالضَّمّ: العَقْلُ، كالنُّهى» [القاموس المحيط: ١٣٤١].
(٤) «التَّخْتُ: وعاءٌ يُصَان فِيه الثِّيَابُ» [القاموس المحيط: ١٤٨].
(٥) «نَسَأَهُ، كمنَعَهُ: أخَرَهُ، نَسْئاً، ومَنْسَأةً، كأنْسَأه» [القاموس المحيط: ٥٤].
(٦) من الطيور الجَارحة.
(٧) «المَرْبأُ والمَرْبَأة والمُرْتَبَأ: المرقبة» [نفسه، ص٤١].
(٨) ذَلِيل.
(٩) زوج امرأته.

➢ ولكنّه كرِيم الكِرام:

أنفذ شاعر إلى سيف الدّولة أبياتاً فيها يشكو الفقر، ويذكر أنّه رآها في المنام فقال أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّي:

قد سمعنا مَا قُلت في الأَحْلاَمِ ... وأنلناك بِدرة[1] في المنامِ
وانتبهنا كما انتبهت بلا شيْـ ... ـءٍ وكان النَّوالُ[2] قدر الكلامِ
كنت فيما كتبته نائم العَيـ ... ـن فهل كنت نائم الأقلامِ
أيّها المُشتكي إذا رَقَدَ الإعـ ... ـدامَ لا رَقْدَةٌ معَ الإعْدَامِ
افتح الجَفْنَ واترك القَول في النَّو ... م ومَيِّزْ خِطابَ سيفِ الأَنَامِ
الذي ليس عنه مُغن ولا مِنـ ... ـهُ بَدِيل ولا لما رَامَ حَامِي
كلُّ آبائه كرام بني الدُّنْيَا ... ولكنَّه كريمُ الكرام

[«ديوان المتنبّي» وضعه: عبدالرحمٰن البرقوقي، ج٢/٢٩٦]

❋ ❋ ❋

➢ عطاءُ بخيل:

قال يحيى بن حكم الغَزال رحمه الله:

قصدتُ بمدحي جاهِداً نحو خَالِدٍ ... أُؤَمِّلُ مِن جَدْوَاهُ[3] فَوقَ مُنَائي[4]
فَلم يُعطني مِن مَالِهِ غَيرَ دِرْهَم ... تَكَلَّفَه بَعد انقطاعِ رَجائي

---

(١) «البَدْرُ: كِيسٌ فيه ألفٌ أو عَشرة آلاف درهم، أو سَبعة آلاف دِينار، الجمع بُدُورٌ وبِدَرٌ» [القاموس المحيط: ٣٤٨].

(٢) العطاء.

(٣) الجَدَا والجَدْوَى: العَطاء.

(٤) مُنَائِي حَقُّها أَن تَكون مُنَاي. وهي مُنَى جمع مُنية بمعنى الأمنية. وفي نقل مُناي إلى مُنائي ضرورة. (المحقّق)

كما اقتلعَ الحَجَّامُ[١] ضِرْساً صَحِيحة ... إذا استُخرجت من شِدَّةٍ بِبكاءِ!

[«ديوان يحيى بن حكم الغزال» جَمعه وحقّقه وشرحه الدُّكتور محمد رضوان الدّاية، ص٢٧]

❋ ❋ ❋

➢ ورث السُّؤْدُد عن آبائه:

قال الأعشى يمدح إياس بن قبيصة الطّائي:

ما تَعِيفُ[٢] اليوم في الطَّيرِ الرَّوَحْ ... من غُرَابِ البَيْنِ[٣] أو تَيسِ بَرَحْ[٤]

جالِساً في نَفَرٍ[٥] قد يَئِسُوا ... مِنْ مُحِيلِ القِدِّ[٦] من صَحْبِ قُزَحْ[٧]

عند ذِي مُلْكٍ إذا قِيلَ له: ... فَادِ بِالمالِ تَرَاخَى ومَزَحْ

فَلَئِنْ رَبُّكَ مِنْ رَحْمَتِهِ ... كَشَفَ الضِّيقَةَ عَنَّا وفَسَحْ

أو لَئِنْ كُنَّا كَقَوْمٍ هَلَكُوا ... ما لِحَيٍّ يَا لَقَوْمِي مِن فَلَحْ[٨]

لَيَعُودَنْ لِمَعَدٍّ عَكْرُهَا[٩] ... دَلَجُ[١٠] اللَّيْلِ وتَأْخَاذُ المِنَحْ[١١]

---

(١) «الحَجْمُ: المَصُّ، يَحْجُمُ ويَحْجِمُ. والحَجَّامُ: المصَّاصُ» [القاموس المحيط: ١٠٩١].

(٢) «عِفْتُ الطَّيرَ أعِيفُها عِيافَةً: زَجرتها، وهو أَنْ تَعتبر بِأسمائها ومَسَاقطها وأصواتها فتتسَعَّدَ أو تتشأَّمَ» [القاموس المحيط: ٨٤٠].

(٣) الفُرْقَةُ.

(٤) «بَرَحَ الظَّبيُ بُرُوحاً: ولأَكَ مَياسِرَهُ ومَرَّ» [نفسه، ص٢١٣].

(٥) «النَّفَرُ: ما دُونَ العَشَرةِ من الرِّجَالِ، كالنَّفِيرِ. الجمع: أَنْفَارٌ» [القاموس المحيط: ٤٨٥].

(٦) القِدّ: إناء من جلد.

(٧) قُزَح: من ملوك العَجم.

(٨) الفَلح والفَلاَحُ: النَّجاح.

(٩) عكرها: عددها الكثير.

(١٠) دَلَجُ اللَّيل: سَيْرُ اللَّيْلِ.

(١١) المِنَحُ: العَطايا.

إنَّـمَـا نـحـنُ كَـشَـيءٍ فَـاسـدِ ... فـإذا أصـلـحـه الـلَّـهُ صَـلَـحْ
كـم رأيـنـا مِـنْ أُنـاسٍ هـلـكـوا ... ورأيـنَـا الـمـرءَ عَـمْـراً بِـطَـلَـحْ[1]
آفـقـاً[2] يُـجْـبَـى[3] إلـيه خَـرْجُـهُ[4] ... كُـلُّ مـا بـيـن عُـمَـانٍ فَـمَـلَـحْ
وهِـرَقْـلاً يـومَ سـاآتِـيـدَمَـى[5] ... مِنْ بني بُرْجَانَ في البأسِ[6] رَجَحْ[7]
وَرِثَ الـسُّـؤْدُدَ[8] عـن آبـائِـه ... وغَـزَا فِـيـهـم غُـلامَـاً مَـا نَـكَـحْ
صَبَّحُوا[9] فارِسَ في رَأْدِ[10] الضُّحَى ... بِطَحُونٍ[11] فَخْمَةٍ ذَاتِ صَبَحْ[12]
ثُـمّ مَـا كَـاؤُوا[13] ولٰـكـن قَـدَّمُـوا ... كَـبْـشَ غـاراتٍ إذا لاَقَـى نَـطَـحْ
فَـتَـفَـانَـوْا بِـضِـرَابٍ[14] صَـائِـبٍ ... مـلأَ الأرضَ نَـجيعاً[15] فَـسَـفَـحْ[16]
مِـثْـلَ ما لاَقَـوْا مِـنَ الـموتِ ضُـحَى ... هَـرَبَ الـهَـارِبُ مِـنْـهُم وامْـتَـضَـحْ[17]

(١) الطَّلح: النِّعمة الزَّائدة.
(٢) الآفق: الكثير العطاء.
(٣) يُجْمَعُ.
(٤) الإتاوَةُ، كَالخَرَاج.
(٥) منطقة في بلاد الرُّوم.
(٦) الحرب.
(٧) انتصر.
(٨) الشَّرف والمَجد.
(٩) «صَبَّحَهُمْ: أتاهم صَبَاحاً» [القاموس المحيط: ٢٢٧].
(١٠) «رَائِدُ الضُّحَى، ورَأْدُهُ: ارتفاعه» [نفسه، ص٢٨١].
(١١) «الطَّحُونُ: الكتيبَة العَظيمة» [نفسه، ص١٢١٢].
(١٢) لمعانٌ وبريق الأسلحة.
(١٣) ما جَبُنوا وتراجعوا.
(١٤) قتال.
(١٥) النَّجيع: الدَّم.
(١٦) سَفَحَ: سَالَ وأُهرق.
(١٧) امتضح: شاعَ وانتشر.

أَمْ عـلـى الـعَـهْـدِ فَـعِـلْـمِـي أَنّـه ... خَـيْـرُ مَـنْ رَوَّحَ[١] مَـالاً[٢] وسَـرَحْ[٣]

وإذَا حُـمِّـل عِـبْـئـاً[٤] بَـعْـضُـهُـم ... فـاشْـتَـكـى الأَوصالَ[٥] منه وأَنَـحْ[٦]

كـان ذا الـطَّـاقَـة بِـالـثِّـقْـل إذَا ... ضَـنَّ[٧] مَـولـى المرءِ عـنـهُ وصَـفَـحْ

وهُـوَ الـدَّافِـعُ عَـنْ ذي كُـرْبَـةٍ[٨] ... أيديَ الـقَـوم إذا الـجَـاني اجْـتَـرَحْ[٩]

تَـشْـتـري الـحـمـدَ بِـأغـلـى بَـيْـعِـهِ ... واشْـتِـرَاءُ الـحَـمـدِ أدنَـى لـلـرَّبَـحْ

تبتني الـمـجـدَ وتـجْـتَـازُ الـنُّـهَـى[١٠] ... وتُـرَى نـارُكَ مـن نـاءٍ طَـرَحْ[١١]

أَو كـمَـا قـالـوا سَـقِـيـمٌ فَـلَـئِـنْ ... نَفَضَ الأسقامَ[١٢] عنه واسْتَصَحّ[١٣]

لَـيُـعِـيـدَنْ لِـمَـعَـدٍّ عِـكْـرَهَـا[١٤] ... دَلَـجَ[١٥] الـلَّـيـلِ وإكـفـاءَ الـمِـنَـحْ[١٦]

مِـثْـلَ أَيَّـامٍ لـه نَـعْـرِفُـهـا ... هرَّ[١٧] كَـلبُ الـنّـاسِ فـيـهـا ونَـبَـحْ

---

(١) رَوَّحَ الإبلَ: رَدَّهَا إلى المراح.

(٢) «المالُ: مَا ملكته من كلِّ شيء» [القاموس المحيط: ١٠٥٩].

(٣) «سَرحَتِ الإبِلُ سَرْحاً مِن باب نَفَعَ، وسُرُوحاً أيضاً رَعَتْ بنفسها. وسَرَحْتُها يتعدَّى ولا يَتعَدَّى» [المصباح المنير: ١٠٤].

(٤) الثِّقل.

(٥) «الأَوْصَالُ: المفَاصِلُ، أو مُجتمع العِظام» [القاموس المحيط: ١٠٦٨].

(٦) أنح: تَنَخنَحَ، رَدَّد صوتاً في صدره.

(٧) بَخِلَ.

(٨) ضِيقَة وهَمّ.

(٩) «جَرَحَ، كَمَنَعَ: اكتسب، كاجْتَرَحَ» [القاموس المحيط: ٢١٥].

(١٠) جمعُ نُهيَةٍ، وهو العَقْلُ.

(١١) من ناءٍ طَرَحْ: مِن مكان بَعيدٍ، كناية عن الكرم.

(١٢) الأمراض.

(١٣) اسْتَصَحَّ من مرضه: صَحَّ.

(١٤) عادتها.

(١٥) ظلام.

(١٦) إكفاء المنح: إعطاء الهبات الكافية.

(١٧) «هَرَّ الكلبُ إليه يَهِرُّ هَرِيراً، وهو صَوْتُهُ دُونَ نُبَاحِهِ من قِلَّةِ صَبره على البَرْدِ» [القاموس المحيط: ٤٩٧].

ولـه الـمُـقـدمُ فـي الـحـربِ[١] إذَا ساعةُ الشَّدْقِ[٢] عن النَّابِ كَلَحْ[٣]
أيُّ نـــارِ الـــحَـــرب لا أوقـــدَهـــا حَـطـباً جَـزْلاً[٤] فـأورى[٥] وقَـدَحْ[٦]
ولَـقَـدْ أُجْـذِمَ[٧] حَـبْـلِـي عَـامِـداً بِـعَـفَـرْنـاةٍ[٨] إذَا الآلُ[٩] مَـصَـحْ[١٠]
تَـقـطـعُ الـخَـرْقَ[١١] إذَا مَـا هَـجَّـرَتْ بِـــهِـــبَـــابٍ[١٢] وإرَانٍ[١٣] ومَـــرَحْ
وتُـوَلِّـي الأرضَ خُـفًّـا مُـجـمَـراً[١٤] فإذا مَا صادفَ الـمَـرْوَ[١٥] رَضَـحْ[١٦]
فَـثَـدَاهُ[١٧] رَيْـمَـانُ[١٨] خُـفِّـهَـا ذَا رَنِـيـنٍ صَـحِـلَ الـصَّـوتِ[١٩] أَبَـحّ

---

(١) المُقدم في الحرب: الشُّجاع يمضي في المقدّمة.
(٢) الشّدق: الغَمُّ.
(٣) كَلَحَ النّاب: ظهر لإظهار الغَيظ.
(٤) «الجَزْلُ: الحَطَبُ اليابِسُ، أو الغَليظ العظيم منه» [القاموس المحيط: ٩٧٦].
(٥) خَرجت نارُه.
(٦) «قَدَحَ بِالزَّنْدِ: رَامَ الإِيرَاءَ بِهِ، كاقْتَدَحَ. والمِقْدَحُ والقَدَّاحُ والمِقْدَاحُ: حدِيدته» [نفسه، ص٢٣٥].
(٧) أجذم: أقطع.
(٨) عَفرناة: ناقة شديدة.
(٩) الآلُ: السَّرَابُ.
(١٠) مصحَ: ظهر.
(١١) «الخَرْقُ: القَفْرُ، والأرضُ الواسِعَةُ تَتخَرّق فيها الرّياح، كالخَرْقَاءِ، الجمع: خُرُوقٌ» [القاموس المحيط: ٨٧٨].
(١٢) الهِباب: السُّرعة.
(١٣) الإران: النَّشاط.
(١٤) مجمراً: صلباً قاسِياً.
(١٥) المَرْوُ: الحِجارة الصَّغيرة.
(١٦) رضح الحصى: كسرها.
(١٧) ثَدَاهُ: رطَبَهُ وبَلَّلَهُ.
(١٨) رَيْمَانُ خُفِّهَا: حركةُ خُفِّهَا.
(١٩) صَحِل الصَّوت: صوت فيه بَحّة.

وشَمُولٍ[١] تَحسب العَينُ إذَا ... صُفِّقَتْ[٢] وَرْدَتَهَا نَورَ[٣] الذُّبَحْ[٤]

مِثلُ ذَكْي المِسْكِ ذَاكٍ رِيحُها ... صَبَّهَا السَّاقِي إذا قِيلَ تَوَحْ[٥]

مِنْ زِقاقِ[٦] التَّجرِ[٧] في بَاطِيَةٍ[٨] ... جَونَةٍ[٩] حَارِيَّةٍ[١٠] ذَاتِ رَوَحْ[١١]

ذاتِ غَورٍ مَا تُبالِي يَومَهَا ... غَرَفَ الإبْرِيقِ منها والقَدَحْ

وإذا مَا الرَّاحُ[١٢] فيها أَزْبَدَتْ ... أَفَلَ الإزْبَادُ فِيها وامْتَصَحْ[١٣]

وإذا مَكُّوكُها[١٤] صَادَمَهُ ... جَانِبَاهُ كَسرَّ فيها فَسَبَحْ

فَتَرَامَتْ بِزُجَاجٍ مُعْمَلٍ[١٥] ... يُخْلِفُ[١٦] النَّازِحُ[١٧] منها مَا نَزَحْ[١٨]

وإذا غاضَت رَفَعْنَا زِقَّنَا ... طُلُقَ[١٩] الأوداجِ[٢٠] فيها فانْفَسَحْ[٢١]

---

(١) شَمول: خَمرة.
(٢) صُفِّقَت: صُبَّتْ في الإناء.
(٣) زَهر.
(٤) الذُّبَح: نبت زَهره أحمر.
(٥) تَوح: أسرِعَ في الصَّبّ.
(٦) الرقاق: أوعية الخَمر.
(٧) التَّجرُ: التُّجار.
(٨) باطية: خابية.
(٩) جَونة: سوداء.
(١٠) حاريّة: منسوبة إلى بِلاد الحِيرة.
(١١) رَوح: اتّساع.
(١٢) الرَّاحُ: الخَمْرُ.
(١٣) امتصَحَ: انقطع.
(١٤) المكُّوك: إناء الخَمرِ منَ الفِضَّة.
(١٥) مُعْمَل: مصنوع بِدِقَّةٍ وإتقان.
(١٦) يُخلف: يترك.
(١٧) النَّازِحُ: الشَّارب.
(١٨) نَزح: شَرِب.
(١٩) طُلُق: مَفكوك.
(٢٠) الأوداج: فَم الزِّقّ الذي لم يَربط.
(٢١) انْفَسَحَ: سَالَ.

ونُسِيحُ سَيَلانَ صَوْبِهِ[١] وَهْوَ تَشْيَاخٌ من الرَّاحِ مِسَحّ
تحسب الزِّقَّ لَدَيْها مُسْنَداً حَبَشِيًّا[٢] نَامَ عَبداً فَانْبَطَخ

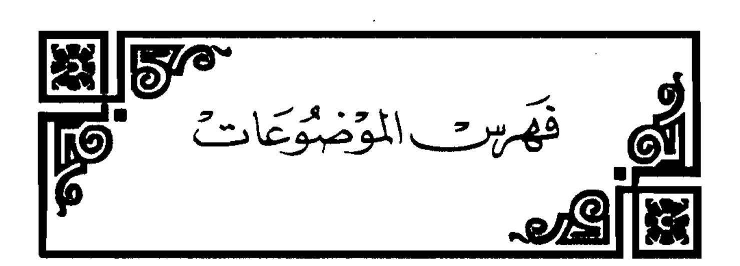
[«ديوان الأعشى» شرح د. يوسف ش. فرحات، ص٥٥ ـ ٦٠]



(١) صوبه: انصبابه.

(٢) حَبَشِيًا: كناية عن لونه الأسود.


رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الجود و البخل في الأدب العربي

إعداد
عمار بن خميسي

دار ابن حزم

